بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

مُحاضَراتُ مِقْياس:

تاريخ الدراسات اللغوية بالمغرب والأندلس

لطلبة السنة الاولى ماستر علوم اللسان

المحاضرة الأولى: مفاهيم أساسية:المذهب.الاتجاه.المدرسة.

- أولا: الاتّجاهُ:

1- في اللغة: اتَّجهَ إلى يتّجِه، اتّجاهًا، فهو مُتّجِه، والمفعول مُتّجَه إليه • اتَّجه إلى الحدود أو نحوها: أقبَل عليها وقصَدها "اتّجه الشخصُ إلى البيت- اتّجه الطالب إلى المحاماة/ دراسة الطِّبّ- اتّجه الصاروخُ بدقّة نحو الهَدَف[1]

*** ***

2- في الاصطلاح: يمكن تعريف الاتجاهات تعريفاً جامعاً شاملاً على أنها (تنظيم متناسق من المفاهيم، والمعتقدات، والعادات، والدوافع بالنسبة لشيء محدد). وليس معنى هذا التعريف أن مفاهيم هامة مثل الدوافع وخصائص الشخصية ليس لها وظيفة إلا أن تكون جزءاً من الاتجاهات بل على العكس فإن لها وظائفها الأساسية الخاصة ولكنها إلى جانب هذا تتكامل وتتفاعل لتنشئ اتجاهات الفرد وميوله حيال أشياء بعينها. ويميل البعض إلى التمييز بين القيم وبين الاتجاهات[2].

والشخص لا يستطيع تكوين اتجاه حيال أي شيء أو شخص إلا إذا كان هذا الشيء أو الشخص موجوداً في محيط إدراكه. أي أن الفرد لا يستطيع تكوين اتجاهات حيال أشياء لا يعرفها أو حيال أشخاص لم يتفاعل معهم، فالشخص المقيم في غابات الكونغو قد يصعب

---

(1) ينظر: لسان العرب (وجه)

(2) أبحاث في المذاهب النحوية، كارم عبود، ص 20.

تصور أنه يحتفظ باتجاهات حيال أصحاب الملايين في أمريكا. وينطبق هذا الوصف على الشخص الأمريكي العادي الذي تبعد أشياء كثيرة من معالم الحياة خارج الولايات المتحدة عن مجال إدراكه وبالتالي فهو لا يستطيع تكوين اتجاهات حيال قضية فلسطين مثلاً لأنه لا يعرف عنها شيئاً.

- المذهب:

1- في اللّغة:المذهب، في اللغة العربية هو الطريق والسبيل[1]

2- في الاصطلاح: هو طريقة البحث سواءً كان في العقيدة أو في الفقه أو في أصول الفقه وفي علوم الحديث أو في اللغة العربية أو غيره من العلوم الشرعية[2].

والمذهب: مصدر كالذهاب، وذهب به وأذهبه غيره: أزاله، والمذهب: المتوضأ؛ لأنه يذهب إليه. والمذهب: المعتقد الذي يذهب إليه . واصطلاحا: الأحكام التي اشتملت عليها المسائل شبهت بمكان الذهاب بجامع أن الطريق يوصل إلى المعاش، وتلك الأحكام توصل إلى المعاد أو بجامع أن الأجسام تتردد في الطريق، والأفكار تتردد في تلك الأحكام، ثم أطلق عليها المذهب استعارة مصرحة. أي: استعارة تصريحية تبعية بأن شبه اختيار الأحكام بمعنى الذهاب واستعير الذهاب لاختيار الأحكام، واشتق منه مذهب بمعنى أحكام مختارة، ثم صار حقيقة عرفية حكاه المحشي عن شيخه، والبجيرمي[3].

ويطلق المذهب عند علماء الفقه على الأحكام الفقهية المستفادة من أدلتها بطريق الاجتهاد[4]، ويطلق المذهب في الحقيقة على ما ذهب إليه إمام المذهب من الاختيارات والأحكام المنسوبة إليه، فالمذهب بالمعنى الحقيقي يطلق على فقه إمام المذهب، فمثلا: فقه الإمام أحمد، هو المذهب حقيقة. ومذاهب الأئمة التي اشتهرت وعمل أصحاب الأئمة من بعدهم على نقلها وتحريرها وتنقيحها بقيت تحمل اسم إمام المذهب المعمول به، لكن أصحاب إمام المذهب من بعده إذا كانوا من مجتهدي التخريج فتخريجاتهم في مذهب إمامهم لا تنسب إلى إمام المذهب، بل تنسب إلى الأصحاب، ويكون تخريج الأصحاب على فقه

---

(1) معجم المقاييس ص56.

(2) أساليب البحث في الفكر الإسلامي، صلاح عيسى ص 36.

(3) البحث النحوي في القديم والحديث، حسن إسماعيل حسن ص 325.

(4) إرشاد الفحول، للشوكاني 68/1.

الإمام هو المذهب بالمعنى الاصطلاحي، والتخريج في كل مذهب يكون على فقه الإمام، ويكون على غيره، ومعلوم أن المخرج على غير فقه الإمام لا يكون مذهباً له.

*** *** ***

- المدرسة النحوية: يشيرُ مصطلح المدارس النحوية إلى اتِّجاهات مختلفة ظهرت في مجال دراسة علم النَّحو في اللغة العربية، وقد اختلفت هذه المدارس النحوية في بعض المسائل النحويَّة الفرعيَّة، وقد ارتبطَ كلٌّ منها بمدينة أو إقليم جغرافيٍّ معيَّن، كمدينة البصرة أو الكوفة أو كإقليم الأندلس أو مصر[1].

المعنى اللغوي: جاء في لسان العرب: "درست: أي تعلمت، ودرست الكتاب أدرسه درسًا أي ذللته بكثرة القراءة حتى خف حفظه علي".

والمدرسة اسم مكان يطلق على مكان الدرس.

المدرسة في الاصطلاح النحوي:تناول الدارسون مصطلح المدرسة في النحو فقال بعضهم: "... فإن هذا المصطلح يعني في نظرنا، وجود جماعة من النحاة، يصل بينهم رباط من وحدة الفكر والمنهج في دراسة النحو، ولابد أن يكون هناك الرائد الذي يرسم الخطة ويحدد المنهج، والتابعون أو المريدون الذين يقتفون خطاه ويتبنون منهجه ويعملون على تطويره والدفاع عنه"[2].

وسوف نعرض لهذا التعريف بشرح موجز؛ فالمدرسة النحوية تطلق على جمع من النحويين ينتمون إلى نهج موحد في وصف نظام اللغة، مع وجود مرجعية واحدة يأخذون منها في الدراسة النحوية. ولكن هل استعمل المتقدمون هذا الإطلاق؟

ممن تناول هذا الأمر الدكتورة خديجة الحديثيوانتهت إلى أن الأوائل من النحاة لم يستعملوا مصطلح المدرسة، بل كانوا يكتفون بنسبة لنحوي إلى بلده فيقولون من نحاة البصرة ومن نحاة الكوفة، وربما استعملوا كلمة (أهل) فقالوا أهل البصرة وأهل الكوفة، كما استخدموا مصطلح المذهب أحيانا.تقول: "يتضح من هذا العرض لمناهج الذين أرخوا للنحو والنحاة من القدماء أنهم لم يستعملوا كلمة "مدرسة" في تصنيفهم لهذه المجموعات النحوية وإنما اتبعوا في ترتيبهم نسبتهم إلى البلد الذي ظهروا فيه وتعلموا نحوه ودرَسوه ودرَّسوه، فهم بصريون

---

(1) المدارس النحوية، شوقي ضيف، ص 60.

(2) البحث اللغوي عند العرب ص 36.

وكوفيون وأهل بغداد ومصريون وأندلسيون ومن أهل قرطبة ومن أهل دمشق ولم يستخدموا كلمة مذهب في التقسيم إلا ابن النديم في تسميته من ترجم لهم في القرن الثالث[1].

******* **** *** *** *** **

المحاضرة الثانية:أسباب ظهور المدارس النحوية:

الكتابة في موضوع المدارس لم تعرض إلى هذه النقطة بالذات أي أسباب ظهور هذه المدارس.وكتابات شوقي ضيف وخديجة الحديثي والراضي تخلو من هذا، فضيف في كتابه "المدارس النحوية"وخديجة الحديثي كلاهما عرض فيما كتب إلى:

-بيان أهمية الموضوع

-المدرسة البصرية: نشأة النحو، البصرة، أعلامها، أصول البحث عندها وخصائصه.

-المدرسة الكوفية ونشأتها وأعلامها.

-مدارس مختلفة ذكر فيه المدرسة البغدادية، والأندلسية فالمصرية[2].

وهو الأمر نفسه عند الدكتورة خديجة الحديثي:

-المقدمة: فكرة المدارس النحوية القدماء منهم والمعاصرين.

-الفصل الأول تبدأ بالمدرسة البصرية.

-الفصل الثاني: المذهب النحوي في الكوفة.

-الفصل الثالث: النحو في بغداد.

-الفصل الرابع: النحو في أقطار الوطن العربي.

ومع ذلك فإنه يمكن من إدامة الإمعان في أعمال هؤلاء الباحثين الأفذاذ استخلاص أسباب لظهور المدارس النحوية:

1- أسباب ترجع العصبية المذهبية.

2- أسباب جغرافية.

3- أسباب علمية بحتة تتعلق بالقراءات القرآنية[3].

---

(1) المدارس النحوية، ص 21.

(2) المدارس النحوية 290.

(3) محاضرات د. بلقاسم غزيل.

فالعصبية المذهبية تجسدها المناظرات التي كانت دافعا لصنع فكرة المدرسة النحوية، وأبرزها مناظرة سيبويه مع الكسائي، وهي المعروفة بـ: (المسألة الزنبورية). ومختصرها أن سيبويه تاقت نفسه إلى بغداد عاصمة الخلافة العباسية يومذاك فلما وصل إليها وهو من هو في مراتب النحاة البصريين حل بمجلس فأراد الحاضرون أن يدفعوه إلى مناظرة بينه وبين الكسائي رائد المدرسة الكوفية فقال الكسائي لسيبويه كيف تقول : كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو إياها. فقال سيبويه: فإذا هو هي ولا يجوز النصب. فقال له الكسائي: لحنت، وعقدت مسائل أخرى شبيهة فلم يجز سيبويه النصب، فاحتكم إلى الوافدين على باب الخلافة وكانوا يعلمون مكانة الكسائي لدى العباسيين فارتضوا رأيه، فخرج سيبويه منكسرًا من بغداد[1]

وهناك مناظرة أخربكانت بين الكسائي واليزيدي، وربما عدها بعضهم انتقاما من اليزيدي لأستاذه عما جرى له في المسألة الزنبورية، وهذه قصتها: أن اليزيدي قال للكسائي أتجيز هذين البيتين؟: (من مجزوء الرمل)

ما رأينا خــربًا نقْــ (م)* قَر عــنه البــيض صــقْرُ

لا يكـون العيـر مُهـرًا لا يكـون المُـهْــرُ مُـهْـرُ

فأجاب الكسائي أجيزه على إقواء، لأن حقه أن يقال هكذا: لا يكون مُهْرُ مُهْرًا، فقال له اليزيدي: لقد لحنت، لا يجوز: لا يكون المُهْرُ مُهْرًا ، وقراءة الرفع صواب وتوجيهها هو:(لا يكون) توكيد لفظي والمهر مهر مبتدأ وخبر [2].

وللإقليم أثر في بلورة فكرة المدرسة:

1- المربد: السوق المعروفة، وكانت بالبصرة تعج بالشعراء والأدباء، ما يجعل للبصرة من خلالها تميزا يؤهلها لأن تكون وجهة علمية مستقلة عن البلاد التي لا تعرف مثلها.

2- الكناسة: وهي سوق بالكوفة، ولقد هيأت بالأمر نفسه لأن تستقل الكوفة بروح معرفية مختلفة.

والسبب العلمي المتعلق بالقراءات لمعلوم أن القراءة القرآنية هي شأن لغوي في المقام الأول، ولقد كان لكل من البلدين تعامل مختلف مع هذه القراءات.

---

(1) نشأة النحو العربي، طنطاوي، ص101.

(2) المسائل الملقبات في النحو، ص73.

********** **** **** ***

المحاضرة الثالثة: مناهج المدارس النحوية العربية القديمة

إن أول ما يميز هذه المدارس عن بعضها هو المنهج في تناول الظاهرة اللغوية بالوصف، ومكونات المنهج الذي هو موطن الاختلاف هي:

1- السماع: وله تعريفات شتى، منها أنه تناول المادة اللغوية من مستعمليها نطقا وتداولا[1] وهذا معناه أن السماع مراد به أن عالم اللغة هو من يجمع اللغة جمعا مباشرا ثم يهيئها للدرس.والمعروف أن كلا من البصريين والكوفيين اتفقوا على ضرورة أخذ اللغة أخذا مباشرا[2].

وإن كان ثمة فرق بين سماعي الفريقين ففي اشتراط البصريين الكثرة في المسموع لتصحيح القياس، وتسامح الكوفيين في القياس على القليل.

2-القياس: وهو " حمل أصل على فرع بعلة، وإجراء حكم الأصل على الفرع "[3].

وهذا معناه أن القياس إجراء ذهني عند الباحث اللغوي من جهة أنه يطلق حكم المسموع منها على غير المسموع؛ كصوغ اسم الفاعل من كل فعل ثلاثي على وزن (فعل) كتب كاتب فليس كل أسماء الفاعلين مسموعة من العرب الفصحاء، فجاز أن يقاس على ما سمع؛ يقول ابن جني: "ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب"[4].

والمدرستان متفقتان على وجوب القياس فإنتاج المفهوم النحوي؛ قيل عن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وهو من أوائل النحاة "أول من بعج النحو ومد القياس"[5].

والقياس إنما يكون على المطرد، والاطراد مناط القياس [6] ويقول الدكتور شوقي ضيف: "وطبيعي أن يكثر القياس في كتاب سيبويه كثرة مفرطة لأنه الأساس الذي يقوم عليه وضع

---

(1) أصول النحو العربي، محمود نحلة، ص56.

(2) الرواية في اللغة، محمد عيد، ص 35.

(3) لمع الأدلة في أصول النحو، 33.

(4) الخصائص، 69/2.

(5) طبقات النحويين، ص59.

(6) القاعدة النحوية، ص: 68.

القواعد النحوية والصرفية واطرادها هو يعتمد عنده في أكثر الأمر على الشائع في الاستعمال على ألسنة العرب"[1].واشتهر عن الكسائي قوله في القياس:

إنمـــا النحــو قيـاس يتبع وبه في كل أمـر ينتفع

فإذا ما أبصر النحو الفتى مر في المنطق مرّا فاتسع[2].

ومما قيل في التفريق بين منهجي المدرستين في القياس ما قال شوقي ضيف: «.. فقد استخدموا –الكوفيون– القياس أحيانًا بدون استناد إلى أي سماع، ونضرب لذلك مثلاً قياسهم العطف بلكن في الإيجاب على العطف ببل في مثل "قام زيد بل عمرو" فقد طبقوا ذلك على لكن وأجازوا "قام زيد لكن عمرو" بدون أي سماع عن العرب»[3].

3– التعليل:

قيل في التعليل: "يقصد بالتعليل في النحو التفسير اللغوي للظواهر المستنبطة من كلام العرب وهذه العلل مستنبطة استنباطًا من اللغة وليست بالضرورة واجبة وكما فسرها هذه العالم أو ذاك، وبمعنى آخر علل النحو ليست كعلل الطبيعيات مثل علة الاحتراق النار. إنما هي نتيجة اجتهاد من النحاة للاستدلال على براعة الواضع العربي ودقته وفهمه للغته، يقول أبو القاسم الزجاجي عنها: "أقول أولاً إن علل النحو ليست موجبة وإنما مستنبطة أوضاعًا ومقاييس"[4].

واشتهر الخليل بن أحمد بالتعليل؛ يقول شوقي ضيف عن الخليل: «وكان يسند دائمًا ما يستنبطه من القواعد والأحكام بالعلل التي تصور دقته في فقه الأسرار اللغوية والتركيبية التي استقرت في دخائل العرب من قديم[5].

ولما سئل الخليل عن العلل التي استنبطها من اللغة أهي من عند العرب قصدوها قصدًا أم هي من عنده اخترعها اختراعًا، فقال ما نصه: «إنَّ العرب نطقت على سجيتها وطباعها

---

(1) المدارس النحوية، 126.

(2) طبقات النحويين، ص 228.

(3) المدارس النحوية، ص35.

(4) الإيضاح في علل النحو، 57.

(5) المدارس النحوية 99.

وعرفت مواقع كلامها وقام في عقولها علله، وإن لم ينقل عنها، واعتللت أنا بما عندي أنه علة لما عللته منه...» [1]

ويعرض الدارسون إلى اهتمام سيبويه بالتعليل لما يطرد في كلامهم، ولما يخرج عن المطرد فيقول: "وتكثر التعليلات في كتاب سيبويه كثرة مفرطة، سواءً للقواعد المطردة أو للأمثلة الشاذة ... بل يعلل أيضًا لما يخرج على تلك القواعد"[2].

وتقول الدكتورة خديجة الحديثي عن التعليل عند الفراء الكوفي: «ومن ذلك موقفه المخالف للخليل في تفسير بعض الكلمات الجامدة مع قولهما معًا بتركيبهما إلا أنهما اختلفا في التحليل فذهب الخليل في "هلم" أنها مركبة من "ها التنبيه" والفعل "لُمَّ" وذهب الفراء إلى أن أصلها "هل أم" من الفعل بمعنى "قصد" وفي هذا التحليل غموض في المعنى وإغراق في تفسير الحذف وتأويل المعنى"[3]

رابعًا: الرواية

الرواية عند البصريين غيرها عند الكوفيين، بمثل ما اختلفوا مع القياس من جهة التشدد فيه، بل إن صرامتهم في الرواية أشد فالرواية هي مصدر النصوص التي تبنى عليها القواعد.

يقول أحد الباحثين: «كانوا [يقصد البصريين] لا يطمئنون إلى كل رواية ترد عن العرب في الجاهلية إلا بعد تدقيق وتمحيص فوضعوا مقاييس لتصحيح هذه الروايات الواردة عن العرب، فكان منهجهم في الدقة والتشدد كالمنهج الذي اتبعه علماء الحديث أو أشد وكانوا يرفضون كل ما شذ من الروايات»[4].

وعرف الكوفيون بالرواية أكثر من البصريين حتى قيل إن الرواية شغلتهم عن النحو. قال الشيخ محمد الطنطاوي: «قال أبو الطيب الشعر بالكوفة أكثر وأجمع منه بالبصرة، ولكن أكثره مصنوع ومنسوب إلى من لم يقله»[5].

---

(1) المدارس النحوية ص109.

(2) المدارس النحوية، ص: 156.

(3) المدارس النحوية، ص25.

(4) المدارس النحوية، للتواتي بن التواتي، ص 77.

(5) نشأة النحو وتاريخ النحو العربي، ص: 166.

"وقد تأثرت المرويات في مرحلة ما قبل التدوين ببعض المؤثرات في السماع ... فلم يكن الرواة جميعًا على قدر واحد من حيث قوة الحفظ ودقته، وأما بعد عصر التدوين فقد تأثرت المرويات وبخاصة الشعر بظاهرة أخرى نتجت عن التدوين ذاته وهي ظاهرة التصحيف"[1].

من مناهج المدارس النحوية العربية القديمة: السماع، القياس ، التعليل و الرواية و لقد عرفت شيئا من اختلاف المدارس القديمة حول هذه المناهج... فسماع البصريين ليس كسماع الكوفيين . البصريون ينشدون الكثرة و التكرار و معرفة القائل، و الكوفيون يقوم سماعهم على الترخص

و الإباحة فقد يقبلون الشاهد الواحد و المجهول القائل.. و أما القياس فلقد رأيناه عند البصريين مستندا على دقة الملاحظة و تحري الصحة و الشمول، في حين كان قياس الكوفيين يطبعه التساهل إذ بنوا قواعدهم على الشاذ و النادر.... و أما التعليل فلقد سجلنا ولوع كلا الفريقين به إلا أن تعليل البصريين كان صادرا عن اللغة في حد ذاتها فسروا به ما فهموه من علل العرب في كلامهم دون الخروج عن مجال اللغة و أما الكوفيون فقد كان تعليلهم مطبوعا بالغموض أحيانا مثلما هو (معاني القرآن) للفراء...و فيما يتعلق بالرواية فلقد الكوفيون أكثر رواية للشعر من البصريين.

*** *** *** *** ***

المحاضرة الرابعة:

المدارس النحوية في المشرق والمغرب العربيين.

يظهر أنه من الأولى أن نتعرض لمبحث مهم هو وقوع الخلاف في وجود المدارس في التراث:

1- إنكار وجود المدارس النحوية: يتوزع الإنكار على ثلاثة آراء:

- اتجاه لا يؤمن بوجود هذه المدارس إطلاقًا.
- اتجاه ثانٍ يقرّ بوجود مدرسة واحدة أو اثنتين لا أكثر.
- اتجاه ثالث يرفض اعتبار الجانب الجغرافي أصلاً معيارًا لهذا التقسيم.

---

(1) بدايات النحو العربي، صلاح رواي، ص236.

- الرأي الأول:

ينكر فريق من الباحثين إنكارا مطلقا وجود هذه المدارس النحوية بحجة أن النحو العربي ما كان إلا واحدا، ولم يختلف النحويون إلا في الفروع، يذكر هذا الدكتور إبراهيم السامرائي في قوله: «وقد أنكرت أن يكون مدرستان هما المدرسة البصرية والكوفية فالنحو القديم واحد وإن كان هناك من شيء فاختلاف اللاحقين ممن دعوا بالكوفيين عن المتقدمين من البصريين لمسائل تتصل كما أشرت بالفروع لا بالأصول»[1].

ومن المنكرين بإطلاق علي أبو المكارم، فهو لا يرى وجود هذه المدارس؛بل ما يسمى مدارس ليس إلا مراحل يقول: «المرحلة الأولى وهي مرحلة نشأة التعليل النحوي، ويمكن أن يعد أباها الشرعي عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وتنتهي هذه المرحلة بالخليل بن أحمد الفراهيدي»[2].وعن المرحلة الثانية يقول: «وتبدأ هذه المرحلة بتلاميذ الخليل بن أحمد وتنتهي بالزجاج أي أنها تمتد من أوائل القرن الرابع الهجري» [3].ويقول عن المرحلة الثالثة من التعليل: «تبدأ المرحلة الثالثة من مراحل التطور في التعليل النحوي بعد الزجاج وعلى وجه التحديد تبدأ بابن السراج أبي بكر محمد بن السري»[4]

-الرأي الثاني: وهذا الرأي معتقده في مدرستين فقط؛ هما البصرة والكوفة، فالنحو بدأ بصريًا ثم نضج كوفيًا، وليس سواهما مما يعرف بالبغدادي والمصري والمغربي غير امتدادات للمدرستين المذكورتين، بل ربما رأى بعضهم أن المدارس كلها ليس إلا فروعا للمدرسة البصرية فقط، ولعل المستشرق "جوتولد فايل" هو رائد من يرى هذا الرأي، قالت الدكتورة خديجة الحديثي: «.. فقال بعضهم أنه لا توجد إلا مدرسة نحوية واحدة هي مدرسة البصرة وأنكروا وجود مدرسة باسم الكوفة وقد سبق إلى القول بهذا "جوتولدفايل» [5]. ولعل مستند القائلين بالمدرستين الاثنتين فقط أن كتاب

---

(1)المدارس النحوية، ص: 87.

(2) أصول التفكير النحوي، ص 334.

(3) نفسه، ص340.

(4) نفسه، ص 342.

(5) المدارس النحوية، ص: 202.

(الإنصاف في مسائل الخلاف) لابن الأنباري لا يعرض إلا لهما والعنوان يحيل على هذا الرأي (الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين، البصريين والكوفيين).

ويحتج المنكرون بما يلي:

- أنّ الاختلاف بين هؤلاء النحاة كان في الفروع لا الأصول.
- أن مصطلح مدرسة مجتلب أساسًا من العلوم الغربية والدليل على ذلك أن أول المستعملين لهذا المصطلح هم المستشرقون.
- أن النحاة يأخذون عن بعضهم من قطر إلى قطر فلا يسمح بتميز نحاة كل إقليم عن غيره.
- أن الاختلاف يكون بين نحاة الإقليم الواحد فقد اختلف البصريون فيما بينهم كما اختلف الكوفيون.
- أن نشأة النحو كانت بالبصرة ومن أتى بعد ذلك من العلماء كانوا عالة على نحاتها.
- إن بعض الأقاليم أقامت نحوها على انتخاب ما ترتضيه من آراء غيرها مثل مدرسة بغداد في نظرهم ليست مدرسة لأنها مزجت بين آراء البصريين والكوفيين.

ثانيًا: المقرون بوجود المدارس:

يذهب بروكلمان والمخزومي أنه يوجد ثلاث مدارس للنحو العربي بزيد المدرسة البغدادية، ويضيف طه الراوي ومحمد أسعد طلس مدرسة الأندلس. ولكنها عند شوقي ضيف خمس بإلحاق المدرسة المصرية[1]

ويحتج المقرون بمثل:

- الاختلاف المصطلحي .
- الاختلاف المنهجي.
- التعدد في الرأي.
- شيوع التصور القاضي بوجودها.

**** **** **** **** **** ***

(1) المدارس النحوية، ص: 56.

المحاضرة الخامسة: المدرسة البصرية:

كانت البصرة منشئعلم النحو، وكما عرفنا تعدد الروايات حول أول من وضع النحو، وقد رجح غير واحد الروايات التي تذهب إلى أن عليًّا –كرم الله وجهه– هو الذي أنشأ البدايات الأولى له، وأمرأبا الأسود الدؤلي بإتمامها، ومعه تلاميذه في هذا العمل، أمثال نصر بن عاصم، وعبد الرحمن بن هرمز، ويحي بن يعمر، وعنبسة الفيل، وميمون الأقرن، ثم استمرت الجهود في البصرة في بناء علم النحو، وقامت عليه حوالي مائة عامفي الوقت الذي كانت الكوفة منشغلة عن النحو إلى رواية الشعر، والأخبار [1]، وكان علماء الكوفة، أيضا، مهتمين بالقراءات القرآنية، وضعفت عنايتهم بقواعد النحو إلا ما كانوا يشاركون فيه أساتذتهم من البصريين، فقد كانوا تلاميذهم [2]، ومن هنافالبصرة تفردت بالمرحلة الأولى من مراحلتأسيس النحو العربي، وهيمرحلة البناء الأول.

ولما سبقت البصرة الكوفة إلى وضع النحو فقد رأى بعض المستشرقين أن نشأة النحو في البصرة مرتبطة بالنحو السرياني واليوناني والهندي، وهو أمر إثباته غير يسير، وخاصة أن نظرية النحو العربي في العامل لا توجد في أي نحو آخر، وقد فسر الدكتور/شوقي ضيف سبق البصرة في وضع النحو بأنهم رأوا لبعض اللغات الأخربأنحاء، فنشطت عقولهم نشاطا قويا، وجعلها تتوجه لأن تضع قواعد النحو.

ويظهر أنه قد كان للبصرة من الصلة بالثقافات الأجنبية في القرن الثاني للهجرة قدر كبير، فهي مرفأ العراق التجاري الأهم، حيث سكنتها عناصر من الشعوب المجاورة هيأتها للاتصال بثقافاتها المختلفة، كما أنها أقرب من الكوفة إلى المدرسة الفارسية جنديسابورالتي كانت جامعة للثقافات اليونانية والفارسية والهندية، ما نتج عنه دخول تلك الثقافات في

---

h1 نشأة النحو ص19.

2 المدارس النحوية د/ شوقي ضيف ص20.

البصرة، ومن هنا يقع تفسير أن يكون فكر البصرة أدنى إلى الدقة والعمق من الكوفة، وكان الأكثر تهيأتلتأسيس المعارف.[1]

ولا يفهم من هذا أن النحو العربي علم دخيل بسبب التأثر بالثقافات الأجنبية، بل إن النحو العربي أصيل الفكر الإسلامي، مع عدم امتناع الإفادة من العلوم الوافدة، والأخذ من طرائق أهلها في الاستنباط، وعرض الأفكار، وإجراء المنهج، لأن تبادل المعرفة من الظواهر الصحية في حياة الناس.

منهج البصرة في التعقيد النحوي:

البصرة هي التي وضعت النحو، ووبه فقد كانت أسبق إليه من الكوفة، وذلك بسبب ما تهيأ فيها من دواعي النضج الفكري، والنماء العقلي، وبسبب من كونها عاصمة ثقافية، فقد ظهر ذلك فيأسلوب نحوييها البحثي، ومنهجهم في وضع واستنباط القواعد.وبمعرفة أن أبا الأسود الدؤلي هو من أسس مبادئ النحو بتوجيه من سيدنا علي–رضي الله عنه– فإن الآخذين عنه أقبلوا عليه يفيدون منه كما أخذ تلاميذهم عنهم بعد ذلك، حتى صاروا في ذلك طبقات يفيد سابقها عن لاحقها.[2]

ومنطق الأمور يحتم في الفهم أن يكون ما أسسه أبو الأسود من النحو لا يعدو كونه ملاحظات بسيطة أدى إليها تأمل الأساليب واستقرائها بإنفاق الوسع في ذلك في السياقات المختلفة، كما أتيح من ذلك بناء ضوابط ليست في مستوى القواعد التي تبنى منها الأحكام على نحو متصف بالاطراد[3].

والاطراد في القواعد شرط أساس لصياغة العلم صياغة علمية دقيقة، كذلك يجب أن يقوم على الاستقراءالعلمي. وأن تستوفي مع ذلك شرط التعليل، وأن تصير القاعدة أصلا

---

1 المدارس النحوية ص20،21.

2 تاريخ النحو/ علي النجدي ناصف ص13.

3 السابق ص 11.

مضبوطا تحمل عليه الجزئيات وتقاس قياسا دقيقا، وما كان ذلك إلا مما عملته أيدي عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وتلاميذه من علماء البصريين[1].

وبمعرفة أن البصريين يقوم عملهم التقعيدي على اطراد القانون، فقد دفعهم ذلك إلى أن يستقرواالكلام العربي فيستخلصون منه قوانين كلية تحمل وتقاس الجزئيات عليها، ومن وصف منهجهم في الاستقراء أنهم لا يأخذون إلا عنالخلص من العرب الضاربين في أعماق الصحراء، ولا يأبهون إلا بالشاهد الموثق. لذا نجدصاحب الكتاب سيبويه يتمسك بلفظ الثقة ومشتقاته في روايته، ومسموعاته من الشعر والنثر، وهو هنا يبعث اليقين في الآخذين عنه إلى أنه متمسك بالمنهج الذي يؤمنون به في الاستنباط.كما قد كان ينبه على الشاهد الموضوع المصنوع[2].

ومن هنا رأينا رجال البصرة يجدون في الرحلة إلى نجد وبوادي الحجاز وتهامة لجمع المادة التي يبنون عليها قواعدهم، الموصوفة بالنقاء والصفاء والخلوص من شوائب الحضارة، وبعبارة أخرى: أخذوا بشرط البداوة الخالصة في أخذ اللغة المطلوبة للتقعيد، وقد أخذوا عن: قبائل: تميم، وقيس، وأسد، وطيء، وهذيل، وبعض عشائر كنانة[3].

وتأسيسا على عناية البصريين بشرط اطراد القاعدة وتمسكهم الشديد بذلك، فإنهم وضعوا، وقعدوا، وبنوا على أساس من الكثرة والشيوع في الأمثلة المروية عن أهل اللغة. فما إن يجدوا قدرا كافيا من الشواهد، وغلب على ظنهم أن هذا المنقول نهض بوضع قاعدة عامة وضعوها وأسسوها[4]، فهم أهل قياس على الأغلب الأعم في اللغة، يتحاشون القياس على القليل، وقد عبر أبو عمرو بن العلاء عن منهج البصريين في القياس حين سأله سائل قائلا: أخبرني عما وضعتَ مما سميته عربية أيدخل فيه كلام العرب كله، قال أبو عمرو: لا، قال

---

1 المدارس النحوية ص18

2 تاريخ النحو/علي النجدي ناصف ص 31،32.

3 المزهر للسيوطي 211/1، والمدارس النحوية د/شوقي ضيف ص 18،19.

4 من أسرار اللغة د/إبراهيم أنيس ص20.

السائل: فماذا أنت صانع فيما خالفتك فيه العرب وهي حجة؟ قال أبو عمرو: أعمل على الأكثر، وأسمي ما خالفني لغات (أي: لهجات)[1].

فيظهر أبو عمرو نظرية البصريين المنهجية في الأخذ عن العرب، فهم يبنون قوانينهم على ما كثر استعماله، فيما عدوا ما جاء مخالفا لقوانينهم المستنبطة من كلام العرب لغات، وربما جاوزا ذلك إلى تأويله بما يرده إلى القياس، وربما سموه قليلا، ونادرا، وشاذا، كما قد يعدونه ضرورة لا تقبل إلا في الشعر.

أما منهج البصريين في الاستدلال بالقرآن الكريم، وقراءاته، فإنهم اعتبروه أصلا أصيلا للتقعيد، فلم يعرف أنهم كانوا دون الكوفيين رتبة في تحمل القرآن الكريم، وفي رواية الشعر، غير أن الكوفيين مالوا إلى السلامة، وقنعوا بما حفظوا، واستطابت المعاودة، والتكرار، في الوقت الذي ظفرت فيه البصرة بالحفظ، ووضع النحو ففازت بهذا وذاك معا[2].

وقد قرر كثير من الباحثين، ومنهم شوقي ضيف أن البصريين كانوا يعدون القرآن الكريم وقراءاته مددا لقواعدهم لا يمكن تخطيه، وتوقف نفر منهم إزاء أحرف قليلة في القراءات لا تكاد تتجاوز أصابع اليد الواحدة وجدوها لا تطرد مع قواعدهم، بينما تطرد معها قراءات أخرى آثروها، كما اجتهد شوقي ضيف في الدفاع عن البصريين في محاججة اتهموهم بتخطئة القراءات، والطعن فيها، فقد توسع بعض المعاصرين في وصف ذلك، ومنهم من قال: إن نحاة البصرة كانوا يرفضون وجوها من القراءات ويردونها، اعتبارا لأن ذلك كان موقفا أساسيا لهم إزاء القرآن، وقراءاته، في الوقت الذي لا يوجد عند سيبويه مواقف صريحة تشهد لهذا الاتهامالباطل، وينبه إلى أن الأخفش الأوسط قد تقدم نحاة لكوفيين المتأخرين إلى الأخذ بالقراءات الشاذة، والاحتجاج لها من كلام العرب، يقول:«وفي الحق أن بصريي القرن الثالث هم الذين طعنوا في بعض القراءات، وهي أمثلة قليلة لا يصح أن نتخذ

---

1 طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص43، وانظر: من أسرار اللغة ص20.

2 تاريخ النحو أ/علي النجدي ناصف ص33.

منها ظاهرة خاصة ولا عامة، وقد كانوا يصفونها بالشذوذ ويؤولونها ما وجدوا إلى التأويل سبيلا»[1].

والأقرب للإقناع أن في كلام الدكتور/شوقي ضيف ما يحتاج إلى نظر، كما أن في رأيه هذا تمييزا بين الصدر الأول من البصريين، وبين المتأخرين، فإن نظرية البصريين في الأخذ بالقياس، واطراد القانون النحوي لم يتحول، ولا يقع التفريق بين عبارات تضعيف القراءة، أو ردها، وبين التصريح بذلك، ثم العمل على تأويلها بما يردها إلى القياس المطرد، وعبارات وصفها بالقلة أو الندرة أو الشذوذ، فإن رد القراءة قد يقع بشتى أساليب التعبير، ومن الظاهر في عمل البصريين أنهم لم يكونوا يأخذون إلا بالقراءة التي توافق الاطراد والقياس، في الوقت الذي يعمدون فيه إلى تأويل ما يخالف القياس منها على وجوه توافق الاطراد، وربما عمدوا إلى تسميته تحت واحد من هذه المصطلحات: القلة أو الندرة، أو الشذوذ، او الضعف، أو أنهم يعدونه لغة، وقد كان الأخفش الأوسط يرى ما يرى الكوفيون في غالب ما رأوا، وهو هنا، يكون قد عدل بقلة، أو بكثرة عن منهج البصرة في القياس على الشائع الكثير، وذهب مذهب الكوفيين في تجويز الأخذ على القليل والنادر.

والبصريون في الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف كانوا لا يرون الأخذبه، ولا يأتمون به في استشهادهم لقواعدهم، قيل:

- لأنه روي بالمعنى، فإن الحديث لم يدون إلا في القرن الثاني من الهجرة، وشاركت في تناقل نصوصه أعاجم كثيرة، فبدامنطقيا طبيعيا أن لا يقع الاحتجاج بلفظه،ومجاري إعرابه، وسنن تراكيبه، وذهب مذهبهم هذا نحويو الكوفة [2]، قال أبو حيان رادا على ابن مالك احتجاجه بالحديث: «قد أكثر هذا المصنف من الاستدلال بما وقع في الأحاديث على إثبات القواعد الكلية في لسان العرب، وما رأيت أحدا من المتقدمين والمتأخرين سلك هذه الطريقة غيره، على أن الواضعين

---

1 المدارس النحوية ص19.

2 المدارس النحوية ص19.

الأولين لعلم النحو المستقرين للأحكام من لسان العرب: كأبي عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر، والخليل، وسيبويه من أئمة البصريين، والكسائي، والفراء، وعلي بن المبارك الأحمر، وهشام الضرير من أئمة الكوفيين لم يفعلوا ذلك، وتبعهم على هذا المسلك المتأخرون من الفريقين وغيرهم من نحاة الأقاليم كنحاة بغداد وأهل الأندلس»[1].

وقد كشف جلال الدين السيوطي عن الداعي إلى عدم الاحتجاج بالأحاديث النبوية، فقال: «أما كلامه –صلى الله عليه وسلم– فيستدل منه بما ثبت أنه قاله على اللفظ المروي، وذلك نادر جدا، إنما يوجد في الأحاديث القصار على قلة أيضا، فإن غالب الأحاديث مروي بالمعنى، وقد تداولتها الأعاجموالمولدون قبل تدوينها، فرووها بما أدت إليه عبارتهم، فزادوا ونقصوا، وقدموا وأخروا، وأبدلوا ألفاظا بألفاظ، ولهذا ترى الحديث الواحد عن القصة الواحدة مروياعلى أوجه شتى بعبارات مختلفة»[2]

ولو أن نحاة البصرة لم يأبوا الاستشهاد بالحديث بصورة مطلقة، فلقد استشهدوا بنصوص حديثية ولو على قلة، فسيبويه –وهو إمام النحويين البصريين– يأخذ في كتابه بثمانية أحاديث[3]، نبه عليها الأستاذ عبد السلام هارون في تحقيقه، كما قد انتهى بعض الدارسين المحدثين إلى أن سيبويه أخذ في كتابه بما يزيد على هذا، وإن لم نر له تصريحا بأنه حديث،بل كان يجتزئ بعض العبارات منه، ومن هنا، فالباحث في كتب البصريين التالين لسيبويه يقف ضرورة على استشهاد بالحديث، وربما كان كلام أبي حيان وغيره يريد به إلى أن نحاة البصرة لم يعتبروا الحديث النبوي مرجعا أساسا من مراجع عملهم التقعيدي، ولم يؤسسوا عليه قانونا نحويا، وإن لم يكن هناك مانع من الاحتجاج به هنا، أو هناك.

1الإقتراح في علم أصول النحو ص 29،30.

2الإقتراح في أصول النحو ص30.

3 الكتاب 74/1، 327–2/ 32، 80، 393–3/ 268–116/4.

وعلى تمسك البصريين بالقياس،وتوسعهم فيه إلى مدى بعيد،على معنى بناء القاعدة على الاطراد الذي هو الغالب والعام، فهم، أيضا، توسعوا في التعليل النحوي، فقد كانوا يطلبون لكل ظاهرة ما يعللها، وقد لا يقفون عند العلة الأولى، و يتجاوزونها إلى العلة الثانية والثالثة، ومن هذا أنهم يرون في علة نصب (زيدا) في قولهم: (إنَّ زيدًا قائم): بأنه منصوب بـ (إنَّ)، وهذه العلة الأولى هي العلة التعليمية، وبها يُتعلم كلام العرب، ثم يرون في علة نصب (زيدا) بـ (إنَّ): إن (إن)مشبهةبالفعل المتعدي، فحُملت عليه، فمنصوبها يشبه المفعولبه لفظا، ومرفوعهامشبه بالفاعل لفظا، وهي شبيهة بالفعل الذي قدم مفعوله على فاعله، وتسمى هذه العلة الثانية بالعلة القياسية، ثم يسألون: ولِمَ شُبهت (إنَّ) الفعل؟ وسموا لاحقا هذه العلل بالعلل الجدلية النظرية، وعليها دار التعليل النحوي كله [1].

وسئل الخليل بن أحمد الفراهيدي عن هذه العلل، فقيل له: عن العرب أخذتَها أم اخترعتها من نفسك، فقال: «إنَّ العرب نطقت على سجيتها وطباعها، وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها علله، وإنْ لم ينقل ذلك عنها، واعتللت أنا بما عندي أنه علة لما عللته منه، فإن أكن أصبت العلة، فهو الذي التمست، وإن لم تكن هناك علة له، فمَثَلي في ذلك مثَل رجل حكيم دخل دارا محكمة البناء عجيبة النظم والأقسام، وقد صحت عنده حكمة بانيها بالخبر الصادق أو بالبراهين الواضحة، والحجج اللائحة، فكلما وقف هذا الرجل في الدار على شيء منها قال: إنما فعل هكذا لعلة كذا وكذا، ولسبب كذا وكذا، سنحت له وخطرت بباله محتملة لذلك، فجائز أن يكون الحكيم الباني للدار فعل ذلك للعلة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار، وجائز أن يكون فعله لغير تلك العلة، إلا أن ذلك مما ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون على لذلك فغن سنح لغيري على لما عللته من النحو هو أليق مما ذكرته بالمعلول فليأت بها».

---

1 راجع: الإيضاح في علل النحو الزجاجي ص64،65،66.

وعقب الزِجاجي على هذا الكلام فقال: «وهذا كلام مستقيم، وإنصاف من الخليل – رحمة الله عليه»[1].

وهنا نجد الخليل قد وسع في باب التعليل، وترك باب العلل مفتوحا لكل مريدها حسبما يبدو له، ولا يكتفي بما بلغه عمن تقدمه؛ لأن العلل هي محل لكثير من النظر والجدل والخلاف، أما المنقول عن العرب من نصوص فإنه لا يقبل الاجتهاد، وهو ما جعلنا نرى غير قليل من نحويي المتأخرين، وخاصة نحاة بغداد، ومتقدمي نحويي الأندلس ومصر والشام قد ذهبوا في هذه العلل كل مذهب دعا رجلا كابن مضاء القرطبييعلن الثورة عليهم، وينكر القول بالعلل الثواني والثوالث، ولا يؤمن إلا بالعلل الأولى التي بها يُتَعلم كلام العرب.

ومما أصله البصريون لعملهم وجوب تقديم السماع على القياس إذا هما تعارضا، يقول ابن جني: «إذا تعارضا نطقتَ على ما جاء عليه، ولم تقسه في غيره، وذلك نحو قوله الله تعالى: «اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَان»[2]، فهذا ليس بقياس لكنه لا بد من قبوله، لأنك إنما تنطق بلغتهم وتحتذي في جميع ذلك أمثلتهم»[3].

وههنا محا خلاف بينهم وبين الكوفيين، ونرى في قول ابن جني أن البصريين كانوا أكثر أخذا بالسماع، وقد أسس الدكتور على النجدي ناصف على هذا، أي أنهم يقدمون السماع على القياس، وخلص من رأي الكوفيين في عدم جواز تقديم الخبر على المبتدأ أنهم يرون تقديم القياس على السماع، لاقتضاء القياس أن يعود الضمير على متقدم.

ونظر الدكتورإبراهيم انيس في هذاوقال: «فإذا تساءلنا أي المدرستين كان اتجاهها أميل إلى القياس، وجب أن نقرر أن المدرسة البصرية هي التي كانت أميل إلى القياس، لا كما يقال لنا: إنَّ الكوفيين هم الذين كانوا اميل إلى القياس، فكثير من الدارسين يظنون أن

1الإيضاخ في علل النحو للزجاجي ص 65،66.

2 المجادلة:19.

3 الخصائص 117/1.

الكوفيين لأنهم وضعوا الأحكام في بعض الأحيان على الشاهد الواحد فهم لهذا أميل إلى القياس.

والحقيقة أن الكوفيين إن صح أنهم قاموا بهذا، لم يكن هذا المسلك منهم نوعا من القياس ولا شيئا من القياس، وإنما هو مظهر اعتزازهم بالنص، وعدم التفريط في هذا النص الموروث.

بِمَ نسمي إذن موقفهم؟ إنه في رأيي أقرب إلى السماع منه إلى القياس، لأنهم يعتزون بما سمعوا، ويستمسكون به، لا ليضعوا له قاعدة عامة، ولكن ليحولوا بين من يقول إن هذا النص ضعيف، أو شاذ، وغير ذلك من النعوت التي خلعها البصريون على نصوص اللغة.

ثم يقدم الدكتور إبراهيم أنيس مثالا يظهر فيه اتجاه كل من الفريقين، وهو أن نحاة البصرة لما رأوا (فَعْلا) يجمع على (فُعُول) في شواهد جمة مما روي عن الفصحاءبنوا القانون على هذا الأساس، وقضوا على ما جاء مجموعا على (أفعال) بالشذوذ، ومن هنا فجمع (حَمْل) على (أحمال) في قوله تعالى: «وأولاتُ الأحمالِ أجَلَهُنَّ انْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ» [1] شاذ لا يقاس عليه، في حين لم يرنحاة الكوفة شذوذه.

ويخلص الدكتورإبراهيم أنيس من وراء هذا إلى إبراز حسنة خلاف كهذا،فيقول: «وثمرة الخلاف بين المدرستين قد تظهر في أمرين:

1. أن الكوفيين أكثر احتراما للنص القديم، لا يصفونه بالنعوت المألوفة لدى البصريين، حين يكون قليلا أو نادرا.

2. إذا لم يرد للظاهرة اللغوية إلا شاهد واحد أو شاهدان كان البصريون لا يأبهون له، ولايرونه مما يستحق أن توضع له قاعدة، في حين أن الكوفيين كانوا يرون وضع القاعدة لها الشاهد المنفرد».

---

1 الطلاق:4.

ومضى يقرر أن المدرستين متفقتان في بناء القانون على المرويات الكثيرة، ولو خالفتها أمثلة قليلة أو نادرة[1].

والحقيقة أن ما ذهب إليه الدكتورإبراهيم أنيس من تسليم مدرسة الكوفة للشواهد الواردة أخذهم بالقياس على كل ظاهرة لغوية موصوفة بالقلة، أو الكثرة لا يبعد عما هو موجود لدى الباحثين في القديم والحديث، وإن كان موقفه مبنيا على نظرهمن جهة تمسكهم بالسماع، والأخذ به، وترك تسمية ما قل منه شاذا، فاعتبرهم سماعيين، ومن جاء نظرهمن جهة تعدد القياس على الشاهد أو الشاهدين وبناء القاعدة على ذلك اعتبرهم قياسيين، والأمر نفسه مع مدرسة البصرة، فالناظرمن زاوية منهجهم في استقراء الشواهد المنقولة عن الفضحاء، واستنباط القاعدة من الكثير الغالب رأى أنهم أدنى إلى السماع، والناظر من زاوية تمسكهم باطراد القانون وسلامة القياس، وتركهم لما حاد عن ذلك معتبرين إياه شاذا أو نادرا،أو قليلااعتبرهم أقرب إلى القياس، وعلى هذا يتعذر الحكم بأن أحد الفريقين أكثر أخذا بالنص المنقول، فإن الفرقين جميعاأقاموا منظومة القوانين النحوية على المنقول من الكلام العربي الفصيح.

وتأسيسا على هذا يمكن المضي إلى تلخيص منهج المدرستين في مايلي:

1. التثبت من نقل اللغة المروية عن الفصحاء،فلم يقع النقل إلا عن القبائل العربية الموغلة في أعماق الصحراء، أي القبائل التي لم تخالطالعجم.
2. الإيمان بوجوب اطراد القاعدة، وأن يكون القياس قياسا سليما.
3. بناء القوانين النحوية الغالب الكثير فيالكلام العربي الفصيح، واعتبار ما كان دون ذلك شاذا أو قليلا أو نادرا أو لغة.
4. أخذهم بالقرآن الكريم، وبوجوه القراءات فيهعند صياغة القوانين، وأما ما روي من القراءتمخالفاللقياس فعمدوا إلى أن يؤولوه على وجوه من التأويل ترجع به إلى القياس.

---

1 من أسرار اللغة ص24-26.

5. عزوفهم عن الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف إلا في مستوى بسيط جدا، فقد رأوا أن الحديث الشريف روي بالمعنى دون اللفظ في غالب حاله، وأن غالب رواته والمشتغلين بنقله كانوا أعاجم ومولدين كما أن تدوين الحديث لم يقع إلا بعد منتصف القرن الثاني من الهجرة. وهو ما قلل الاطمئنان إلى الحديث في أحكام اللسان العربي.

6. الاهتمام بالتعليل النحوي، ما جعلهم حريصين على التماس علة لكل ظاهرة لغوية، ولم يكتفوا بالعلل الأولى، وتجاوزها إلى العلل الثواني والثوالث، وهم أيضا لم يكتفوا بالمأثور عن العرب، وراحوا يتوسعونيجتهدون في طلب العلل النحوية.

*** *** *** *** ***

المحاضرةالسابعة:نحاة البصرة

تطرقنا من قبل إلى أن مدرسة البصرة هي مؤسسة النحو العربي، وأن أبا الأسود الدؤلي هو مؤسسه لدى غالب مؤرخي النحو العربي، وقد رجح بعضهم أن يكون سيدنا علي–كرم الله وجهه، هو البادئ بالكلام في النحو، وأنه من أمر أبا الأسود ووجهه إلى أن يكمل ما استأنفه، ثم أخذ عن أبي الأسود جمع من النحاة الأولين، وهم في غالبهم قراء القرآن الكريم، وههنا عرض لأوائل النحويين في البصرة ساعين إلى إظهار جهودهم في بناء هذا العلم.

1–أبو الأسود الدؤلي:

- اسمه: هو ظالم بن عمرو بن سليمان بن عمرو بن حلس بن نفاثة بن عدي بن الدئل بن بكر بن كنانة، سكن البصرة، وصحب عليًّا – رضي الله عنه، وكان من أتباعه، وفي ذلك يقول:

يقول الأرذلون بنو قشيرٍ***طول الدهر لا تنسى عليًّا

أحب محمدا حبًّا شديدًا***وعباسًا وحمزةَ والوصيًّا

فإنْ يكُ حبُّهم مرَشَدًا***ولستُ بمخطيء إنْ كان غيًّا

وكان نازلا في بني قشير بالبصرة.

وقد أخذ عنه جماعة منهم: يحي بن يعمر، وميمون الأقرن، وعنبسة بن معدان الفيل، ويقال: إن نصر بن عاصم أخذ عن أبي الأسود[1].

قال الأستاذ علي النجدي ناصف: «ولسنا نعرف من نحوهم شيئا، ولا نجد لهم ذكرا في كتاب سيبويه، ولا عنهم رواية فيه»[2].

وكان من أفصح الناس، قال قتادة بن دعامة السدوسي: «قال أبو الأسود الديلي: إني لأجد للحن غَمَرّا كغَمَرِ اللحم»[3].

وكان فطنا سريع الجواب، فلما قال –فيما قال–يرد على بني قشير إنكارهم عليه آل البيت:

فإنْ يكُ حبهم رشدا أصبه***ولست بمخطئ إن كان غيًّا

قالت له بنو قشير: شككت يا أبا الأسود في قولك: (فإنْ يك حبهم)، فقال أما سمعتهم قول الله –عز وجل: «وإنا أو إياكم لعلى هُدى أو في ضلالٍ مبين»[4]

وإليه ينسب كثير من الرواة وضع النحو، كما أنه أول من ضبط المصحف، حيث نقطة نقط إعراب، وقد وردت عنه بعض القراءات، فقد قرأ: «ألا إنَّهم تَثْنَوْنِي صدورُهم»[5] – بتاء مفتوحة، وسمون الثاء، وفتح النون، وسكون الواو، وكسر النون–على (تَفْعَوْعِلُ)[6]، ورفع (صدورهم).

---

1 أخبار النحويين البصريين للسيرافي ص 33،34،40.

2 تاريخ النحو ص15.

3 أخبار النحويين والبصريين للسيرافي ص36، غَمَر اللحم: ريحه، وما يعلق باليد من دسمه.

4 سبأ: وانظر: إنباه الرواة للقفطي52/1.

5 هود:5.

6 المحتسب لابن جني 318/1،319.

كما قرأ: «قالتْ هَيْتِ لك»[1] –بفتح الهاء، وكسر التاء[2].

ومات أبو الأسود بالبصرة سنة تسع وستين للهجرة، وهو إبن خمس وثمانين سنة، في طاعون جارفن ويقال: مات قبل الطاعون سنة إثنتان وسبعين للهجرة[3].

2– نصر بن عاصم:

- اسمه: هو نصر بن عاصم بن أبي سعيد الليثي البصري المقرئ النحوي، أول العلماء في علم النحو، ونسب بعضهم إليه وضع النحو، وهو أول من أخذه عن أبي الأسود، وكان تابعيًّا، وروى عن عمرو بن دينار، قال: اجتمعت أنا والزهري ونصر بن عاصم، فتكلم نصر، فقال الزهري: إنه ليفلق بالعربية تفليقا.

وقد أخذ عنه أبو عمرو بن العلاء والناس، وأخذ القراءة عنه عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي البصري[4].

وتذكر بعض كتب التراجم أن له كتابا في النحو، وهو من القراء، حيث نسبت إليه بعض القراءات، ومن ذلك: «قل هو اللهُ أحدُ اللهُ الصمد» [5] –بترك تنوين (أحد) عند الوصل[6].

ويقال: إنه أول من نقط المصحف نقط إعجام، لتمييز الحروف المتشابهة بعضها عن بعض مثل الباء، والتاء، والثاء، والجيم، والحاء، والخاء....إلخ،وذلك بأمر من الحجاج بن يوسف الثقفي[7]، ومات نصر بن عاصم سنة تسع وثمانين للهجرة [1].

---

1 يوسف:23.

2 المحتسب 338/1.

3 إنباه الرواة 55/1.

4 اخبار النحويين البصريين ص39، وإنباه الرواة 343/3،344.

5 الإخلاص:1،2.

6 تاريخ العلماء النحويين للتنوخي المعري ص158–159.

7 التصحيفوالتحريف لأبي أحمد العسكري ص10، والمدارس النحوية ص16،17.

3-عنبسة الفيل:

- اسمه: هو عنبسة بن معدان الفيل المهري، ولقب بالفيل، لأن أباه كان يروض فيلا للحجاج، فغلب عليه اللقب، ثم انتقل منه إليه، ولم نقف على تاريخ وفاته إلا أننا نعرف أنه عاصر الفرزدق، فلعل وفاته كانت حول المائة الأولى من الهجرة[2].

ويعده القفطي من نحاة الطبقة الثالثة، لأنه يروي عن أبي الأسود، وأبو الأسود عن علي -كرم الله وجهه، ويضم إلى هذه الطبقة ممن أخذوا عن أبي الأسود ميمون المعروف بالأقرن، وعطاء بن أبي الأسود، وأبو نوفل بن أبي عقرب، ويحي بن يعمر، وقتادة بن دعامة السدوسي، وعبد الرحمن بن هرمز، فكل هؤلاء اخذوا عن أبي الأسود، وتفاوتت مقاديرهم في العلم بهذا النوع من العربية[3].

وعدَّ القفطي هؤلاء من الطبقة الثالثة مبني على ما رجحه من أن عليًّا -كرم الله وجهه- هو الواضع الأول لعلم النحو، ثم أخذ عنه أبو الأسود ممثلا للطبقة الثانية، ثم هؤلاء يمثلون الطبقة الثالثة.

وقد صنفهم الشيخ محمد الطنطاوي في الطبقة الأولى على الرغم من أخذهم عن أبي الأسود[4]، ولعله لا يعد أبا الأسود صاحب الطبقة الأولى؛ لأنه هو واضع النحو كما يرجح، والظاهر أن هؤلاء يمثلون الطبقة الثالثة اتباعا للقفطي باعتبارهم آخذين عن أبي الأسود الذي أخذ عن علي – كرم الله وجهه-

---

1 بغية الوعاة 2/313،314.

2 أخبار النحويين البصريين للسيرافي ص41،42، ونشأة النحو للشيخ الطنطاوي ص 41،42.

3 إنباه الرواة 2/381،382.

4 نشأة النحو ص41،42.

4-ميمون الأقرن:

وهو ممن أخذوا عن أبي الأسود، وكان يقال: إن أول من وضع النحو أبو الأسود الدؤلي، ثم ميمون الأقرن، ثم عنبسة الفيل، ثم عبد الله بن أبي إسحاق، وعبد الله بن أبي إسحاق ليس من هذه الطبقة إلا أنه أدرك آخر عصرهم[1].

وذكر السيوطي أنه أخذ النحو عن عنبسة، وقيل: عن أبي الأسود، وأن عنبسة أخ عنه[2].

ولم تذكر كتب التراجم تاريخ وفاته.

5-عطاء بن أبي الأسود:

هو عطاء بن أبي الأسود الدؤلي، عالم بالنحو والعربية، وهو الذي اتفق بعد موت أبيه هو ويحي بن يعمر على بسط النحو، وتعيين أبوابه، وبعج مقاييسه، ولما تولى أبوه البصرة من قِبل علي وابن عباس -رضي الله عنهم- كان على شرط أبيه ولم يعقب، ولما استوفى هو ويحي بن يعمر جزءا متوفرا من أبواب النحو نسب بعض الرواة إليهما أنهما أول من وضع النحو، وتوفي سنة مائة وتسع للهجرة[3].

6- عبد الرحمن بن هرمز:

هو عبد الرحمن بن هرمز بن أبي سعد المدني المقرئ النحوي: أبو داود الأعرج، قال أهل العلم: إنه أول من وضع علم العربية، وهو مدني تابعي، أخذ عنه نافع بن أبي نعيم القراءة في جماعة من أهل المدينة، وكان أخذ القراءة عن عبد الله بن العباس -رضي الله عنهما، وأبي هريرة، ومات بالإسكندرية، ودفن بها سنة مائة وسبع عشرة للهجرة[4].

---

1 إنباه الرواة /337،338.

2 بغية الوعاة 309/2.

3 إنباه الرواة 380/2،381.

4 إنباه الرواة 172/2،173، وبغية الوعاة91/2.

وقد مر بنا أنه من الذين نسب إليهم وضع النحو، كما نسب وضعه إلى أبي الأسود، وإلى نصر بن عاصم[1].

وهو من القراء، ومن قراءاته: «صِراطَ الذينَ أنعمتَ عليهم»[2] –بضم الهاء، وبضم الميم مشبعة[3].

ومن قراءاته أيضا: «لَمَّا آتيناكم مِنْ كِتابٍ وحكمة» [4] –بفتح اللام وتشديد الميم في (لما)، وبالنون وألف بعدها في (آتيناكم)[5].

7–يحي بن يعمر التابعي:

وهو رجل من عدوان بن قيس بن عيلان بن مضر، وكان عداده في بني ليث من كنانة، وكان مأمونا عالما، قد روى عنه الحديث، ولقي ابن عمر وابن عباس وغيرهما، وسمع عن جابر وأبي هريرة، وأخذ النحو عن أبي الأسود وروى عنه قتادة وغيره.

ويروى أن الحجاج بن يوسف سأل يحي بن يعمر: أتجدني ألحن، قال الأمير أفصح من ذلك، قال: عزمتُ عليك لتخبرني، وكانوا يعظمون عزائم الأمور، فقال يحي: نعم، في كتاب الله، فقال الحجاج: في أي شيء من كتاب الله، قال: قرأت: «قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله» [6]، فترفع(أحب)، وهو منصوب، قال: إذًا لا تسمعني ألحن بعدها، فنفاه إلى خراسان.

---

1 راجع: أخبار النحويين البصريين للسيرافي ص40.

2 الفاتحة:7

3 المحتسب لابن جني 44/1.

4 آل عمران:18.

5 المحتسب164/1.

6 التوبة:24.

وتوفي يحي سنة مائة وتسع وعشرين للهجرة[1].

وهو أيضا من القراء، ومن قراءاته: «اشتروِا الضلالةَ» [2] –بكسر الواو وصلا [3]، وقوله تعالى: «تمامًا على الذي أحسنُ»[4] –بالرفع[5].

فهؤلاء أوائل نحاة البصرة الذين أخذوا عن أبي الأسود، فأسهموا في تأسيس صرح النحو، وهم جميعا من قراء القرآن الكريم، وقد رويت عنهم قراءات كثيرة تناقلتها كتب الشواذ، وكتب التفسير.

وقد ذكرنا أن بعض المترجمين عدهم من الطبقة الأولى، وعد بعضهم تلاميذ أبي الأسود الطبقة الثالثة بناء على أن سيدنا عليًّا –كرم الله وجهه– يمثل الطبقة الأولى، وأن أبا الأسود يمثل الطبقة الثانية.

الطبقة الثانية من نحاة البصرة

وهنا نتعرض إلى طبقة ثانية من النحاة الذين تلواالذين ذكرناهم من الصدر الأول من النحاة، وهذه الطبقة تعد المؤسسة الحقيقيةللنحو، قال الدكتور/شوقي ضيف: «يعد ابن أبي إسحاق الحضرمي أول النحاة بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة، ويتبعه في هذه الأولية المبكرة جيل من تلاميذه في مقدمتهم: عيسى بن عمر، وأبو عمرو بن العلاء، ويونس بن حبيب» [6].

وهنا نتحدث عن كل واحد منهم بما يبرز جهوده في بناء صرح النحو العربي.

---

1 اخبار النحويين البصريين ص40،41.

2 البقرة: 16.

3 المحتسب 54/1.

4 الأنعام: 154.

5 المحتسب 234/1.

6 المدراس لنحوية ص 22.

1-عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي:

قال ابن سلام عنه: «ثم كان من بعدهم عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، وكان أول من بعج النحو، ومد القياس والعلل»[1].

وقد أخذ عن يحي بن يعمر، ونصر بن عاصم، وهو إلى جانب تفريعه للنحو، وإعمال القياس فيه درس الهمز، وله فيه كتاب، وقد عاصره عيسى بن عمر الثقفي، وأبو عمرو بن العلاء، لكنه مات قبلهما، ويقال: إن ابن أبي إسحاق كان أشد تجريدا للقياس، وكان أبو عمرو أوسع علما بكلام العرب، ولغاتها، وغريبها، وقد جمع بينهما بلال بن أبي بردة، وهو حينئذ عامل على البصرة من قِبل خالد بن عبد الله القسري أيام هشام، فقال أبو عمرو بن العلاء: فغلبني ابن أبي إسحاق يومئذ بالهمز، فنظرت فيه بعد ذاك، وبالغت فيه، وسئليونس بن حبيب عن ابن أبي إسحاق وعلمه، فقال: هو والنحو سواء، أي: هو الغاية.

وكان يكثر الرد على الفرزدق، والتعنت له، فلما قال الفرزدق في قصيدة يمدح فيها يزيد ابن عبد الملك:

مستقبلين شمالَ الشام تضربُناحاصبٍ كنديفِ القطن منثورِ

على عمائمنا يلقى وأرحلناعلى زواحفَ تُزجى مخها ريرُ

فألح عليه ابن أبي إسحاق وعابه بخفض البيت الأول ورفع البيت الثاني، فغيره الفرزدق فقال:

على زواحفَ تزجيها محاسيرِ

ويعتبرهابن سلام المؤسس الحقيقي لعلم النحو؛ فيجعله أول من صاغ قوانينه، وأول من أوجب طرد القياس فيها، فيحمل غير المسموع على المسموع، ونقلوا: "أن يونس بن حبيب سأله عن كلمة (السويق)، وهو الناعم من دقيق الحنطة، هل ينطقها أحد من

---

1 طبقات فحول الشعراء ص13، وما بعدها.

العرب(الصويق) بالصاد؟ فأجابه نعم قبيلة عمرو بن تميم تقولها، ثم قال له: وما تريد إلى هذا؟ عليك بباب من النحو يطرد وينقاس"، وهو لم يهتم بالقياس على القواعد المطردة فحسب، بل امتد اهتمامه أيضا إلى التعليل للقواعد تعليلا يمكن لها في عقولالمتعلمين، وقد تمسك تمسكا شديدا بتلك القوانين المعللة، ودعا إلى القياس عليها قياسا دقيقا بحيث منع الخروج عليها، وخطأ كل من ينحرف في كلامه عنها، وقد تقدم مثال لتخطئته الفرزدق.

وكان ابن أبي إسحاق قارئا من قراء القرآن الكريم، وقد رويت له وجوه وحروف من القراءات كثيرة، ولم يكن يرى بأسا في الخروج عن جمهور القراء في بعض الحروف تمسكا بالقياس النحوي:

- ومن ذلك قراءته بنصب (السارق والسارقة) في قول تعالى: «والسارقَ والسارقةَ فاقطعوا أيديهما» [1]، في مقابل قراءة الجمهور بالرفع على الابتداء [2]، وكأنه رأى النصب أقيس من الرفع؛ لأن الرفع يقتضي الإخبار بالجملة الطلبية، وهو قليل، ولذلك رجح النحاة في مثل هذا النصب على الاشتغال.
- ومن قراءاته أيضا: «فاجمِعوا أمركم وشركاؤكم» [3] –بكسر الميم، وقطع الهمزة في (أجمعوا)، ورفع (شركاؤكم)[4].

ولم يعرف له كتاب في النحو، وإن أوردت بعض كتب التراجم أن له كتابا في الهمز، ويظهر أنه بحث فيه رسم الهمزة في الوصل، وفي القطع، في التسهيل، وحين تدخل على همزة أخرى وحين تتصل بحروف العلة.

وتوفي سنة مائة وسبع عشرة للهجرة [1].

---

1 المائدة: 38.

2انظر: تفسير البحر المحيط 493/3.

3 يونس: 71.

4 المحتسب 314/1.

2-عيسى بن عمر الثقفي:

وهو من طبقة أبي عمرو بنالعلاء البصري، وليس بعيسى بن عمر الهمداني الكوفي، من موالي آل خالد بن الوليد، نزل في ثقيف، فنسب إليهم، إمام في النحو والعربية والقراءة، مشهور، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء، وعبد الله بن أبي إسحاق، وروى عن الحسن البصري، والعجاج بن رؤبة، وجماعة، وعنه روى الأصمعي وغيره، وعنه أخذ الخليل بن أحمد، وله كتابان في النحو: سمى أحدهما: (الجامع)، والآخر: (الإكمال)، وفيهما يقول تلميذه الخليل:

بَطَلَ النحو جميعًا كلُّه***غير ما أحدث عيسى بن عُمَرْ

ذاك إكمالٌ، وهذا جامعٌ***فهما للناسِ شمسٌ وقَمَرْ

قال السيرافي: «وهذان الكتابان ما وقعا إلينا، ولا رأيت أحدا يذكر أنه رآهما»، ويقال: إن له نيفا وسبعين مصنفا ذهبت كلها.

وكان عيسى بن عمر شديد التمسك بالقياس كأستاذه ابن أبي إسحاق، كما كان غيره من نحاة البصرة يقيس على الأغلب الأعم في اللغة، ويعد ما خالف ذلك لغات، قال محمد بن سليمان لعيسى يوما: أخبرني عن هذا الذي وضعت، أيدخل فيه كلام العرب كله؟ قال: لا، قال: فمن تكلم بخلافك، واحتذى ما كانت العرب تتكلم به، تراه مخطئا؟ قال: لا، فقال: فما ينفع كتابك؟

وكان عيسى بن عمر فصيحا، ويروى عنه أشياء كثيرة من القراءات[2].

---

1 راجع ترجمته في: أخبار النحويين البصريين للسيرافي ص 42-44، ومراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ص 12، وإنباه الرواة للقفطي 2/104-108، والمدارس النحوية للدكتور شوقي ضيف 23-25،وتاريخ النحو للأستاذ علي النجدي ناصف ص15.

2 أخبار النحويين البصريين 49،50، وإنباه الرواة للقفطي 2/ 374-377، وبغية الوعاة 2/237،238.

- فمن قراءاته: «حتى إذا أخذتْالأرضُ زُخرفها وأزْيَنَتْ» [1] –بقطع الهمزة، وسكون الزاي، وتخفيف الياء[2].
- ومن قراءاته أيضا: «هؤلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرَ لَكُم»[3] –بنصب (أطهر)[4].

ومن آرائه النحوية ما حكاه سيبويه من أنه كان يقيس نصب (مطرا) في قول الأحوص:

سلامُ اللهِ، يا مطرًا،عليها***وليس عليك، يا مطرُ، السلامُ

على نصب(رجلا) في قولهم: (يا رجلا)، فجعله كالنكرة غير المقصودة، قال سيبويه معقبا على ذلك: (ولم نسمع عربيا يقوله، وله وجه من القياس إذا نون وطال كالنكرة)[5]

توفي عيسى بن عمر سنة مائة وتسع وأربعين للهجرة قبل أبي عمرو بن العلاء بخمس أو ست سنوات، وقيل: سنة مائة وخمس وأربعين للهجرة [6]، وذلك بعد أن خلف مادة نحوية هيأت لتلاميذه من بعده، وعلى رأسهم الخليل بن أحمد تشييد صرح النحو.

3–أبو عمرو بن العلاء:

هو أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن عبد الله المازني النحوي المقرئ، أحد القراء السبعة المشهورين.

---

1 يونس:24.

2 المحتسب لابن جني 311/1.

3 هود: 78.

4المحتسب 325/1.

5 الكتاب203/2.

6 إنباه الرواة 374/2–377، وبغية الوعاة للسيوطي238/2.

وقد اختلفوا في اسمه على واحد وعشرين قولا ذكرها السيوطي، أصحها عنده: (زبان)، وقيل: لا اسم له غير أبي عمرو، وذكر المبرد انه من بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، فهو حينئذ عربي خالص.

أخذ أبو عمرو عن جماعة من النابغين، وقرأ القرآن على سعيد بن جبير، ومجاهد، وروى عن أنس بن مالك، وأبي صالح السمان، وعطاء وطائفة.

وقد قرأ عليه اليزيدي، وعبد الله المبارك، وخلق كثير، وأخذ عنه الأدب وغيره أبو عبيدة والأصمعي، وخلق.

وكان مقدما في القراءة، وهو من أئمة القراءات السبع المتواترة، قال سفيان بن عيينة: رأيت النبي صلى الله عليه وسلمفي النوم، فقلت: يا رسول الله قد اختلفت عليَّ القراءات، فقراءة مَنْ تأمرني؟ فقال: بقراءة ابي عمرو بن العلاء.

كما عرف أبو عمرو في عصره بنبوغه في اللغة والنحو والأدب والرواية عن العرب، نقل عنه الأصمعي قوله: لقد علمت من النحو ما لم يعلمه الأعمش، وما لو كتب لما استطاع أن يحمله.

وقال الأصمعي: سألت أبا عمرو بن العلاء عن ألف مسألة، فأجابني منها بألف حجة، وقال أبو عبيدة: كان أبو عمرو أعلم الناس بالعرب، والعربية، وبالقرآن والشعر، وكان رأسًا في حياة الحسن بن أبي الحسن البصري مقدمًا في عصره، وكانت داره خلف دار جعفر بن سليمان.

كانت كتبه التي كتبها عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتا له إلى قريب من السقف، ثم إنه تغير، فأحرقها كلها، وكانت عامة أخباره عن أعراب قد أدركوا الجاهلية، قال الأصمعي: سألت أبا عمرو بن العلاء عن قوله تعالى: «فَعَزَّزنا بثالثٍ»[1] –مثقلة، فقال: شددنا.

---

1 يس:13.

وقد توفي أبو عمرو سنة مائة وأربع وخمسين للهجرة، وقيل: سنة مائةوتسع وخمسين للهجرة[1].

وقد عده الشيخ محمد الطنطاوي ثالث نحوي من نحاة الطبقة الثانية التي تبدأ بعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، ثم عيسى بن عمر الثقفي، وقد رجح ما صححه ياقوت من أن إسمه (زبان)، لما روى أن الفرزدق جاء معتذرا إليه من هجوٍ بلغه عنه، فقال له أبو عمرو:

هجوتَ زبَّانَ ثم جئت معتذرًا***من هجو زبَّانَ لم تَهْجُ ولم تَدْعِ

فاعتذر إليه الفرزدق، ومدحه بمقطوعة منها قوله:

ما زلت أفتح أبوابًا، وأغلقها***حتى أتيتُ أبا عمرو بن عمَّارِ

وقد أخذ أبو عمرو النحو عن نصر بن عاصم وغيره، واشتهر بالقراءات، والعربية، وأيام العرب، ولهجات القبائل.

وقد روي أن عيسى بن عمر الثقفي جاءه متعجبا من تجويزه رفع (المسك)في قولهم: (ليس الطيبُ إلا المسكُ)، فقال له أبو عمرو: نمت يا أبا عمرو وأدلج الناس، ليس في الأرض تميمي إلا وهو يرفع، ثم أرسل اليزيدي وخلفا الأحمر لتثبت من العرب، فكان كما أخبر أبو عمرو بن العلاء، فأخرج عيسى خاتمه من يده، وقال: ولك الخاتم، بها والله فقتَ الناس[2].

فهذه الرواية تعبر عن تميز أبي عمرو بن العلاء على سواه في المعرفة بلغات العرب ولهجاتها، فوق تميزه في النحو، إلا أن تميزه في اللغة واللهجات العربية، وأيامها وأشعارها كان أظهر تفوقه في النحو، فلم يكن النحو غالبا عليه، وهو ما قد يفسر أن سيبويه لم يرو

---

1 أخبار النحويين البصريين للسيرافي ص 46، وإنباه الرواة للقفطي 4/ 131-139، وبغية الوعاة 232،231/2.

2 نشأة النحو، للشيخ محمد الطنطاوي: 45،44.

عنه، ولا عن تلاميذه شيئا ذا بال في النحو. وإن كان روى عنه بعض الشواهد اللغوية، ولم يأخذها عنه مباشرة، إنما نقلها عن تلميذه يونس بن حبيب، وكأنه لم يلقه ولم يجلس إليه[1].

ويعبر منهج أبي عمرو في بناء القواعد عن نظرية المدرسة البصرية في التقعيد والأخذ بالأغلبالأعم من كلام العرب، وقد يدل على هذا أن بعضهم قال له: أخبرني عما وضعت مما سميته عربية، أيدخل فيها كلام العرب كله؟ فقال: لا، فقال له: كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة، قال: أعمل على الأكثر، وأسمي ما خالفني لغات.

وقد جاء في كتب النحو آراء نادرة تنسب إلى أبي عمرو، منهاما رأى من أن المنصوب بعد (حبذا) في نحو قولهم: (حبذا محمد رجلا) تمييز مطلقا[2].

وجاء عند د. شوقي ضيف نقلا عن المغني أن أبا عمرو يرى أن المنصوب بعد (حبذا) حال لا تمييز[3]، وعند ابن هشام في المغني ما يخالف ذلك.

ومن ذلك أيضا منعه صرف كلمة (سبأ) في قوله تعالى: «وجئتكَ مِنْ سبإٍ بنبإٍ يقين»[4]، فقد قرأ بعدم تنوينها مجرورة بالفتحة[5]، على جعلها اسما للأرض، أو للمدينة، أو للقبيلة.

وكان أبو عمرو يجيز رفع (المسك) في قولهم: (ليس الطيبُ إلا المسكُ)؛ وذلك اتباعا للغة تميم، حيث يحملون (ليس) التي انتفض نفيها بـ (إلا) على (ما) في الإهمال[6].

ومر بنا آنفا ما دار بين عيسى بن عمر الثقفي الذي كان ينكر الرفع، وأبي عمرو بن العلاء الذي كان يجيزه من حوار حول هذه المسألة.

---

1 المدارس النحوية ص27.

2 مغني اللبيب 463/2.

3 المدارس النحوية ص28.

4 النمل: 22.

5 حجة القراءات لأبي زرعة ص525.

6 التذييل والتكميل لأبي حيا 300/3.

هذه آراء نحوية روتها كتب النحو عن أبي عمرو بن العلاء، ولا تدل قلتها أنه على قلة اهتمامه بالنحو، بل ربما يفسر هذا إحراقه ما وضع من الكتب، فضاعت آراؤه. كما قد يرجع ذلك أيضا إلى كون اشتغاله بالقراءات جعله يهتم بالنقل والرواية أكثر من عنايته بالاجتهاد والرأي.

الطبقة الثالثة من نحاة البصرة

وفي هذا الجيل من النحاة البصريين سيطالعنا جمع ممن تعج بذكرهم كتب الطبقات، والتراجم التي تخص النحو واللغة، ومنهم: حماد بن سلمة بن دينار النحوي اللغوي، وتذكر كتب التراجم أنه كان إمامًا فاضلا قديم العهد، وقد أخذ عنه يونس بن حبيب، قيل ليونس: أيكما أسن، أنت أم حماد بن سلمة؟ قال: هو أسن مني، ومنه تعلمت العربية، وكانت رواية الحديث هي الغالبة على حماد، غير أنه كان أيضا معنيًّا بالنحو، وكان يرى أن تعلم النحو ضرورة لمن يشتغل بالحديث، وفي ذلك يقول: «مَثَلُ الذي يطلب الحديث ولا يعرف النحو مَثَلُ الحمار عليه مخلاة ولا شعير فيها»، وكان له حلقة يعلم فيها النحو، قال يونس بن حبيب: كان حماد رأس حلقتنا، ومنه تعلمت العربية[1].

ويقول د. شوقي ضيف إن كتب التراجم لم ترو له آراء نحوية، ولذلك لا يعده ضمن جماعة النحاة الأساسيين[2].

ولا يصح إخراجه من النحاة باعتبار عدم وجود أنظار نحوية له في كتب النحو، فليس هذا معيارا ضروريا لاهتمامه بالنحو، فهو في هذا كالنحاة المتقدمين الذين ذهبت أقوالهم. وجائز أن تكون له أقوال منسوبة إلى تلاميذه، ولا يستقيم إخراجه من النحاة، وقد نقل عنه أئمة منهم، مثل: يونس بن حبيب، وسيبويه، وتروي كتب الطبقات أن سيبويه سأله، فقال: أحدثك هشام بن عروة عن أبيه في رجل رُعِف في الصلاة ظ فقال حماد: أخطأت يا

---

1 إنباه الرواة 1/ 364،365.

2 المدارس النحوية ص22.

سيبويه، إنما هو: رَعَف، فانصرف سيبويه إلى الخليل شاكيًا ما لقيه من حماد، فقال الخليل: صدق حماد، أمثلة يُلقى بمثل هذا؟ وتوفي حماد سنة مائة وسبع وستين للهجرة[1].

ومهم الأخفش الأكبر: أبو الخطاب عبد الحميد عبد المجيد مولى قيس بن ثعلبة من أهل هجر، أول الأخافشة الثلاثة المشهورين، والثاني الأخفش الأوسط: أبو الحسن سعيد بن مسعدة تلميذ سيبويه، والثالث الأخفش الصغير: علي بن سليمان.

أخذ الأخفش الأكبر عن أبي عمرو بن العلاء وطبقته، وأخذ عنه يونس بن حبيب وسيبويه، وهو من أئمة اللغة والنحو، وله ألفاظ لغوية انفرد بنقلها عن العرب، وتوفي سنة مائة وسبع وسبعين للهجرة.

يقول د. شوقي ضيف: «وليست له في النحو آراء موروثة، وقد أكثر سيبويه من الرواية عنه في كتابه»[2].

ومن هذه الطبقة يونس بن حبيب، والخليل بن أحمد الفراهيدي، وهنا نورد لكل واحد منهما كلمة نظهر من خلالها جهوده في تطوير الدرس النحوي.

1-يونس بن حبيب:

هو: أبو عبد الرحمن الضبي النحوي، مولى لهم، أي: لبني ضبة، وكان من أهل جَبُّل -بفتح الجيم، وضم الباء المشددة، وهو المكان الذي نشأ فيه.

ولد ما بين تسع وسبعين للهجرة، وخمس وتسعين، على خلاف بين الرواة، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء، وحماد بن أبي سلمة، وكان النحو أغلب عليه، قال السيرافي عنه: «أما يونس بن حبيب فإنه بارع في النحو، من أصحاب أبي عمرو بن العلاء» [3]، وقد سمع من العرب كما سمع مَنْ قبله، وقد روى عنه سيبويه وأكثر، وله قياس في النحو، ومذاهب

---

1 إنباه الرواة1/364،365.

2 المدارس النحوية ص22.

3 أخبار النحويين البصريين ص51،52.

يتفرد بها، وقد سمع عنه الكسائي والفراء، وكانت حلقته بالبصرة ينتابها أهل العلم، وطلاب الأدب، وفصحاء الأعراب والبادية، رُوى أن رجلا سأل الكسائي بحضرة يونس بن حبيب: أي شيء يشبه (أي) من الكلام، فقال الكسائي: (ما)، و(مَنْ)، فقال له السائل: فكيف تقول: لأضربنَّ مَنْ في الدار؟ قال الكسائي: لأضربنَّ مَنْ في الدار، قال: فكيف تقول: لأركبنَّ ما تركب؟ قال: لأركبنَّ ما تركب، قال له: فكيف تقول: ضربت مَنْ في الدار؟ قال: ضربت مَنْ في الدار، قال: فكيف تقول: ركبت ما ركبت، قال: ركبتُ ما ركبتَ، قال: فكيف تقول: لأضربنَّ أيُّهم في الدار، قال: لأضربن أيُّهم في الدار، قال: فكيف تقول: ضربت أيُّهم في الدار؟ قال: لايجوز ذلك، قال: لِمَ؟ قال: (أيٌّ) كذا خلقت، فغضب يونس، وقال: تؤذون جليسنا ومؤدب أميرالمؤمنين.

هذا الخبر يقطع بأن مجلس يونس بن حبيب كان مليئا بالعلماء،مليئا بالمناظرات، و أوردت كتب التراجم مصنفات له، وإن لم يصل إلينا منها شيء، ومنها: معاني القرآن، واللغات، والنوادر الكبير، والأمثال، والنوادر الصغير، وتوفي سنة مائة واثنتين وثمانين للهجرة، ما بين السبعين والثمانين من عمره[1].

وقد أكثر سيبويه من النقل عن يونس، حيث تردد اسمه كثيرا في كتابه، ولكن غالبا في شواهد اللغة لا في الآراء النحوية، وقد فسر د. شوقي ضيف ذلك بأن سيبويه لم يكن يُعجب بآرائه، بل كان مغرمًا بآراء الخليل النحوية، ومن ثم كان يونس أمة وحده في نحوه وأقيسته التي تفرد بها[2].

وقد تناولت كتب النحو بعض الآراء النحوية التي خالف فيها يونس جمهور النحاة، ومن ذلك رأيه في حقيقة (أي) الواردة في قوله تعالى: «ثُمَّ لَنَنْزِعنَّ من كُلِّ شيعةٍ أيُّهم أشدُّ على الرحمن عِتيًّا» [3]، فقد رأى سيبويه أن (أيهم) اسم موصول بمعنى (الذي) مبني على

---

1 أخبار النحويين البصريين للسيرافي ص51،52، إنباه الرواة للقفطي 4/74-78.

2 المدارس النحوية ص28.

3 مريم:69.

الضم في محل نصب مفعولا به للفعل: (لننزعن)، ورأى الخليل أنها اسم استفهام مرفوع على الابتداء، وخبره (أشد)، أما مفعول (لننزعن) فهو محذوف، والتقدير: (لننزِعنَّ من كل شيعة الفريق الذي يقال فيهم أيهم أشد)، أما يونس فقد وافق الخليل في كون (أيهم) اسم استفهام معربا مرفوعا على الابتداء، وخبره: (أشد)، إلا أنه يخالفه في مفعول (لننزعن)، فليس محذوفا عنده، بل هو جملة الاستفهام، وقد علق الفعل عن العمل في لفظها، وعمل في محلها النصب[1].

ومن آراء يونس النحوية ما نقله عنه سيبويه من جواز إلغاء (إذن) حين تقع بعد حرف عطف كالفاء أو الواو مثلا، ومن ثم يجوز في المضارع بعدها الرفع والنصب، وقد استحسن سيبويه رأي يونس، وهو إلغاؤه، قال سيبويه: «وهذا قول يونس، وهو حسن» [2] ومن آراء يونس التي استحسنها سيبويه تصغيره لكلمة (أَحْوَى) على (أُحَيّ) مانعا إياها من الصرف قياسا على (أَحْمَر) وأمثالها، وقد فضل سيبويه هذا الرأي على رأي عيسى بن عمر، حيث صغرها على (أُحَيٌّ) –مع التنوين، وقد وصف سيبويه رأي عيسى هذا بالخطأ، كما فضل رأي يونس أيضا على رأي أبي عمرو بن العلاء، حيث صغرها على (أُحَيٍّ)، وكأنه يعاملها معاملة المنقوص، مثل: (قاضٍ)، ووصف سيبويه رأي أبي عمرو بأنه مخالف للقياس، قال سيبويه: «وأما يونس فقوله: (هذا أحَيٌّ)–كما ترى،وهو القياس والصواب»[3].

كما استحسن سيبويه ما ذهب إليه يونس من جواز دخول نوني التوكيد على الفعل المضارع المسبوق بأداة العرض أو التحضيض قياسا لهما على الاستفهام، قال سيبويه:

---

1 راجع مغني اللبيب 77/1.

2 الكتاب 15/3.

3 الكتاب 472/3، وراجع: يونس البصري: حياته وآثاره ومذاهبه للدكتور/أحمد مكي الأنصاري ص142.

«وزعم يونس أنك تقول: (هلا تقولنَّ)، و(ألا تقولنَّ)، وهذا أقرب لأنك تعرض، فكأنك قلت: (افعل)؛ لأنه استفهام فيه معنى العرض»[1].

إلى غير ذلك من الآراء التي استحسنها سيبويه فضلا عما نقله سيبويه، ولم يستحسنه.

ومما تفرد به يونس أنه كان يرى أن تاء(أخت)، و(بنت) ليست للتأنيث؛ لأن ما قبلها ساكن صحيح، ولأنها لا تبدل عند الوقف هاء[2].

ونحن هنا نرى أن أقوال يونس النحوية والصرفية التي تفرد بها موجودة في كتاب سيبويه، وما جاء بعده، وقد كان سيبويه معجبا ببعض آرائه، وأيدها على آراء غيره، وهو ما قد نرى معه أن نعيد النظر فيما ذكره د. شوقي ضيف من أن سيبويه لم يهتم بأقوال يونس في النحو لعدم تسليمه لها.

ومع أن يونس خالف الخليل وسيبويه في بعض الآراء، إلا أن ذلك لا يدعو إلى استبعاده من فريق النحاة الذين اجتهدوا في بناء الدرس النحوي، وقد بنى د. شوقي ضيف على تفرد يونس بطائفة من الآراء الصرفية والنحوية أن يكون يونس خارجا عن تطور النحو العربي على صورة ما بلغه التطور الذي في الكتاب عن سيبويه مظهرا أن النحاة الذين يعدون حقا في تطور النحو: ابن إسحاق، وعيسى بن عمر، ثم الخليل بن أحمد، وسيبويه[3].

2-الخليل بن أحمد:

هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري الأزدي: أبو الرحمن.

تلقى عن أبي عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر الثقفي، وغيرهما، وروى عن أيوب وعاصم الأحول، وغيرهما.

---

1 الكتاب 514/3، وراجع يونس البصري ص143.

2 شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهري 74/1.

3 المدارس النحوية ص29.

وقد أخذ عنه سيبويه والأصمعي والنضر بن شميل، غير أن سيبويه أكثر من النقل عنه، وعامة الحكاية في كتابه عن الخليل، فكلما قال سيبويه: (وسألته)، أو: (قال) من غير أن يذكر قائله فهو الخليل [1]، حتى بلغ ما نقله عنه أكثر من خمسمائة نقل [2]، مما يدل على ملازمته إياه وكثرة أخذه عنه.

وكان الخليل خير ممثل لمنهج المدرسة البصرية في تحري الدقة فيما ينقله عن العرب، والبحث عن الموثوق بهم، فساح في بوادي الجزيرة العربية، وشافه الأعراب في الحجاز ونجد وتهامة إلى أن ملأ جعبته، ثم آب إلى مسقط رأسه: البصرة، واعتكف في داره دائبا على العلم ليله ونهاره، هائما بلذته الروحية، فنبغ في العربية نبوغا لم يسبق إليه، وبلغ الغاية في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو [3].

آتاه الله حسًّا لغويًّا مدربًا، وذهنًا رياضيًّا بارعًا، وذوقًا موسيقيًّا مرهفًا، فبلغ الغاية في النحو، واخترع العروض وخرج به على الناس علمًا كاملاً، فاستخرج من هذا علم العروض، واستنبط منه، ومن علله ما لم يستخرج أحد، ولم يسبقه إلى مثله سابق من العلماء كلهم [4]، حيث حصر الخليل أشعار العرب واستنبط منها ما وضعه من علمي العروض والقافية، وقيل: إنه دعا بمكة أن يُرزَق علمًا لم يسبقه إليه أحد، ولا يؤخذ إلا عنه، فرجع من حجه ففتح عليه بالعروض [5].

كما أنَّ للخليل فضل السبق إلى علم المعاجم، حيث حصر علم اللغة بحروف المعجم، وسماه كتاب(العين)، وهو كتاب معروف مشهور، به يتهيأ ضبط اللغة [6]، وله علم بالإيقاع،

---

1 أخبار النحويين البصريين للسيرافي ص 54،56. بغية الوعاة 1/557-560، ونشأة النحو للشيخ الطنطاوي ص46.

2 تاريخ النحو أ/علي النجدي ناصف ص17.

3 نشأة النحو للشيخ الطنطاوي ص46.

4 تاريخ النحو أ/علي النجدي ناصف ص16،17.

5 طبقات فحول الشعراء لابن سلام 1/22.

6 أخبار النحويين ص54.

ومعرفته بالغنم ومواقعها أحدث له علم العروض، فهو يحمل في تضاعيفه ما يشهد بتمثله تمثلا رائعا للنغم، وعلم الإيقاع ومواضعه، كما يحمل علم العروض أيضاما يشهد بإتقانه لنظريات العلوم الرياضية في عصره علما وفقها وتحليلا، وخاصة نظريتي المعادلات، والتباديل والتوافيق، ولم يستغل الخليل نظرية التباديل والتوافيق الرياضية في وضعه علم العروض فحسب، فقد استغلها أيضا في وضع منهج قويم لمعجم العين المشهور، إذ بناه على تقليب كل الصيغ الأصلية، بحيث تندرج فيه مع كل كلمة الكلمات الأخرى التي تجمع حروفها وتختلف في ترتيبها بتقديم بعض منها على بعض، ف(كتب) مثلا يوضع معها (كبت)، و(تكب)، و(تبك)، و(بكت)، و(بتك)، وبذلك حصر في المعجم جميع الكلمات التي يمكن أن تقع في العربية مميزا دائما بين ما استعملته العرب منها وما أهملته ولم تنطق به، قياسا على ما ميز في العروض بين الأوزان المستعملة والأخرى المهملة، ورأى أن يكون ترتيب الكلمات في المعجم على مخارج الحروف ومواقعها من الجهاز الصوتي، وهو: الحلق، واللسان، والفم، والشفتان، بادئًا بحرف العين، وبه سماه، وهي في معجمه مرتبة على هذا النحو: العين، الحاء، الهاء، الخاء، الغين، القاف، الكاف، الجيم، الشين، الضاد، الصاد، السين، الزاي، الطاء، الدال، التاء، الظاء، الذال، الثاء، الراء، اللام، النون، الفاء، الباء، الميم، الياء، الواو، الألف[1].

وهذا الترتيب المخرجي لحروف العربية ابتداء من أبعد مخرج إلى أقرب مخرج من جهاز النطق لا يختلف كثيرا عما قرره علماء الأصوات في العصر الحديث، ولسنا بصدد التعرض للفرق بين صنيع الخليل وصنيع علماء اللغة المحدثين فيما يتعلق بمخارج الحروف، فإن ذلك مجاله علم الأصوات، ولكن ما نريده بيانه هو أ، الخليل أرسى قواعد المعاجم العربية كما أسس علم الأصوات.

---

1 المدارس النحوية د/شوقي ضيف ص31،32.

وتجدر الإشارة إلى ا، معجم العين للخليل مطبوع بتحقيق الدكتور/عبد الله درويش – رحمه الله تعالى– ثم قام الدكتور/مهدي المخزومي، والدكتور/إبراهيم السامرائي بتحقيقه، وقد صدر الجزء الأول والثاني والثالث والرابع في الكويت سنة1980م[1].

وللخليل منظومة في النحو حققها الدكتور/أحمد عفيفي، وقد وثق نسبتها إليه، كما أن أيضا (معاني الحروف)، و(جملة آلات الإعراب)، و(تفسير حروف اللغة)، و(العروض)، و(النقط والشكل)، و(النغم والإيقاع)، و(الشواهد)، وكتاب(فائت العين)، و(المُعَمَّى)، وكتاب(شرح صرف الخليل)، و(كتاب التفاحة في النحو)[2].

وإن كان كثير من هذه المؤلفات منسوبًا إلى غير الخليل، ومن ذلك (التفاحة في النحو)، فقد حققه (كوركيس عواد) ونشره ببغداد سنة 1965م منسوبًا إلى أبي جعفر النحاس النحوي المصري المتوفى سنة 338هـ، وقد نسبته اللجنة المصرية الموفدة إلى بلاد اليمن في أواخر سنة 1951م برئاسة الدكتور/خليل يحي نادي، وعضوية الأستاذ/فؤاد سيد وغيره للبحث عن المخطوطات العربية فيها إلى الخليل بن أحمد، ولكن المحقق ذكر أنه لم يجده في مؤلفات الخليل، بل وجده منسوبا إلى أبي جعفر النحاس[3].

كذلك نسب بعضهم كتاب (العين) إلى الليث بن رافع بن نصر [4]، غير أنهم اتفقوا على أن الخليل هو الذي رسم له منهجه، لما لاحظوه من التقاء منهجه بمنهج علم العروض الذي رسمه، وقيام المنهجين جميعا على أساس نظرية التبادل والتوافيق الرياضية[5].

---

1 المعاجم العربية المجنسة د/محمد عبد الحفيظ العريان ص53.

2 الأعلام للزركلي 314/2، دائرة المعارف الإسلامية 436/8، مكانة الخليل في النحو العربي د/جعفر نايف 31–35، الخليل بن أحمد، عباس أبو السعود ص 151، ومقدمة المنظومة النحوية للدكتور/ أحمد عفيفي ص22،23.

3 التفاحة في النحو، المقدمة ص3.

4 المزهر في علوم اللغة للسيوطي 77/1.

5 المدارس النحوية د/شوقي ضيف ص32.

وإذا ذهبنا إلى ما تركه الخليل من مؤلفات صرفية ونحوية فإننا لا نجده قد خلف مؤلفا جامعا، بل ذكر له المترجمون بعض الأعمال الصغيرة: كرسالة له في معنى الحروف، وثانية في جملة آلات الإعراب، وثالثة في العوامل، ويظن القفطي أنها منتحلة عليه، ورابعا لعلها من عمل غيره؛ إذ تسمى (شرح صرف الخليل)، وإذا كان الخليل لم يترك في النحو والصرف كتابا كبيرا مأثورا يضم فروعهما وشعبهما الكثيرة، فإن تلميذه سيبويه سجل في كتابه كثيرا من بحوثه النحوية والصرفية[1].

ويبدو أن الخليل كان مشغولا إلى حد كبير عن وضع المصنفات بحلقات العلم والدرس، حيث يفد إليه طلابه ومريدوه يأخذون عنه ما يلقيه إليهم، وما يمليه عليهم، وعدم وضعه لمصنف كبير في النحو والصرف لا يغض من قدره، ولا يقلل من أثره الواضح على مَنْ أخذوا عنه، قال الزُّبيدي: «وهو الذي بَسط النحوَ، ومَدَّ أطنابَه، وسبَّب عِلَلَه، وفَتَقَ معانيه، وأوضحَ الحِجاج فيه، حتى بلغ أقْصى حدودِه، وانتهى إلى أبعدِ غاياته، ثم لم يرضَ أن يؤلِّفَ فيه حرفًا أو يَرْسمَ منه رَسْمًا؛ نَزَاهةً بنفسه، وتَرَفّعا بقدْرِه؛ إذ كان قد تقدّم إلى القول عليه والتأليف فيه؛ فَكَرِهَ أن يكونَ لمن تقدّمه تاليًا، وعلى نظَرِ مَن سَبَقهُ مُحْتَذِيا، واكتفى في ذلكبما أَوْحَى إلى سيبويه من عِلْمِه، ولقَّنه من دقائقِ نَظره، ونتائج فِكره، ولطائفَ حكمته؛ فحَمل سيبويه ذلك عنه وتقلّده، وألفَّ فيه الكتاب الذي أعجَزَ من تقدَّم قبلَه، كما امتنع على مَنْ تأخَّرَ بعده»[2].

وبذلك يكون الخليل قد أسهم إسهاما كبيرا في تطوير الدرس اللغوي بوجه عام، والنحوي بوجه خاص.

وكان الخليل عفيف النفس لا يختار صحبة الملوك والأمراء، وقيل، وقيل: لم يكن بعد الصحابة أذكر من الخليل ولا أجمع لعلم العرب منه، ويروى أنه «اجتمع الخليل وابن المقفع ليلة بطولها يتذاكران، وافترقا، فسُئِل الخليل: كيف رأيت ابن المقفع، فقال: رأيت رجلا علمه

---

1 المدارس النحوية د/شوقي ضيف ص34.

2 المزهر للسيوطي 8180/1.

أكثر من عقله، وقيل لابن المقفع: كيف رأيتَ الخليل، فقال: رأيت رجلا عقله أكثر من علمه»[1].

ويتضح مما قاله كل من الخليل وابن المقفع عن الآخر أن الخليل كان يعمل عقله وفكره أكثر من اعتماده على النقل والرواية، وهذا يدل على ذكائه وحكمته، فقد نقل الأصمعي عنه قوله: «العلوم أربعة: فعلم له أصل وفرع وعلم له أصل ولا فرع له، وعلم له فرع ولا أصل له، وعلم لا أصل له ولا فرع، فأما الذي له أصل وفرع فالحساب ليس بين أحد من المخلوقين فيه خلاف، وأما الذي له أصل ولا فرع له فالنجوم ليس لها حقيقة يبلغ تأثيرها في العالم، أما الذي له فرع ولا أصل له ولا فرع فالجدل»، قال أبو بكر الصولي: يعني الجدل بالباطل.

فهو يقسم العلوم قسمة عقلية إلى أربعة أقسام –من حيث أصالتها وفرعيتها– فلا خامس لها، كما قال الخليل: «أربع تعرف بهن الآخرة، الصفح قبل الاستقالة، أي: طلب الصفح، وتقديم حسن الظن قبل التهمة، والبذل قبل المسألة، ومخرج العذر قبل العُتْب»[2].

ولم يكن الخليل ذكيًّا حكيما إلى أبعد حد فقط، بل كان أيضا من الزهاد في الدنيا والمنقطعين إلى العلم، فيروى عنه أنه قال: إن تكن هذه الطائفة –يعني أهل العلم–أولياء الله، فليس الله ولي، ومما يدل على زهده، وعزوفه عن عرض الدنيا أن سليمان بن علي، وقيل: سليمان بن حبيب المهلب قد وجه إليه من الأهواز –وكان واليها– يلتمس منه الشخوص إليه، وتأديب أولاده، ويرغبه، وكان الخليل بالبصرة، فأخرج الخليل إلى رسول سليمان بن علي خبزا يابسا، وقال: ما عندي غيره، وما دمت أجده فلا حاجة لي في سليمان، فقال الرسول: فماذا أبلغه عنه، فأنشأ يقول:

أبلغ سليمان أني عنك في سعة***وفي غنى غير أني لست ذا مالِ

---

1 إنباه الرواة 1/376–382.

2 إنباه الرواة للقفطي 1/381،382.

سخَّى بنفسيَ أني لا أرى أحدًا***يموت هُزْلا ولا يبقى على حالِ

وكان يقول الشعر: البيتين والثلاثة ونحوها في الآداب، كمثل ما يروى له:

لو كنتَ تعرف ما أقولأو كنتُ أجهلُ ما تقولُ

لكنْ جهلتَ مقالتي فعذلتنيوعلمتُ أنك جاهلٌ فعذرتكا

كما يروى له في الزهد قوله:

وقبلك داوى المريضَ الطبيبُفعاش المريضُ ومات الطبيبُ

فكن مستعدًّا لداعي الفناءِفإن الذي هو آتٍ قريبُ [1]

وقد كان مولد الخليل سنة مائة، وكانت وفاته سنة مائة وخمس وسبعين وتروي كتب التراجم ان سبب وفاته أنه قال: «أريد أن أقرب نوعًا من الحساب تمضي به الجارية إلى البياع فلا يمكنه ظلمها، ودخل المسجد وهو يعمل فكره في ذلك، فصدمته سارية وهو غافل عنها بفكره، فإنقلب على ظهره، فكانت سبب موته، وقيل: بل كان يقطع بحرًا من العروض، والله أعلم أيُّ الأمرين كان»[2].

سيبويه:

هو: عمرو بن عثمان بن قَنْبَر، مولى بني الحارث بن كعب بن عمرو علة، وكنيته أبو بحر، وقيل: أبو الحسن، ولقبه: (سيبويه)، وهي كلمة فارسية معناها بالعربية: (رائحة التفاح)؛ لأنها مركبة من كلمة(سيب) بمعنى: التفاح: وكلمة: (وَيْه) بمعنى: الرائحة، وقد اشتهر بهذا اللقب، يقول الأستاذ /عبد السلام هارون: «وأما لقبه فقد سار مسير الشمس، وعرف به منذ قديم الزمان، لم يلقب به أحد قبله، وهو (سيبويه)» [3]وهو فارسي الأصل، ولد

---

1 أخبار النحويين البصريين للسيرافي ص 54-56.

2 إنباه الرواة للقفطي 1/380،381.

3 مقدمة الكتاب ص3.

بقرية شيراز تسمى (البيضاء)، وفيها أو في شيراز تلقن دروسه الأولى، وطمحت نفسه للاستزادة من الثقافة الدينية، فقدم البصرة وهو لا يزال غلاما ناشئا، والتحق بحلقات الفقهاء والمحدثين، ولزم حلقة حماد بن سلمة بن دينار المحدث المشهور حينئذ، ولكن حدث بين سيبويه وحماد بن سلمة نقاش حول أحد الأحاديث عن الرسول –صلى الله عليه وسلم– فجعله يشتغل بعلم النحو، ويتردد على حلقات النحاة الكبار فقد ذكر نصر بن عليّ أن سيبويه كان يستملي على حماد، فقال حماد يوما: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم: «ما أحدٌ من أصحابي إلا وقد أخذتُ عليه، ليس أب الدرداء»، فقال سيبويه: ليس أبو الدرداء، فقال حماد: لحنتَ يا سيبويه، فقال سيبويه: لا جَرَم لأطلبن علما لا تُلَحِّنَنِّي فيه أبدا، فطلب النحو، ولزم الخليل، فكان أستاذَه.

كما أخذ النحو أيضا عن يونس بن حبيب، وعيسى بن عمر الثقفي، وغيرهما، وأخذ أيضا اللغات عن أبي الخطاب الأخفش الكبير وغيره، ولكن أخذه عن الخليل كان يفوق أخذه عن غيره بكثير، حيث أخذ منه كل ما عنده في الدراسات النحوية والصرفية، مستمليا ومدونا، واتبع في ذلك طريقتين : طريقة الاستملاء العادية، وطريقة السؤال والاستفسار، مع كتابة كل إجابة وكل رأي يدلي به، وكل شاهد يرويه عن العرب، وبذلك احتفظ بكل نظراته النحوية والصرفية، قال أبو عبيدة: قيل ليونس بعد موت سيبويه: إن سيبويه صنف كتابا في ألف ورقة من علم الخليل، فقال: ومتى سمع سيبويه هـ<ا كله من الخليل! جيئوني بكتابه، فلما رآه قال: يجب أن يكون صَدَقَ فيما حكاه عن الخليل كما صدق فيما حكاه عني.

وكان سيبويه علاَّمة، حسن التصنيف، وكان شابا نظيفا جميلا، وكان في لسانه حبسة، وقلمه أبلغ من لسانه، «ولم تذكر كتب التراجم أنه رحل إلى البادية في طلب اللغة والسماع عن العرب ومشافهتهم، غير أن ما يتردد في كتابه من مثل قوله: (سمعنا بعض العرب يقول)، و(سمعنا العرب تنشد هذا الشعر)، و(سمعنا العرب)، و(عربي كثير)، و(قد سمعناهم)، و(قال قوم من العرب ترضى عربيتهم)، و(سمعنا من العرب مضنْ يوثق بعربيته) يدل دلالة قاطعة على أنه رحل إلى بواديي نجد والحجاز مثل أستاذه الخليل، والكتاب يفيض

بسيول من أقوال العرب وأشعارهم، لا يرويها عن شيوخه، وهي بدورها تؤكد، بل تحتم أنه رحل إلى ينابيع اللغة والنحو يستمد منها مادة وعتادا فصيحا صحيحا بشاراته في النطق وهيآته»[1].

وكان الخليل يؤثره على سائر تلاميذه، فد قال بعضهم: كنت عند الخليل فأقبل سيبويه، فقال: مرحبا بزائر لا يُمَلُّ، قال: وما سمعت الخليل يقولها لغيه، وبعد موت الخليل خلفه سيبويه في حلقته، حيثقام بتدريس النحو، وقد نجم من أصحابه أبو الحسن: الأخفش الأوسط، وقطرب، وهو: أبو علي محمد بن المستنير، وأكبَّ حينئذ على تصنيف الكتاب، وسرعان ما أخذ نجمه يتألق لا في البصرة دار النحو فحسب، بل أيضا في بغداد، ورحل إليها طامحا إلى الشهرة في حاضرة الدولة، وحدث أن التقى بالكسائي مقرئ الكوفة ومؤدب الأمين بن الرشيد، وكان ذلك في دار يحي البرمكي، وقيل: بل في دار الرشيد، ويقال: إنه لقيه قبل الكسائي بعضُ أصحابه: الأحمر وهشام والفراء، ليوهنوا منه، ولم يلبث صاحبهم أن تعرض له بالسؤال في (المسألة الزنبورية)، إذ قال له: كيف تقول: (قد كنتُ أظن انَّ العقرب أشد لسعةًمن الزنبور فإذا هو هي)، أو(فإذا هو إياها)، فقال سيبويه: (فإذا هو هي)، ولا يجوز النصب، قال الكسائي: لحنتَ، العرب ترفع ذلك كله وتنصبه، فدفع سيبويه قوله، وطالبينهما الجدال، وكان بالباب نفر من عرب الحطمة النازلينببغداد، ممن ليسوا على درجة عالية من الفصاحة، فطلب الكسائي سؤالهم، ولما سئلوا تابعوه في رأيه، فاستكان سيبويه، وقال: أيها الوزير، سألتك إلا ما أمرتَهم ان ينطقوا بذلك، فإن ألسنتهم لا تجري عليه، وكانوا إنما قالوا: الصواب ما قاله هذا الشيخ، فقال الكسائي ليحي: أصلح الله الوزير!! إنه قد وفد إليك من بلده مؤملا، فإن رأيت ألا ترده خائبا، فأمر له بعشرة آلاف درهم، فخرج إلى فارس.

ولم تطل مدة سيبويه بعد ذلك، ومات بالبيضاء، وقيل بشيراز، وقيل غمًّا بالذَّرَب (المرض الذي لا برء منه) سنة ثمانين ومائة، قال الخطيب: وعمره اثنتان وثلاثون سنة،

1المدارس النحوية، د/شوقي ضيف ص 58.

وقيل: نَيَّف على الأربعين، وقيل: مات بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة، وقيل: سنة ثمانٍ وثمانين ومائة، وقال ابن الجوزي: مات بساوة سنة أربع وتسعين ومائة[1].

الكتاب

من المعروف عند مؤرخي النحو العربي أن سيبويه لم يترك إلا مصنفا واحدا في النحو، ولم يطلق عليه اسما يعرف به، ولم يقدم له بما يكشف عن فحواه ومنهجه، كذلك لم يضع له خاتمة يلخص فيها ما وصلت إليه الدراسة، وهذا شأن المؤلفات الرائدة التي لم يسبق بمؤلفات تحتذيها؛ إذ إن مصنف سيبويه أول مصنف في النحو والصرف يضم بين دفتيه مادة علمية مكتملة، ويعلل بعض الدارسين عدم تسميته، وعدم وضع مقدمة وخاتمة له بأن سيبويهكان ينوي العودة إليه بتنقيحه وتهذيبه وإكماله، يقول الأستاذ/علي النجدي: «ولعله كان على نية العود إليه لبعض الأمر، لكن عائقا حال دون ما كان سيبويه»[2].

ولما ترك سيبويه مصنفه هذا بلا تسمية فقد تولى مَن جاء بعده تسميته، فأطلقوا عليه الكتاب، فكان كتابه عَلَمًاعند النحويين، فكان يقال بالبصرة: قرأ فلان الكتاب، فيعلم أنه كتاب سيبويه، وقرأ نصف الكتاب، ولا يشك أنه كتاب سيبويه[3].

وقد حاول بعض القدماء أن يشكك في نسبة الكتاب إليه؛ حيث قيل: إنه أخذ كتاب عيسى بن عمر المسمى(الجامع)، وبسطه، وحشَّى عليه من كلام الخليل وغيره، وأنه كان كتابه الذي اشتغل به، فلما استكمل بالحث والتحشية نُسِب إليه، واستدل هذا القائل بما نقل عن سيبويه من أنه لما فارق عيسى بن عمر ولازم الخليل سأله الخليل عن مصنفات عيسى

---

1 راجع ترجمة سيبويه في: أخبار النحويين البصريين للسيرافي ص 59، وما بعدها، وإنباه الرواة للقفطي 34/2، وما بعدها، وبغية الوعاة للسيوطي 229/2، وما بعدها، ومقدمة تحقيق الكتاب للأستاذ / عبد السلام هاروون ص3، وما بعدها.

2 تاريخ النحو ص18.

3 أخبار النحويين البصريين للسيرافي ص 65، والمدارس النحوية د/شوقي ضيف ص 57، وما بعدها، وتاريخ النحو للأستاذ/ علي النجدي ناصف ص18، وما بعدها.

بن عمر، فقال له سيبويه: قد صنف نَيِّفا وسبعين مصنفا في النحو، وان بعض أهل اليسار جمعها، وأتت عليها عنده آفة فذهبت، ولم يبق منها في الوجود سوى تصنيفين، أحدهما اسمه (الكامل)، والآخر (الجامع)، وهو هذا الكتاب الذي أشتغل فيه عليك، وأسألك عن غوامضه، فأطرق الخليل ساعة ثم رفع رأسه، وقال: رحم الله عيسى، ثم أنشد ارتجالا:

ذهب النحو جميعا كله***غيرَ ما أحدثَ عيسى بن عمرْ

ذاكَ إكمالٌ وهذا جامعٌفهما للناس شمسٌ وقمرْ

وقال ابن إسحاق النديم في كتابه: «قرأت بخط ابي العباس ثعلب: اجتمع على صنعة كتاب سيبويه اثنان وأربعون إنسانا منهم سيبويه، والأصول والمسائل للخليل»[1].

وينبغي ألا نسلم بهذا التشكيك؛ فقد يكون بدافع الحقد ليه، وخاصة أنه من جانب الكوفيين الذين كانوا في تنافس دائم مع البصريين، ولا شك أن سيبويه قد اعتمد في جمع مادته العلميةعلى جهود مَنْ سبقوه؛ إذ لا يأتي عمل علمي ضخم مثل كتاب سيبويه من فراغ، ولم يكن سيبويه ينكر فضل من سبقوه، ومن تتلمذ عليهم وأخذ عنهم عليه، بل كان ينسب إليهم ما نقله عنهم تلميحا أو تصريحا، وحسبه من الفضل والعلم ما بذله من جَهْدٍ في جمع مادته وترتيبها والتعليق عليها وإبداء الرأي فيها.

ولقد أحاط الناس من بعده كتابه بالإجلال والتقدير، فكان المبرد إذا أراد مريد أن يقرأ عليه كتاب سيبويه، يقول له: هل ركبتَ البحرَ؟ استعظاما له، واستصعابا لما فيه، وكان المازني يقول: «مَنْ أراد أن يعمل كتابا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي»[2]، وقال السيرافي: «وعمل كتابه الذي لم يسبقه إلى مثله أحد قبله، ولم يلحق به من بعده»[3]، وقال الجاحظ: «لم يكتب الناس في النحو كتابا مثله، وجميع كتب الناس عليه عيال»[4]، كما قال

---

1 إنباه الرواة 347/2.

2 أخبار النحويين البصريين للسيرافي ص65.

3 المرجع السابق ص،64،65.

4 إنباه الرواة للقفطي 351/2.

الجاحظ: «أردتُ الخروج إلى محمد بن عبد الملك الزيات، ففكرت في شيء أهديه إليه فلم أجد شيئا أشرف من كتاب سيبويه، فقلت له: أردت أن أهديَ إليك شيئا ففكرت فإذا كل شيء عندك، فلم أرَ أشرف من كتاب سيبويه، وهذا كتاب سيبويه اشتريته من ميراث الفراء، فقال: والله ما أهديتَ إليّ شيئا أحب إليّ منه [1]ن وقال ابن سلام الجمحي: «كان سيبويه النحوي غاية الخلْقِ في النحو، وكتابه هو الإمام فيه، وكان الأخفش اخذ عنه، وكان أفهم الناس في النحو»[2]، وقال الزجاج: «إذا تأملتَ الأمثلة من كتاب سيبويه تبينتَ أنه اعلم الناس باللغة»[3]

ومن المؤكد أن سيبويه بدأ تأليف كتابه بعد وفاة الخليل؛ إذ نراه في بعض المواضع يُعَقِّبُ على ذكره لاسمه بكلمة (رحمه الله)[4]، ولم يقدر له أن يقرأ الكتاب على أحد أو أن يقرأه عليه أحد، وإنما قرأه الناس بعده على أبي الحسن الأخفش [5]، فقد ورث –رحمه الله– علم سيبويه، وكان طريق الناس إليه، كما حمل سيبويه علم الخليل، وكان طريق الناس إليه [6]، وذلك لأن الأخفش كان أكثر تلاميذه ملازمة له وأخذا عنه، قال أبو العباس المبرد: «كان الأخفش أكبرسنا من سيبويه، وكانا جميعا يطلبان، قال: فجاءه الأخفش يناظره بعد أن برع، فقال له الأخفش: إنما ناظرتك لأستفيد لا لغيره، فقال سيبويه: أتراني أشك في هذا»[7].

وبعد، فلا تعرف العربية كتابا حفل به الناس وأفادوا منه على تعاقب الأجيال ككتاب سيبويه، فقد ألفوا عنه كتبا، وأداروا حوله دراسات لا تحصى كثرة.

ألفوا في شرحه، والتعليق عليه، والتمهيد له، وترتيب مسائله، وحل مشكلاته، وتوضيح غريبه، وشرح شواهده، وتجريد أحكامه، اختصروه، واختلفوا فيه: ما بين متعصب عليه،

---

1 السابق 351/2.

2 السابق355/2،356.

3 إنباه الرواة 358/2.

4 المدارس النحوية د/شوقي ضيف ص59.

5 أخبار النحويين البصريين للسيرافي ص66.

6 تاريخ النحو للأستاذ /علي النجدي ناصف ص23.

7 أخبار النحويين البصريين للسيرافي ص65.

ومتعصب له، وانتصر لهؤلاء أنصار ومؤيدين ومنهم من انقطع له حتى حفظه، أو أتقن فهمه وتخصص فيه[1].

فمن ذلك تعليقات الاخفش عليه، وشرح أبي بكر محمد بن علي إسماعيل: مبرمان ولم يتمه، وشرح ابن درستويه، وشرح أبي سعيد السيرافي، وهو مشهور طبعت منه عدة أجزاء، وتعليقة أبي علي الفارسي، وشرح الرماني، وشرح أبي العلاء المعري، ولم يتمه، وشرح إبن خروف، وهو المسمى: (مُفَتِّح الأبواب في شرح غوامض الكتاب)، وشرح الصفَّار، وشرح أبي حيان الأندلسي، وهو تلخيص لشرح الصفار.

ومنهم من شرح مشكلاته ونكته وأبنيته، ومن هؤلاء أبو عمر الجرمي، فله (تفسير أبنية الكتاب)، و(غريب سيبويه)، والزيادي، فله: (شرح نكت الكتاب)، والمبرد، فله: (المدخل إلى كتاب سيبويه)، وثعلب، فله (تفسير أبنية الكتاب)، والأعلم الشنتمري، فله: (النكت في كتاب سيبويه).

ومنهم من شرح أبياته: كابن السيرافي، والأعلم الشنتمري، وغيرهما.

هذا إلى جانب ما أُلِّف حوله من مختصرات، واعتراضات عليه، ورد هذه الاعتراضات[2].

*** *** *** *** *** *** ***

المحاضرة الثامنة: المدرسة الكوفية:

موقع الكوفة في الغرب من النجف، والذاهب إليها من النجف يلقى في ذهابه إليها رمال حمراءمخلوطةبالحصباء، وتسمي العرب الرملة الحمراء كوفة، فهذا سبب التسمية، وسعد بن أبي وقاص –رضي الله عنه– هو من خططها بعد تخطيط مدينة البصرة بسنتين أو ثلاث، ونزل الفاتحون بها في السنة السادسة عشرة من الهجرة، أو في السنة السابعة عشرة، وقد كانوا بنوها على وادي الفرات الأوسط الخصيب، فمن هنا امتازت الكوفة عن

---

1 تاريخ النحو أ/علي النجدي ناصف ص22.

2 راجع مقدمة الأستاذ/عبد السلام هارون لتحقيق الكتاب 37/1، وما بعدها.

البصرة بجودةتربتها، وكثرة بساتينها، وقد كان الأحنف بن قيس يوازن بين منزل أهل الكوفة وأهل البصرة فيقول: «نزل أهل الكوفة في منازل كسرى بن هرمز، بين الجنان الملتفة، والمياه الغزيرة، والأنهار المطردة، تأتيهم ثمارهم غضة، لم تَخْضَدولم تفسد، ونزلنا أرضا هشاشة، في طرف فلاة، وطرف ملح أجاج، في سبخة نشاشة، لا يجف ثراها، ولا ينبت مرعاها، يأتينا ما يأتينا في مثل مريء نعامة».

ونمت مدينة الكوفة بعد تخطيطها سريعا، فبلغت أن صارت في مطلع القرن الرابع واحدة من حواضر العراق الكبيرة، تدير عين التمر، وغيرها، ثم تراجعت في عهد الأتراك العثمانيين، فتراجعت حتى صارت قرية صغيرة تديرها النجف[1].

وقد كانت للكوفة مكانة علمية مرموقة، فقد نزلها سبعون من صحابة الرسول –صلى الله عليه وسلم– ممن شهدوا بدرا، وثلاثمائة من أصحاب الشجرة، وممن نزلها منهم عمار بن ياسر، وعبد الله بن مسعود، كان بعث بهما عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– فكان الأول أميرا، وكان الآخر مؤذنا ووزيرا، وكانت الكوفة ذات منزلة سياسية عالية؛فلفترة طويلة كانت عاصمة الخلافة الإسلامية، وذلك في عهد علي بن أبي طالب –كرم الله وجهه، والحواضر دائما تستقطب العلماء وذوي المصالح [2]، وهو ما صارت به هذه المدينة مقصد العلماء والفقهاء والقراء والمحدثين.

نشأة النحو الكوفي:

المدرسة الكوفية النحوية قريبة العهد بالنشأة بالقياس بمدرسة البصرة النحوية، فقد سبقت البصرةُ الكوفةَ في هذا المجال الذي كان من الأعمال القرآنية، ثم استقلت مع الأيام،

---

1 مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، د/مهدي المخزومي ص1، وما بعدها.
2 السابق ص12،13.

وصار مجال دراستاها كل الكلام العربي، قرآنا كان، أم غيره، وبقيت البصرة القئمة بالنحو لفترة قاربت القرن[1].

وفي أيام الخليل بن أحمد بدأت الكوفة في الاهتمام بالنحو، بعد وفاة أبي الأسود بنحو تسعين عاما، (ت69هـ) وكانت الكوفة في هذه الفترة مشتغلة بالقرآن الكريم، تقرؤه وتقرئه، ومهتمة بالشعر ترويه وتتناشده، ومن هنا رأينا فيها ثلاثة من القراء السبعة، هم: عاصم بن أبي النجود (ت 129هـ)، وحمزة(ت 156هـ)، والكسائي (ت 189هـ)، في حين كان في كل مصر قارئ واحد.

لكن النحو بقي في المقام الثاني عند الكوفيين مكتفين فيه بما يأتيهم من البصرة، واشتغلت الكوفة بالنحو بعد ذلك. [2]، ومن هذا نحكم بأن هذا النحو لم تكن الكوفة منشأه الأول، وإنما كان وافدا عليها من مدينة البصرة، والذي نشره فيها نحاة بصريون قدموا إلى الكوفة، واتخذوها وطنا، وكوفيون تعلموا في البصرة ثم رجعوا بعد أن تعلموا على شيوخ بصريين.

وانطلقت الكوفة منذ بدايات القرن الثاني الهجري تؤسس لنفسها مدرسة، وتصوغ لها أسلوبا خاصا، طابعه مميز، أوجدته البيئة الكوفية، وطرائق البحث التي سلكها القراء وعلماء الحديث.

وراحت المدرسة الكوفية ترسم أساليب متميزة، حتى استقام لها الخروج في أواسط هذا القرن باستقلالها على يد الكسائي، وتلميذه يحي بن زياد الفراء[3]. وإن كان بعض القدماء يرى أولية للنحو الكوفي في أبي جعفر الرؤاسي، ومعاذ الهراء.

---

1 السابق ص 65.

2 تاريخ النحو للأستاذ علي النجدي ناصف ص28.

3 المدرسة الكوفية ومنهجها في دراسة اللغة والنحو د/مهدي المخزومي ص39.

ويقول بعضهم في الرؤاسي: إنه تعلم على عيسى بن عمر الثقفي، وأبي عمرو بن العلاء، ورجع إلى الكوفة فأخذ عنه الكسائي، وصنع لأتباعه كتابا في النحو دعاه: (الفيصل)، وزعم أن كل ما في كتاب سيبويه من قوله: (وقال الكوفي) إنما يعنيه، غير أن الكتاب يخلو خلوا تاما من هذه الكلمة، وإن كان ذكر بعض الكوفيينفي بعض وجوه القراءات في ثلاثة مواضع. والثابت أنه لم يظهر آراء نحوية ذات بال، يدل عليه أن اسمه لم يرد عند النحاة الذين جاؤوا بعده، وربما يكون السبب فقدان كتبه، فقد ذكرت التراجم مصنفات أخرى له غير (الفيصل)، وهي: (التصغير)، و(معاني القرآن)، و(الوقف والابتداء الكبير)، و(الوقف والابتداء الصغير)، و(الإفراد والجمع)، فهذه الكتب لم تصلنا ولم ير لها أثر في علم التالين لعصره.

ومن معاصريه معاذ بن مسلم الهراء المتوفى سنة تسعين ومائة، أو سبع وثمانين ومائة، وهو ابن أخي جعفر الرؤاسي، ويبدو أنه تردد كسابقه إلى علماء البصرة، فأخذ عنهم النحو والصرف، ورجع إلى الكوفة، وأملى، وأخذ الفراء،وأثر عنه أنه كان ينظر في بعض مسائل التصريف، وأنه سأل يوما بعض مناظريه: «كيف تقول من «تَؤُزُّهُم أزًّا» [1]: يا فاعل افعل، وصلها بيا فاعل افعل من «وإذا المَوءودةُ سُئِلَتْ»[2].

واعتمد السيوطي على هذا الخبر فجعله واضع علم الصرف، ولكن الدكتور/شوقي ضيف يخالف ما رآه السيوطي؛ إذ لا يوجد كتاب في هذا العلم يؤيده، وهو لا يزيد على معرفته بالتصريف، وفي كتاب سيبويه ما لا يكاد يحصى من الأمثلة والأبنية، ومنه أخذها المازني وفيها وضع كتابه في (التصريف).

---

1 مريم:83.

2 التكوير:8.

والذي يثبت خطأ السيوطي فيما رآه أنه ليس لمعاذ آراء تنسب إليه في كتب التصريف، وكأن معرفته بالتصريف كمعرفة الرؤاسيبالنحو، فقد كانت معرفة محدودة.[1]

ولما لم يكن لكل من أبي جعفر الرؤاسي ومعاذ بن مسلم الهراء أثر بارز في الدراسات النحوية لا يبلغ أن يؤسس مدرسة نحوية فقد ذهب الدارسون المحدثون إلى أن الكسائي هو المؤسس الأول لمدرسة الكوفة النحوية، فيقول المخزومي: «ولا نكاد نعرف في الكوفة نحويا بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة قبل الكسائي» [2]، ويقول في موضع آخر: «أكبر الظن أن الكسائي وتلميذه الفراء هما المؤسسان الحقيقيان لهذه الدراسة، أخذا نحو البصرة وغيرا فيه، ونهجا في دراسته منهجا مستقلا، سار عليه المنتسبون إلى هذه المدرسة»[3].

ويقول الدكتور شوقي ضيف: «إنما يبدأ النحو الكوفي بدءا حقيقا بالكسائي وتلميذه الفراء، فهما اللذان رسما صورة هذا النحو ووضعا أسسه وأصوله، وأعداه بحذقهما وفطنتهما لتكون له خواصه التي يستقل بها عن النحو البصري، مرتبَيْن لمقدماته، ومدققين في قواعده، ومتخذين له الأسباب التي ترفع بنيانه»[4].

ولم تبنى الدراسات النحوية في الكوفة على عدم، إنما كان معتمدها على النحو البصري، فقد ذكر السيرافي أن الكسائي والفراء قد سمعا النحو واللغة من يونس بن حبيب [5]، كما ذكر إبن كثير أن الكسائي أخذ عن الخليل صناعة النحو [6]، وقال الأخفش تلميذ سيبويه:

---

1 راجع إنباه الرواة للقفطي 3/288-295، 4/105-109، وبغية الوعاة للسيوطي 1/82،83، 109، 2/290-293، والمدارس النحوية د/شوقي ضيف ص 153،154.

2 مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ص39.

3 السابق ص 74.

4 المدارس النحوية ص 154.

5 أخبار النحويين البصريين ص 51.

6 البداية والنهاية 10/719.

«جاءنا الكسائي إلى البصرة فسألني أن أقرأ عليه أو أقرئه كتاب سيبويه ففعلت، فوجه إليَّ خمسين دينارا»[1].

وقد مر أن أبا جعفر الرؤاسي –وهو أقدم نحوي من نحاة الكوفة– كان تعلم من عيسى بن عمر الثقفي، وأبي عمرو بن العلاء، ولما رجع إلى الكوفة أخذ عنه الكسائي، فالخلاصة أن النحو الكوفي في تأسيسه نحو بصري، ثم لبس لبوسا خاصا، وأسلوبا مستقلا، يقول الدكتور مهدي المخزومي: «ثم جاء الكوفيون بعد أن درسوا عليه –يعني الخليل بن أحمد– وأخذوا عنه، فرسموا لأنفسهم منهجا جديدا بعض الجدة، يتفق مع منهج أهل البصرة في أشياء ويختلف عنه في أشياء، أو كما يقول (أوليري): يتفق معه في النظرية والمبدأ، ويختلف عنه في التطبيق، متأثرين في ذلك بمؤثرات كوفية» [2]، ويقول الأستاذ كريم مرزة الأسدي: «وبعد الطبقة السابقة–يعني الطبقة الثانية من نحاة البصرة التي تتمثل في عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، وتلميذه عيسى بن عمر الثقفي، وأبي عمرو بن العلاء –من البصريين يتفرع النحو في مسيرته نحو مدرستين؛ إذ يشع بإشعاعاته النيرة على الكوفة، فتشرع بذوره بالنمو والنشوء تدريجيا ابتداء من أبي جعفر بن الحسن الرؤاسي الكوفي تلميذ عيسى بن عمر الثقفي، وأبي عمرو بن العلاء البصريين؛ إذ دروس النحو على أيديهما، ورجع إلى الكوفة فدرَّسه»[3].

سبب تأخر اشتغال الكوفة بالنحو:

عندما نذهب تبعا لمؤرخي النحو العربي إلى أن اهتمام الكوفة بالدراسات النحوية واللغوية قد تأخر عن اشتغال البصرة بمدة طويلة فلا دلالة فيه على أن النحويين في الكوفة كانوا جهالا بالنحو، وأنهم لا صلة تربطهم به، فهذا صعب تصوره مع من حذقوا تلاوة القرآن الكريم، ومعرفة قراءاته، ورواية الأخبار والأشعار، والفقه والحديث، وغير ذلك من العلوم التي

---

1 أخبار النحويين البصريين للسيرافي ص66.

2 مدرسة الكوفة ص34.

3 نشأة النحو العربي ومسيرته الكوفية ص19.

لابد لها من معرفة قواعد اللغة، وعليه نفهم بصورة مؤكدة أن الكوفيين كانوا على معرفة بقوانين النحو، إنما هم لم يكونوا مشتغلين بالنحو واللغة كالبصريين من جهة التوغل في دراسة النحو وأصوله وأقيسته وعلله ومناهجه، ويفسر مؤرخو النحو العربي هذا باشتغال الكوفيين بعلوم أخرى غير النحو، يقول الشيخ محمد الطنطاوي: «لقد عرفتَ أن الكوفيين تأخروا عن البصريين في هذا العلم حقبة طويلة؛ وذلك لانصرافهم أولا عن التلقي عنهم ربأ بأنفسهم عن الأخذ منهم، وما لبثوا أن شغلهم الشعر ورواياه والأدب وطرائفه، فاستأثروا بهذا، وتنفلوا به على البصريين مدة طويلة لم يشاركوا فيها البصريين النظر إلى علم النحو.تنبه الكوفيون بعدئذ، وصحوا من سباتهم، وأرادوا مساهمة البصريين فيه بعد أن عرفوه منهم»[1].

ويقول الأستاذ علي النجدي ناصف: «النحو نوعان: بصري وكوفي، والبصري أسبق وجودا من الكوفي، وإليه يرد وضع النحو، ما في ذلك خلاف ولا مراء »[2]، ثم يقول: «بدأ اشتغال الكوفة بالنحو في حياة الخليل، أي بعد وفاة أبي الأسود بنحو تسعين عاما، فقد كانت وفاته سنة تسع وستين للهجرة، وكانت الكوفة في خلال هذه المدة عاكفة على القرآن الكريم، تقرؤه وتقرئه، وعلى الشعر ترويه وتتناشده، ولذا كان فيها ثلاثة من القراء السبعة، هم: عاصم (ت 129هـ)، وحمزة (ت 156هـ)، والكسائي (ت 189هـ)، وفي كل مصر قارئ واحد، أما النحو فكانت على ما يبدو قانعة بما يجيئها من البصرة، ثم انتبهت إليه وشغلت به»[3].

وللدكتور شوقي ضيف تفصيل قول في عوامل تأخر دراسة الكوفيين بالنحو، فيقول: «تركت الكوفة للبصرة وضع نقط الإعراب في الذكر الحكيم ووضع نقط الإعجام، والأنظار النحوية والصرفية الأولى التي تبلورت عند ابن أبي إسحاق والتي أقام عليها قانوني القياس والتعليل؛ إذ كانت في شغل عن كل ذلك بالفقه ووضع أصوله ومقاييسه وفتاواه، وبالقراءات

---

1 نشأة النحو ص81.

2 تاريخ النحو ص5.

3 السابق ص 28.

وروايتها رواية دقيقة، مما جعلها تحظى بمذهب فقهي هو مذهب أبي حنيفة، وبثلاثة من القراء السبعة الذين شاعت قراءاتهم في العالم العربي، وهم: عاصم وحمزة والكسائي، وعنيت بجانب ذلك عناية واسعة برواية الأشعار القديمة وصنعة دواوين الشعر»[1]، «ولعل كثرة ممارسة الكوفيين لتلاوة والرواية هي التي أورثتهم الاعتداد بظاهر النص، وتهيب الهجوم عليه بالتأويل، أو الإنكار، وهو لا يعني أن البصرة كانت أقل من الكوفة تحملا للقرآن الكريم كله في عهد أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه– زهاء ثلاثمائة، وكل ما كان من الأمر هنا وهناك أن الكوفة آثرت العافية، وقنعت بما حفظت، واستمرأت الانقطاع للمعاودة، والتكرار، أن البصرة فقد أتيح لها الحفظ ووضع النحو فظفرت بالحسنيين»[2].

منهج الكوفة في التقعيد النحوي:

تعرضنا فيما تقدم إلى أن علماء الكوفة تعلموا النحو في الأول من البصريين، فالنحو الكوفي بهذا فرع من نحو البصرة ثم اختلف عنه في أصوله، وطرائق دراسته، بسبب لاختلاف العلماء في البلدين في مصادر الرواية، ثم في خصائص التفكير، فكان النحو نحوين أحدهما في البصرة، والآخر في الكوفة[3].

والقدماء الذين تخرجوا بالمدرسة البصرية، ونحاة المدرسة الكوفية كانوا يعلمون أن النحو الكوفي يمثل اتجاها بحثيا نحويا له خصائصه وأصوله ومناهجه إلى جانب الاتجاه البصري، ويؤكد هذا ما نراهلابن الأنباري في كتابه: (الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين) فقد درسأقوال المدرستين، وناقشها، وقارن بينها، ورجح، وهو ما نلقاه، أيضا، في مصادر النحو والصرف من عرض لآراء المذهبين من خلال الأبواب النحوية والصرفية المختلفة؛ فلم يورد ابن الأنباري جميع المسائل الخلافية التي ناقشها الفريقان، بل اقتصر على ما بدا له أنه أهمها، فقد تكلم عن إحدى وعشرين ومائة مسألة.

---

1 المدارس النحوية ص153.

2 تاريخ النحو للأستاذ علي النجدي ناصف ص33.

3 السابق ص 31.

كما تناول الخلاف بين البصريين والكوفيين أبو البقاء العكبري في كتابه: (مسائل خلافية في النحو)، زيادة على أوردته كتب التراجم من المؤلفات الكثيرة التي عرضت الخلاف بين المدرستين، ففي هذا كله بيان كاف لوجود مدرسة كوفية في النحو.

وقد وافق القدماء جمع من الباحثين المحدثين، وإن كان بعض المستشرقين خالف في وجود المدرسة الكوفية، ومنهم «فايل» الذي نشر كتاب الإنصاف لأول مرة، فقد رأى في مقدمته له أن الكوفة لم تبن لها مدرسة نحوية خاصة، وأن خلافيات نحوييها، وخاصة الكسائي والفراء مع الخليل وسيبويه ما كانت إلا امتدادا لما نقلاه من شيخهما البصري يونس بن حبيب الذي قرر بعض لقدماء على أن لهأقوالا انفرد بها، واحتج لذلك بأن كل المواضع التي ذكر ابن الأنباري اسمه فيها بكتابه يورد معه فيها الكوفيين على أنهم كانوا متابعين له في أقواله، وهي لا تزيد على أربعة، واستدل أيضا بأن الزمخشري قرنه إلى الكوفيين في خمس مسائل في (المفصل).

وللدكتور شوقي ضيف تعقيب بأنه «استدلال واضح الضعف إذا قسنا ما وقف فيه الكوفيون معه إلى ما وقفوه مع الخليل وسيبويه، فالكتب النحوية إنما تذكر خلافهم لهما، ولا تذكر مواضع اتفاقهم معهما، وهي أكثر من أن يحاط بها، ونفس سيبويه نقل عن يونس في كتابه نحو مائتي رواية تتخللها آراؤه التي كان يتفرد بها دونه ودون أستاذه الخليل»[1].

ثم يذكر شوقي ضيف أن المرشد الأول للكسائي والفراء في تأسيس المذهب الكوفي هو الأخفش الأوسط الذي أخذ عنه الكسائي إمام الكوفة الأول كتاب سيبويه، فهو من هيأ له وللفراء أبواب الخلاف مع سيبويه والخليل. وتنمية هذا الخلاف بما هيأهما إلى اتجاههما النحوي المستقل.

---

1 المدارس النحوية ص155.

وإذا كان «فايل»تفطن إلى أن بعض الكتب النحوية أوردت اتفاق يونس والكوفيين في مسائل لا تزيد على الخمسة فإن الكسائي والفراء وغيرهما وافقوا الأخفش في نحو ثلاثين مسألة، وفوق هذا، فإن الأخفش هو من وجه الكوفيين المتأخرين الاهتمام بالقراءات الشاذة.[1]

ثميعرض شوقي ضيف إلى أن زعم «فايل» أن الكوفة لم تكن مذهبا مستقلا مبني على كثرة الخلافات بين نحاتها كالذي نراه بين الكسائي وتلميذه الفراء، فهي لا تقدم صفا علميا موحدا، وغاية الأمر أنها اتجاه للخلاف على البصرة أمعنوا فيه، ويعقب بأنه «دليل منقوص، فقد كان نحاة الكوفة يكونون جبهة طالما تناظر أفرادها مع أفراد جبهة البصرة... على أن (فايل) نفسه يعود فيثبت للفراء مذهبا في النحو خالف به الكسائي ومعاصريه، وليس ذا المذهب إلا مذهب المدرسة الكوفية التي أنكرها، تكامل تشكله عنده، أما أنه خالف أستاذه الكسائي في بعض المسائل فهذا من حقه على نحو ما خالف سيبويه أستاذه الخليل، وعلى نحو ما خالفهما معا تلميذهما الأخفش في كثير من المسائل، وهم جميعا أئمة المدرسة البصرية»[2].

ولما رأينا شوقي ضيف يرد على «فايل» إنكاره وجود مدرسة كوفية في النحو بدحض ما جاء به من أدلة، فهذا الدكتور مهدي المخزومي قد واجهه كذلك في رأيه، ومن تبعه كالمترجم لثعلب في دائرة المعارف الإسلامية، وبروكلمان في «تاريخ الشعوب الإسلامية» بإبراز ما يميز المدرسة الكوفية من خصائص وأسس منهجية، فيقول: «غير أنه –بناء على ما لمحناه من خصائص ومزايا لطريقة الكوفيين، وعلى ما أثبتناه من شواهد كثيرة تؤيده، وعلى ما سمعناه من دارسين محدثين مؤيدين للقضية التي نحن بصدد الدفاع عنها –لا يسعنا الاطمئنان إلى ما أبداه «جوتولد فايل» من إنكار لوجود مدرسة كوفية، فإن اعتداد الكوفيين بالنقل، وتناولهم القياستناولا لا يمس روح النص اللغوي، وجنوحهم عن إتباع التأويلات البعيدة، والتوجيهات المتكلفة، والإمعان المنطقي، وتعديلهم القواعد حتى تتلاقى مع

---

1 السابق ص155،156.

2 السابق ص156.

المسموع، وتفسيرهم النصوص القرآنية، والنصوص اللغوية الأخرى تفسيرا لا يكاد يخالف الظاهر، وميلهم عن إخضاعها لما تواضعوا عليه من أصول، ثم بناء كثير من أحكامهم على القراءات التي سبق للبصريين أن أكرهوا جانبا منها على قبول معنى خاص هدفوا إليه، وأبعدوا جانبا آخر منها؛ لأنه استعصى على الخضوع لقواعدهم، وأبعد في الخروج على تأويلاتهم، ثم التماس ذلك في أقوال أئمتهم وأعلامهم، ووجد أنهم يلتزمون الدقة فيه، ويتنكبون مخالفته، ويتحرجون من الخروج عليه.هذه الخصائص كلها تضمن للدارس خطوط المنهج الرئيسية التي تكفيلرسم صورة مكتملة لمذهب مستقل»[1].

وفي عقب عرض الدكتور مهدي المخزومي لخصائص المدرسة الكوفية التي تطبع عملها، وتجعلها مقابلا للمدرسة البصرية شرع يبرز تناقض «فايل» مع رأيه، حيث أقر بوجود سمات بارزة تطبع المنهج الكوفة النحوي، فقال المخزومي: «على أن (جوتولد فايل) لم يسعه إلا أناعترف بوجود هذه الخطوط الكبرى التي انبني عليها طريقة الكوفيين، فقد قال في الفصل الذي عقده لوصف نمو المدرستين النحويتين في مقدمة (الإنصاف): فعلى حين كان أهل الكوفة يفسرون القرآن تفسيرا يلتزم الدقة في متابعة النص، ظهر عند أهل البصرة ميل إلى إكراه النص القرآني على قبول معنى خاص، والتمحل في حمله على مطابقة قواعدهم النحوية»[2].

ومن هنا كان الأستاذان الكبيران: الدكتور شوقي ضيف، والدكتور مهدي المخزومي قد ناءا بحمل الرد على هذا المستشرق الذي سعى إلى تزوير تاريخ النحو العربي كما عهدنا لغيره من المستشرقين، ولم نجد واحدا من الدارسين العرب والمسلمين ناصر «فايل» في ادعائه هذا، وهذا الأستاذ علي النجدي ناصف وقد أنكر وجود مدارس نحوية أخرى غير مدرستي البصرة والكوفة لم يأبه برأي «فايل»، ولم يصل إلى إنكار المدرسة الكوفية، وأسس رأيه في عدم وجود مدارس أخرى على انعدام ما تبرزه من خصائص المدرسة لها، فهو بعد

---

1 مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ص 252،253.

2 السابق ص353، نقلا عن مقدمة كتاب (الإنصاف) في طبعته الأوربية.

أن أظهر الفروق بين منهجي البصريين والكوفيين قال: «والآن هل للنحو مدارس أخرى؟ ينبغي قبل الإجابة عن هذا السؤال أن أعرف المدرسة، فهي: طائفة من العلماء أو الأدباء، أو أهل الفن، تؤلف بينهم في الإنتاج وصوره أصول ومناهج يلتزمونها مع احتفاظ كل بخصائص شخصيته» [1]، فهذا المفهوم العلمي للمدرسة لم يره الأستاذ علي النجدي موجودا في غير مدرستي البصرة والكوفة، وهو ما حمله على إنكار غيرهما من المدارس، ومعنى هذا أن المدرسة الكوفية في الدراسات النحوية جديرة بكل اعتراف علمي.

تتفق الكتب المؤرخة للكوفيين على أن اتجاههم في التقعيد النحوي يقوم على ثلاثة أسس:

1. الاتساع في الرواية، بحيث تفتح جميع الدروب، والمسالك للأشعار واللغات الشاذة.
2. الاتساع في القياس بحيث يقاس على الشاذ والنادر دون تقيد بندرته وشذوذه.
3. المخالفة في بعض المصطلحات النحوية، وما يتصل بها من العوامل[2].

على هذه المبادئ قام المذهب الكوفي في النحو، وكما نبهنا من قبل إلى أن النحو الكوفي في نشأته كان فرعا للنحو البصري، بما أن الكسائي تلمذ للخليل بن أحمد، وقرأ كتاب سيبويه على الأخفش، وقد اختلف الفراء إلى نحاة البصرة وتتلمذ على يونس بن حبيب، وانكب على كتاب سيبويه يقرؤه ويدرسه، وكذلك جميع أئمة الكوفة من بعده، غير أن الكوفيين مع اعتمادهم على نحو البصرة أفلحوا في أن يصنعوا لأنفسهم مدرسة نحويةمتميزة لها أسسها [3]، وهنا نكشف عن هذه المبادئمع المقارنة بينها وبين مبادئ المذهب البصري:

---

1 تاريخ النحو ص 34.

2 المدراس النحوية د/شوقي ضيف ص 158.

3 السابق ص 158،159.

1-الاتساع في الرواية:

جاء مع ذكرنا لمنهج البصريين في منهج التقعيد أنهم كانوا لا يعتمدون إلا كلام العرب الخلص الضاربين في أعماق صحراء جزيرة العرب[1]، فعرفوا بالتشدد في هذا ما حدا بهم إلى أن لا يثبتوا في تآليفهم النحوية إلا المسموع من العرب الموسومين بالفصاحة الذين لم تخالط فصاحتهم شوائب التمدن وأوشابه، وهم من سكنوا البوادي: نجد والحجاز وتهامة [2]، ونقل عن السيوطي رواية عن الفارابي في كتابه: «الألفاظ والحروف»:«والذين عنهم نُقِلت اللغة العربية وبهم اقْتُدِي وعنهم أُخِذَ اللسانُ العربيٌّ من بين قبائل العرب هم: قيس وتميم وأسد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثرُ ما أخِذ ومعظمه وعليهم اتُّكلفي الغريب في الغريب وفي الإعراب والتَّصْريف ثم هذيل وبعض كشنانة وبعض الطائيين ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم. وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضَريّ قط ولا عن سكَّان البَرَاري ممن كان يسكنُ أطرافَ بلادِهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم» [3]، ثم قال: «والذي نقل اللغة واللسان العربي عن هؤلاء وأثبتها في كتاب فصيرها علما وصناعة هم أهم أهل البصرة والكوفة فقط من بين أمصار العرب»[4].

ويتجلى من هذا أن الكوفيين قد كانوا أيضا اعتمدوا هذه القبائل، وانتقلوا إليها على الصورة التي يصفها لنا الرواة عن الكسائي، فقد نقلوا أنه خرج إلى نجد وتهامة والحجاز «ورجع وقد أنفد خمس عشرة قنينةَ حبرٍ في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ»[5].

والكوفيون لم يكتفوا بالنقل عن هذه القبائل الفصيحة الضاربة في إعماق الصحراء كالبصريين، إنما اختاروا أن يتوسعوا في الرواية والنقل للأشعار واللغة عن باقي العرب من بدو ومن حضر، فأخذوا عمن كان من العرب في حواضر العراق، وعن القبائل العربية

---

1 تاريخ النحو أ/علي النجدي ناصف ص 32،31.

2 المدارس النحوية د/شوقي ضيف ص159.

3 المزهر في علوم اللغة وأنواعها 212،211/1.

4 السابق /212.1

5 إنباه الرواة للقفطي 258/2، والمدارس النحوية د/شوقي ضيف ص 159.

المجاورة لغير العرب من الفرس والروم، مثل: لخم، وجذام، على جوارهم لأهل مصر والقبط، وقُضاعة وغسَّان وإياد وهم مجاورون لأهل الشام، وأكثرهم نصارىيقرؤون بالعبرانية، وتغلب واليمن فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان، وبكر لمجاورتهم للقبط والفرس وعبد القيس وأزد عُمَان لأنهم كانوا بالبحرين مُخالطين للهِند والفُرس، وأهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة وبني حنيفة، وسكان اليمامة وثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم [1]، وامتنع البصريون عن الأخذ عن هذه القبائل؛ لفساد ألسنتهم باختلاطهم بغير العرب من الفرس والروم واليونان، ومن هنا عاب البصريون على الكوفيين هذا التوسع في الرواية، بالأخذ عن جميع العرب، دون تمييز بين الخلص منهم وغير الخلص، وحملوا بصورة خاصة على الكسائي، فقالوا: «إنه كان يسمع الشاذ الذي لا يجوز من الخطأ واللحن وشعر غير أهل الفصاحة والضرورات، فيجعل ذلك أصلا، ويقيس عليه حتى أفسد النحو» [2]، كما قالوا: إنه لقي عشيرة من بني عبد القيس تسمى «الحطمة» كانت نازلة ببغداد، فأخذ عنها كثيرا من الخطأ واللحن [3]، وهم الذين احتكم إليهم الكسائي في مناظرته لسيبويه حول قولهم: (قد كنت أظن أن العقرب أشدُّ لسعة من الزنبور فإذا هو هي) عند سيبويه، حتى إذا قال الكسائي إنه يجوز: (فإذا هو إياها) أنكر ذلك سيبويه إنكارا شديدا، فناصر أعرابُ الحطمة الكسائي، ولكن سيبويه لم يعبأ بمناصرتهم الكسائي؛ لأنهم ليسوا من العرب الخلص الذين يوثق بفصاحتهم.

وقد كان تساهل الكوفيين وتوسعهم في الرواية والنقل من دواعي الخلاف بين الفريقين، وكان الكوفيون متميزين على البصريين في الرواية، في الشعر، وغيره، نقل ابن جني عن حماد الرواية الكوفي قوله: «أمر النعمان فنسخت له أشعار العرب في الطنوج –وهي الكراريس– ثم دفنها في قصره الأبيض، فلما كان المختار بن أبي عبيد قيل له: إن تحت

---

1 المزهر للسيوطي 212/1.

2 معجم الأدباء ليقاوت الحموي 183/13.

3 السابق 182/13، وإنباه الرواة للقفطي 274/2.

القصر كنزا، فاحتقره، فأخرج تلك الأشعار»، وعلى هذه الرواية عقب ابن جني بقوله: «فمن ثم أهل الكوفة أعلم بالشعر من أهل البصرة»[1].

وهذا التوسع جعلهم يسجلون كل ما في هذه الأشعار من ظواهر لغوية وصرفية ونحوية، فيعتمدونها في بناء قواعدهم بغير صرامة في مصادر هذا الشعر، ولا تشدد فياعتبار فصاحة قائليه، بخلاف البصريين الذين لم يعرف أنهم كانوا «يقبلون الشاهد إلا إذا وثقوا به، لهذا نرى سيبويه يردد لفظ الثقة ومشتقاته فيما يروي وما يسمع من الشواهد، كأنما يريد أن يطمئن أصحابه إلى أنه آخذ على الطريقة التي يتوارثونها، بل لم يكن يفوته أن ينبه على المصنوع من الشواهد أيضا»[2].

2-الاتساع في القياس:

وكما توسع الكوفيون في الرواية والنقل عن جميع العرب توسعوا أيضا في القياس، فالبصريون يقيسون على الأغلب الأعم في اللغة فوق التشدد في التثبت من صحة هذا الأغلب الأعم، وبنوا عليه قوانينهم، وأما الخارج عن حد الكثرة فقد عدوه شاذا، أو لغة، أو قليلا، أو ضرورة فإن الكوفيين قد سلموا بكل ما نقلوه عن العرب، وقاسوا عليه، بدون نظر إلى كثرته أو قلته، فلقد كانوا يقيسون على الشاهد الواحد.

وكانت المدرستان مختلفتين في أسلوب القياس على المسموع عن العرب وهو ما كان محل خلاف ونقاش عند الباحثين المحدثين من حيث الميل إلى واحد من النهجين، ولقد تكلمنا وعرضنا مناقشة الدكتور إبراهيم أنيس للقياس عند المدرستين، واجتهد في أن يصحح اعتقاد الدارسين في ميل الكوفيين إلى القياس، حين توسعوا فيه، وقاسوا على القليل النادر، واختيار البصريين السماع؛ حين مالوا إلى اطراد القاعدة، وتصحيح القياس على الأغلب الأعم غير ناظرين إلى ما خالفه من اللغات، وذهب إلى أن الكوفيين أكثر ميلا إلى السماع منهم إلى القياس؛ لتشبثهم بكل ما سمع وقاسوا عليه قل أو كثر، يقول الدكتور إبراهيم أنيس:

---

1 الخصائص 329/1،330.

2 تاريخ النحو أ/علي النجدي ناصف ص 31،32.

«والحقيقة أن الكوفيين إن صح أنهم قاموا بهذا لم يكن هذا المسلك منهم نوعا من القياس ولا شيئا من القياس، وإنما هو مظهر اعتزازهم بالنص، وعدم التفريط في هذا النص الموروث.

والذي يبدو أوفق للفهم أنهم أقرب إلى السماع منه إلى القياس؛ لتسليمهم لما سمعوا، ولتمسكهم به، لا ليصوغوا له قانونا عاما، إنما ليمنعوا القول بضعف المنقول، وشذوذه، وغير ذلك مما أطلقه البصريون على نصوص اللغة»[1].

كما ذهب إلى أن البصريين كانوا أكثر ميلا إلى القياس منهم إلى السماع، وقد أوردنا هناك عند الكلام في منهج البصريين أن ما رآه إبراهيم أنيس من التزام الكوفيين بالنصوص اللغوية الواردة، ثم قياسهم على كل ظاهرة لغوية بقطع النظر عن قلتها، وكثرتهامباين لما قرره الدارسون في القديم والحديث، لكنه نظر في ذلك من جهةتمسكهم بالمسموع، والتسليم له، وترك وصف القليل بالشذوذ، فجعلهم أميل إلى السماع، والناظر إلى تعدد القياس عندهم، حين يقيسون على الشاهد أو الشاهدين، ويصوغون على ذلك قاعدة اعتبرهم من أهل القياس.

والأمر نفسه عند البصريين، فالناظر إلى منهجهم في استقراء النصوص العربية الواردة عن العرب، واستخلاص القاعدة من الغالب الشائع، جعلهم أميل إلى السماع، ومن رأى إلى تمسكهم باطراد القانون وسلامة القياس، وإعراضهم عما خرج عن ذلك معتبرين إياه شاذا أو نادرا أو قليلا،فقد جعلهم أميل إلى القياس، وبه لا يتهيأ لنا الحكم بأن إحدى المدرستين أكثر احتراما للنص المروي، فالفريقان جميعا بنوا قواعد نحوهم على المنقول عن العرب.

ولكن ثمة أمرا لم يهتم به إبراهيم أنيس قد يدفعنا إلى الاعتقاد بميل الكوفيين إلى القياس، وميل البصريين إلى السماع، وهو أن البصريين كانوا يقدمون السماع على القياسفي حال تعارضا، يقول بن جني: «إذا تعارضا نطقت بالمسموع على ما جاء عليه ولم تقسه في

---

1 من أسرار اللغة ص25.

غيره وذلك نحو قول الله تعالى: «اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ» [1] فهذا ليس بقياس لكنه لا بد من قبوله لأنك إنما تنطق بلغتهم وتحتذي في جميع ذلك أمثلتهم» [2]، والكوفيون كانوا يقدمون القياسعلى السماع، فقد أبوا أن يتقدم الخبر على المبتدأ مطلقا، لئلا يتقدم الضمير الذي فيه على مرجعه، ففي (قائمٌ) مثلا من قولنا: (قائمٌ زيدٌ) ضمير (زيد)، ولم يكترثوالتأخر الخبر رتبة وإن تقدم لفظا، ولا للمأثور من الشواهد[3].

ونصل من هذا إلى أن نحاة الكوفة كانوا يرون القياس أحيانا دون احتكام إلى أي مسموع، ومن هذا أيضا قياسهم العطف ب(لكن) في الإيجاب على العطف ب(بل) في مثل: (قام زيد بل عمرو)، فقد طبقوا ذلك على (لكن) وأجازوا (قام زيد لكنْ عمرو) دون أي سماع عن العرب يجيز لهم هذا القياس[4].

ومن البين في الاستدلال على تقديم الكوفيين للقياس وعدم اعتدادهم بالسماع رأيهم في (إنْ) المخففة من الثقيلة، فقد منعوا إعمالها، وحجتهم أن (إنَّ)المشددة إنما عملت لأنها أشبهت الفعل الماضي في اللفظ؛ لأنها على ثلاثة أحرف كما أنه على ثلاثة أحرف، وإنها مبنية على الفتح كما أنه مبني على الفتح، فإذا خففت فقد زال شبهها به، فوجب أن يبطل عملها، وقد أتى بعضهم بحجة أخرى، وهي أن (إنَّ) المشددة من عوامل الأسماء، و(إنْ) المخففة من عوامل الأفعال، فينبغي ألا تعمل المخففة في الأسماء، كما لا تعمل المشددة في الأفعال؛ لأن عوامل الأفعال لا تعمل في الأسماء، وعوامل الأسماء لا تعمل في الأفعال[5].

---

1 المجادلة: 19.

2 الخصائص 118/1.

3 الإنصاف 65/1، وما بعدها، وتاريخ النحو أ/علي النجدي ناصف ص34.

4الهمع 137/2، والمدارس النحوية د/شوقي ضيف ص 164.

5 الإنصاف195/1،196.

فهم هنا بنوا القانون على قياس منطقي، ولم يأبهوا بالمسموع من إعمالها في القراءات الصحيحة المتواترة في قوله تعالى: «وإنْ كلا لما ليوفينهم ربُّك أعمالهم» [1]، وذلك على قراءة نافع وابن كثير بتخفيف (إنْ)[2].

ومن هنا فإننا نلقى كثيرا من الظواهر النحوية قد اعتمدها الكوفيون على القياس، لا على نص من المسموع، وهو ما دفع الدارسين إلى أن يروهم أميل إلى القياس، وأن نحويي البصرة أميل إلى السماع؛ من باب أنهم بنوا قوانينهم على استقراء كلام العرب، فأخذوها من الأغلب الأعم، ولم يصوغوا قواعدهم على القياس المجرد تاركين المسموع، كما هو فعل الكوفيين، يقول شوقي ضيف: «ذلك أن البصريين اشترطوا في الشواهد المستمد منها القياس أن تكون جارية على ألسنة العرب الفصحاء، وأن تكون كثيرة بحيث تمثل اللهجة الفصحى، وبحيث يمكن أن تُستنتج منها القاعدة المطردة، وبذلك أحكموا قواعد النحو وضبطوها ضبطا دقيقا، بحيث أصبحت علما واضح المعالم بيِّن الحدود والفصول»[3].

فغالب الباحثين يميلون إلى منهج البصرة في القياس لانبنائه على الأغلب الأعم من المسموع عن العرب، على أن إبراهيم أنيس يعيب عليهم ترك تحديدهم نسبة المقيس عليه تحديدا دقيقا، بل هم اختلفوا فيه بعض الاختلاف، فالذي عده أبو عمرو أكثر عده غيره كثيرا، أو الباب، أو بالأصل، وغير ذلك من التسميات الواردة في كتب البصريين من اللغويين[4].

وإن لم نر هذا معيبا عليهم؛ لأن الكثير لا تحديد قاطعا له، وإنما مبناه على غلبة الظن، ولذا فإن المعتبر فيصياغة القانون أن يجدوا أكبر قدر ممكن في الغالب على ظنهم من الشواهد اللغوية الموثوق بصحتها، والظاهر أن إبراهيم أنيس نفسه لم ير أهمية هذا

---

1 هود: 111.

2 الإنصاف 196/1.

3 المدارس النحوية ص161.

4 من أسرار اللغة ص 11.

المأخذ على منهجهم، ولم ير أنه ينقص من قيمتهم إذا قيس هذا المعيب بالمأخوذ على منهج الكوفيين في القياس على كل قليل أو نادر من القول، فإنه يقول: «أما الكوفيون فقد أسسوا القياس على كل ما روي عن العرب مهما قلت شواهده، وقد يظن لأول وهلة أن في نظرة الكوفيين تيسيرا علينا نحن المولدين، وأن في مسلكهم رخصة تجيز لنا كثيرا من الأمور التي أباها البصريون، غير أن الأخذ بمذهب الكوفيين قد يؤدي بنا في آخر الأمر إلى نوع من الاضطراب والفوضى في تقعيد القواعد وتنظيم مسائل اللغة؛ إذ يترتب عليه خلو اللغة من الاطراد والانسجام، وهما شرط هام في الفهم والإفهام، ومقياس دقيق يقاس به ما بلغته كل لغة من نمو وتطور، وبغير ذلك الاطراد والانسجام تصبح اللغة كالثوب المرقع وإن كانت تلك الرقع من الحرير والديباج»[1].

ومن هذا مال الدارسون في القديم والحديث إلى موقف البصريين من القياس لسلامته واطراده، وموافقته للمسموع، يقول السيوطي: «اتفقوا على أن البصريين أصح قياسا؛ لأنهم لا يلتفتون إلى كل مسموع ولا يقيسون على الشاذ».

واختلاف البصريين عن الكوفيين في أنهم لا يقيسون على القليل النادر، وقياسهم على الأغلب الأعم، والكثير المسموع في اللغة الفصحى، واعتبارهم ما خالف القاعدة المطردة على الكثير الغالب شاذا، أو لغة، أو ضرورة جعل بعض الباحثين المحدثين يأخذه على البصريين، ويثني على الكوفيين في خلافه، وقد انتصر شوقي ضيف للبصريين انتصارا شديدا في مواجهة من يأخذ عليهم وصفهم لما خالف القياس المطرد بالشذوذ أو الندرة بأن البصريين لم يعرضوا عما وصفوه بالشذوذ أو الندرة، أو يتركوه من دراستهم، إنما هم نعتوه بالشذوذ أو الندرة تنبيها على مخالفته للقياس، وكي لا يعتبر من قبيل الكثير المستعمل، وفيه قال شوقي ضيف: "على أنه ينبغي أن نعرف أن المدرسة البصرية حين نحّت الشواذ عن قواعدها لم تحذفها ولم تسقطها، بل أثبتتها، أو على الأقل أثبتت جمهورها، نافذة في كثير منها إلى تأويلها، حتى تنحي عن قواعدها ما قد يتبادر إلى بعض الأذهان من أن خللا

---

1 من أسرار اللغة ص 12.

يشوبها، وحتى لا يغمض الوجهالصحيح في النطق على أوساط المتعلمين، إذ قد يظنون الشاذ صحيحا مستقيما، فينطقون به ويتركون المطرد في لغة العرب الفصيحة وتصاريف عباراتهم وألفاظهم. ومن هنا يتضح خطر قواعدهم بالقياس إلى ما زاده الكوفيون من قواعد استنبطوها من الشواذ النادرة، إذ إن ذلك يعرض الألسنة للبلبة، لما يعترضها من تلك القواعد التي قد تخنق القواعد العامة»[1].

ثم يلتفت شوقي ضيف إلى فريق من الدارسين الذين طعنوا على المذهب البصري فيقول: «وكأنما غاب غور هذا العمل وما أُرسي به من علم النحو على بعض المعاصرين، فإذا هو يطعن على البصريين لذلك الموقف بينما يحمد للكوفيين موقفهم، مطريا لهم، زاعما أنهم كانوا أدق من البصريين في فقه طبيعة العربية والإحساس بدقائقها التي لا تخضع دائما لمنطق العقل. وهو كلام لا يقوله إلا من لا يعرف كيف توضع القواعد في العلوم، وأنه ينبغي أن يرفع عنها كل ما يعترضها من اضطراب، بحيث تبسط سلطانها على جميع العناصر والجزئيات بسطا تاما كاملا»[2].

وأيضا واجه شوقي ضيف من ادعوا أن الكوفيين كانوا أعرف بحقيقة اللغة، وأبعد حسا، وأنهم لم يرضخوا كالبصريين للمنطق والفلسفة بأن الكوفيين أيضا، كانوا يأخذون بدورهم بهما، بل لعلهم يفوقونهم خضوعا أحيانا على ما يبديه لنا موقفهم من القياس؛ فهم يقيسون على غير المسموع عن العرب، فقد رأينا قياسهم في وجوب إهمال (إنْ) المخففة منالثقيلة؛ لأنها لا تشبه الفعل كالمشددة، وكما رأينا قياسهم العطف ب(لكنْ) في الإيجاب على العطف ب (بل) وغير هذا مما أجازوه بناء على القياس غير المعتمد على السماع، واستدل شوقي ضيف على ميل الكوفيين إلى المنطق والفلسفة في نحوهم بأن أبا زكريا الفراء؛ مؤسس النحو الكوفي، كان من المعتزلة، متكلما متفلسفا، وقد قال من ترجم له إنه كان يتفلسف في كتبه، ويتكلف فيها ألفاظ الفلاسفة، والناظر إلى كتاب (الإنصاف في مسائل الخلاف بين

---

1 المدارس النحوية ص162.

2 المدارس النحوية ص161.

النحويين: البصريين والكوفيين) يرى فيه شيئا كثيرا من الاحتجاج المنطقي العقلي الذي أدلى بها الكوفيون في مناقشاتهم وجدالهم مع البصريين، وهو ما قد يدحض الرأي السابق.

ومن المستغرب أن غير واحد من الباحثين المحدثين يصلون بين مذهب الكوفيين والمنهج الوصفي الحديث ذاهبين إلى أنهم يصفون الظواهر اللغوية على ما هي عليه دون مسير وراء الحجج المنطقية، والعلل الفلسفية، وقد رأينا الكوفيين يقيسون على ظواهر لغوية ليست مسموعة عن العرب، وإنما يهديهم إلى هذا أخذهم بالمنطق والفلسفة، مع أن البصريين أقرب إلى المنهج الوصفي من الكوفيين؛ فهم ما كانوا يقيسون إلا على المسموع عن العرب، ولم يخرجوا أو يؤولوا الشواهد التي تعارض القواعد المطردة إلا بالأدلة اللغوية، وأما لجوؤهم إلى علم المنطق فبالقدر الذي يساعدهم على تفسير الظاهرة، وربط بين مكوناته، يقول شوقي ضيف: «ينبغي أن نحذر مبالغات المتشيعين للكوفيين حين يزعمون أنهم كانوا يبنون قياسهم دائما على السماع، فقد كانوا يجافونه أحيانا ويضربون عنه صفحا، مهتدين بالمنطق العقلي الخالص. ومن يرجع إلى كتاب سيبويه يجده مع ما يمتلئ به من حجج منطقية رائعة لا يدلي بقياس ولا قاعدة نحوية عامة دون سماع من أفواه الفصحاء الخلص، وما يخضون فيه من الشعر والكلام»[1].

3-مخالفتهم في المصطلحات والعوامل والمعمولات:

ويسم مدرسة الكوفة عن البصرة أنهانهجت لها نهجا في وضع المصطلحات على وفق الوظائف النحوية المختلفة تباين ما للبصريين، والحديث هنا عن العوامل والمعمولات عند الكوفيين منضو تحت الكلام عن المصطلحات؛ لأن العوامل والمعمولات تتصل بالمصطلح النحوي؛ فكل عامل يأخذ مصطلحا،وكل معمول له مصطلح خاص أيضا، ولم يظهر المصطلح النحوي عند الكوفيين بالعدم، إنما هم استجابوا في مصطلحاتهم لزعماء البصريين؛ فالخليل بن أحمد الآخذ عنه زعماء الكوفيين هو أول من أطلق المصطلحات النحوية على النقط التي وضعها أبو الأسود الدؤلي لتدل على أحوال أواخر الكلمات المختلفة، فصنيع

---

1 المدارس النحوية ص164،165.

الخليل يعتبر الانطلاقة الأولى التي أخذها الباحثون في بناء النحو، سار به من عصر إلى عصر، وعن الخليل أخذ النحاة الذين تلمذوا له فكرة وضع المصطلحات، وإن افترق تلاميذه فريقين، فأخذ كل فريق بأسلوب بحثي متميز، ولكل منهما مصطلحات تميزه، تفسرها طبيعة منهجه[1].

و«لعل مما يدل أكبر الدلالة على أن الكوفيين كانوا يقصدون قصدا إلى أن تكون لهم في النحو مدرسة يستقلون بها –أنهم على الرغم من تلمذة أئمتهم الأولين على أيدي البصريين وعكوفهم جميعا على كتاب سيبويه ينهلون منه ويتعلمون، حاولوا جاهدين أن يميزوا نحوهم بمصطلحات البصريين والنفوذ إلى آراء خاصة بهم بعض العوامل والمعمولات»[2].

وللدكتور مهدي المخزومي توزيع للمصطلحات التي اعتمدتها المدرستان، هو هذا:

1- قسم منها كوفي خالص، لم يعرفه البصريون.

2- قسم منها بصري خالص، لم يعرفه الكوفيون.

3- قسم كوفي بصري، مع اختلاف التسمية بين الفريقين.

فمن القسم الأول: مصطلح الخلاف، مصطلح كوفي، استعملوه في عدة أبواب:

- الظرف المخبر به عن الاسم في نحو قولهم: (زيدٌ عندَك)، و(البحرُ أمامَك).
- المفعول معه في نحو قوله: (استوى الماءُ والخشبةَ).
- الفعل المضارع المنصوب بعد حروف العطف في نحو قولهم:(لا تظلمني فتندمَ).

ووفاقا للكوفيين في نصب هذه كلها بالخلاف يعلق الدكتور مهدي المخزومي فيقول: «ومن الغريب أن يقول الكوفيون بالنصب على الخلاف في هذه المواضع، ولا يقولون به في نصب المستثنى ب(إلا)، مع أن المخالفة بين المستثنى وما قبله

---

1 مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو د/مهدي المخزومي ص305.

2 المدارس النحوية ص165.

أبين منها في هذه المواضع التي نص الكوفيون فيها على النصب بالخلاف، لعدم المماثلة في الحكم بينها وبين ما قبلها»، ثم أبدى ثناء على مذهب الكوفيين في هذا، فقال: «ويبدو لي أن النصب على الخلاف لو عمل به بعد توسيع نطاقه ومجال عمله لكان الأخذ به وسيلة من وسائل التيسير الذي ينشده المحدثون، وأداة للتخلص من كثير من مجادلات القدماء»[1].

ومن هذا القسم أيضا مصطلح الصرف، واعتبره الفراء سببا في نصب المفعول معه في مثل: (جاء زيدٌ وطلوعَ الشمس)، في حين رأى البصريون نصبه بالفعل الذي قبله بواسطة الواو، واعتبره أبو زكريا الفراء سبب نصب المضارع بعد واو المعية وفاء السببية، و(أو) في مثل:

لأستسهلنَّ الصعبَ أو أدركَ المنى

و(ما تأتينا فنتحدثَ معك)، و:

لا تنهَ عن خلقٍ وتأتي مثلَه

بينما اختار البصريون كون المضارع بعد هذه كلها منصوب ب(أنْ) مضمرة وجوبا [2]، ومن هناسمى الكوفيون هذه الأحرف التي ينصب الفعل المضارع بعدها: أحرف الصرف.

ومن القسم الثاني: مصطلح لام الابتداء، وهو مصطلح بصري لا يستعمله الكوفيون، بل إنهم ينكرونه، لأن لام ابتداء عند البصريين هي لام قسم عند الكوفيين، فلديهم اللام في قولهم: (لَزيدٌ أعلم من مالك): «جواب قسم مقدر، والتقدير: (واللهِ لزيدٌ أعلم من مالك)، فأضمر لفظ القسم؛ اكتفاء باللام منها»[3].

---

1 مدرسة الكوفة ص297.

2 المدارس النحوية ص165،166.

3 الإنصاف لابي البركات الأنباري 399/1، المسألة (58).

وأخذ الدكتور مهدي المخزومي بالاختيار الكوفي، فقال: «ويخيل إلي أن الكوفيين على حق في اعتبار لام الابتداء لاما تقع في جواب القسم؛ لأن ما يؤديه مثل قولهم: (لخالد مجتهد) عند حذف القسم هو نفس ما يؤديه قولهم: (والله لخالد مجتهد) من إرادة التوكيد، ومحاولة إزالة الشك من نفس المخاطب الذي يشك أو يخيل إلى المتكلم أنه يشك في نسبة الاجتهاد إلى خالد، وما دام الأمر كذلك فليس في تعدد اللام واعتبارها لام ابتداء حينا، ولام قسم حينا آخر فائدة عملية»[1].

وهو اختيار له ما يسوغه،ويقوم على اعتبار مهم هو عدم التعدد للوظيفة النحوية الواحدة بتسميات اصطلاحية مختلفة، ولكن البصريين يرون في مثل: (لزيدٌ أعلم من مالك) أنه لا يحتمل الحذف والتقدير.

ومن مصطلحات القسم الثاني اسم الفعل عند الكوفيين، ويعتبره البصريون ما يصدق على الكلمات التي تدل على ما تدل عليه الأفعال، ولا تقبل بعض علامات الاسم، كالتنوين، للدلالة على التنكير، ومنها ما على حرفين، مثل (صهْ، مهْ، ويْ)، ومنها ما هو على أكثر من حرفين إلا أنه يخالف صيغ الأفعال (شتانَ، هيهاتَ)، ويعده الكوفيون فعلا حقيقيا؛ بما أنه يدل على ما يدل الفعل من الحدث والزمان، وسلم البصريون بأنه يدل على الزمن، ورأوا تقسيمه إلى اسم فعل ماض، واسم فعل مضارع، واسم فعل أمر، وإن لم يعدوه فعلا على الحقيقة، كالكوفيين؛ لقبوله التنوين، وهو اسم، وقد مال المخزوميإلى رأي الكوفيين بعد هذا النوع أفعالا حقيقية، فقال: «أما التنوين الذي استند إليه البصريون في (صهٍ، مهٍ، آهٍ) فلا أظنه بمانع أن تكون أفعالا؛ لأنه ليس تنوين تنكير كما زعم البصريون، ولكنه جيء به لتكثير اللفظ في كثير من أسماء الأفعال مما بني على حرفين، بعد أن استقرت الوحدة الكلامية في اللغة العربية في الثلاثي»[2].

ومال محمد محي الدين عبد الحميد إلى أن مذهب الكوفييننضعيف لاعتبارات:

---

1 مدرسة الكوفة ص307.

2 مدرسة الكوفة ص308.

أحدها: أنها تخرج عن صيغ الأفعال المعروفة.

وثانيها: أن منها ما يبقل أن ينون، والفعل لا ينون.

وثالثها: أن بعضها موضوع على حرفين أصالة ك(مهٍ، صهٍ)، والفعل لم يوضع منه شيء على حرفين.

ورابعها: أنها لا تتصل بها ضمائر الرفع البارزة.

وخامسها: أن ما يفيد الأمر منها لا تتصل به نون التوكيد[1].

وسمى بعضهم اسم الفعل (خالفة) [2]، وأطلق تمام حسان عليه اسم (خالفة الإخالة)، وهي واحدة من الخوالف الأربع في اللغة، والثانية (خالفة الصوت)، والثالثة (خالفة التعجب)، والرابعة (خالفة المدح أو الذم)[3].

ومن القسم الثاني: المفعول المطلق، والمفعول له، والمفعول فيه، والمفعول معه، وهذه تسميات نحاة البصرة؛ فالمفاعيل عندهم خمسة، وهي: المفعول المطلق، والمفعول به، والمفعول فيه، والمفعول معه، والمفعول لأجله، ولا نجد عند الكوفيين منها إلا المفعول به، أما المنصوبات الأخرى فهي عندهم أشباه مفاعيل[4].

ومن القسم الثالث –وهي المصطلحات المختلف فيها بين الفريقين، (الجحد)، ويقابله عند البصريين مصطلح (النفي)، و(المحل أو الصفة)، وهو مصطلح كوفي، وعند البصريين (الظرف)، مثل: (أمامك زيد)، و(في الدار عمرو) [5]، و(الترجمة والتبيين)، ويقابله عند البصريين مصطلح (البدل)، و(الفعل الدائم)، ويقابله عند البصريين مصطلح(اسم الفاعل)

---

1 عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك، وهو الشرح الكبير 82/4.

2ارتشاف الضرب لأبي حيان 12/1.

3 اللغة العربية معناها ومبناها ص113، وما بعدها.

4 مدرسة الكوفة ص308.

5 بالإنصاف 51/1، مسألة (6).

و(الأدوات)، وهي عند البصريين (حروف المعاني)، و(الخفض)، ويعني به البصريون (الجر)، و(المجهول) وهو ما يعرف عند البصريينبضمير الشأن أو القصة أو الحديث، و(العماد) وهو ما يعني به البصريون ضمير الفصل، و(حروف الصفة)، ويقابلها عند البصريين حروف الجر، ويسميها الكوفيون أيضا (حروف الخفض) و(حروف الإضافة) و(النعت)، وهو من اصطلاح الكوفيين، وربما قاله بعض البصريين أيضا، ويقابله عند البصريين(الصفة أو الوصف)، و(الإدِّغام) بتشديد الدال مصطلح بصري، ويقابله (الإدْغام) عند الكوفيين[1]، و(المكني)، ويسميه البصريون (ضميرا)، و(حروف الصلة أو الحشو)ن وهي عبارة كوفية يقابلها عند البصريين (حروف الزيادة) [2]، و(النسق) ويقابله عند البصريين (العطف بالحرف)، و(الرفع والنصب والجزم والخفض)، فهذه الألقاب يطلقها الكوفيون على أواخر الكلم المعرب والمبني، أما البصريون فيطلقونها على أواخر الكلم المعرب فقطن أما أواخر الكلم المبني فيطلقون عليه (الفتح والكسر والضم والسكون) [3]، و(لا) التبرئة، ويقابلها عند البصريين (لا) النافية للجنس، و(ما يجرى وما لا يُجرى)، ويقابله عند البصريين (المصروف والممنوع من الصرف) [4]، و(التقريب) والمراد به عند الكوفيين اسم الإشارة الذي يعمل عمل (كان) وأخواتها إذا أريد به التعريق، يقول السيوطي: «وذهب الكوفيون إلى أن (هذا وهذه) إذا أريد بهما التقريب كانا من أخوات (كان) في احتياجهما إلى اسم مرفوع وخبر منصوب، نحو: (كيف أخاف الظلم وهذا الخليفة قادما)، و(كيف أخاف البرد وهذه الشمس طالعة).

وكذلك كل ما كان فيه الاسم الواقع بعد أسماء الإشارة لا ثاني له في الوجود نحو: (هذا غبين صياد اشقى الناس) فيعربون (هذا تقريبا) والمرفوع اسم التقريب والمنصوب خبر التقريب؛ لأن المعنى إنما هو على الإخبار عن الخليفة بالقدوم وعن الشمس بالطلوع، وأتى

---

1 شرح المفصل لابن يعيش 121/10.

2 السابق 8/م128.

3 راجع شرح المفصل 72/1.

4 راجع مدرسة الكوفة ص 309، وما بعدها، والمدارس النحوية د/شوقي ضيف ص165، وما بعدها،

باسم الإشارة تقريبا للقدوم والطلوع، ألا ترى أنك لم تشر إليهما وهما حاضران، وأيضا فالخليفة والشمس معلومان فلا يحتاج إلى تبيينهما بالإشارة إليهما، وتبين أن المرفوع بعد اسم الإشارة يخبر عنه بالمنصوب لأنك لو أسقطت الإشارة لم يختل المعنى كما لو أسقطت كان من (كان زيد قائما)»[1].

وللدكتور شوقي ضيف تعقيب على هذه الاصطلاحات المعروفة عند الكوفيينفقال: «وواضح أن هذه المصطلحات ظلت لا تسود في النحو العربي، إذا نحن استثنينا اصطلاح النعت وعطف النسق؛ لأن نظامه الذي وضعه البصريون هو الذي عم بين العلماء والناس في جميع الأمصار والأعصار، وهو لم يعم عفوا، إنما عم لدقته المنطقية، وكأن عقول البصريين كانت أكثر خضوعا وإذعانا لسلطان المنطق، ومناهجه الصارمة»[2].

ومن جهة العوامل والمعمولات فاختلف الفريقان فيهما أيضا، فنجد العامل عند كل وظيفة نحوية غير الذي عند الكوفيين، فمنه عامل الرفع في المبتدأ «فذهب البصريون إلى أن المبتدأ يرتفع بالابتداء، وهو معنى» [3]، ورأى الكوفيون أن المبتدأ هو الذي يرفع الخبر، وأن الخبر يرفع المبتدأ، فهما، من هنا، مترافعان.

وبدا للدكتور شوقي ضيف أن يصف مذهب الكوفيين بالضعف؛ لما فيه من الدور، ويذهب إلى أنه يرتفع بشيء يجري على اللسان قبل النطق به، وربما لم يكن الخبر اسما مرفوعا ويكون فعلا في مثل: (محمد كلمته)، ورأوا في هذا أن رافع المبتدأ هو الضمير المنصوب العائد على المبتدأ، والمتصل بالفعل، وهو إغراق في تقدير عامل الرفع في المبتدأ، وهو تعمل كبير[4].

1الهمع 113/1.

2 المدارس النحوية ص167.

3 شرح المفصل لإبن يعيش 84/1.

4 المدراس النحوية ص168.

ولهم اختلاف في الفضلات، فرأى أبو زكريا الفراء أن عامل النصب فيها هو الفعل مع الفاعل، وهو قريب على الأصل المذكور؛ لأنه بإسناد أحدهما إلى الآخر صار فضلة، فهما معا يفسران كونه معدودا فضلة، فهما أيضا سبب العلامة في الفضلة، ورأى هشام بن معاوية الكوفي أن عامل الفضلات هو الفاعل فقط، خلافا للرضي؛ لأنه عد الفعل وهو الجزء الأول بانضمامه إليه يصير كلاما، فاعتبرت الأسماء سواه فضلة.ومال نحاة البصرة إلى أن الفعل هو عامل النصب في الفضلات؛لاقتضائه الفضلات، واختار الرضي رأي الكوفيين.[1]

وحكي عنهم خلاف في عامل الرفع في الفعل المضارع غير المسبوق بناصب أو جازم فرأى سيبويه والبصريون أن رافعه وقوعه في موقع الاسم فإن (يضرب) في نحو: (زيد يضرب) وقع موقع (ضارب)، ولم يره ابن مالك؛ لوجود ما ينقضه كنحو: (هلا تفعلُ) و(جعلت أفعلُ، و(ما لك لا تفعلُ)، و(رأيت الذييفعلُ)؛ فإن الفعل في هذه المواضع مرفوع مع أن الاسم لا يقع فيها موقعه، واختلف نحاة الكوفة، فالفراء رأى أنه مرفوع بتجرده من النواصب والجوازم، ويعتقد شوقي ضيف أن الفراء رأى ما رأى استنادا إلى رأي الأخفش الذي يرى أن الرافعهو تعريه من العوامل اللفظية مطلقا، واختاره الفراء، وإن كان اختار أيضا أن يغير ويحرف ويبدل فيه، ويظهر جيدا أنه مذهب الأخفش كذلك[2].

ورأى أبو العباس ثعلب أنه مرتفع بالمضارعة نفسها، وقد رفض شوقي ضيف مذهب ثعلب، كذلك، ومال إلى مذهب الفراء والأخفش، يقول: «ولعل ذلك ما جعل ثعلبا يذهب إلى أنه مرفوع بالمضارعة محاولا بذلك النفوذ إلى رأي جديد»[3].

ومال الكسائي إلى أن رافعه أحرف المضارعة، فعامله إذن لفظي، ف(أضرب) رفعته الهمزة، و(نضرب) مرفوع بالنون، و(تضرب) بالتاء، و(يضرب) بالياء[1].

---

1 شرح الكافية 21/1.

2 المدارس النحوية ص 169.

3 السابق ص 169.

ورفض الدكتور شوقي ضيف تفسير الكسائي كذلك؛ لأنه يجعل الجزء من الفعل عاملا فيه، وهذا معناه أن الشيء يعمل في نفسه[2].

ويرى واضحا تعقبات شوقي ضيف لآراء الكوفيين بالرفض، ولا يفعل مع البصريين، وحين رأى تفسير الفراء ناجيا من التعقب؛ لقربه من الحقيقة اللغوية، وأنأى عن النظر الفلسفي عاد به إلى تفسير الأخفش لأنه بصري، وكان ابن مالك كشف عما فيرأي البصرة من الوهن، إذ لا يصدق تفسيرهم على كل مضارع مرفوع، ومذهب الفراء الذي استحبه ابن مالك، ونسبه إلى مهرة الكوفيين [3] «لقي تأييدا من الدارسين المتأخرين فكان المعربون يستندون إليه في اعتلالهم لارتفاع الفعل المضارع»[4].

واختلفوا أيضا في الفاعل وعامل الرفع فيه فالجمهور رأوا أن رافعه هو العامل المسند إليه من فعل أو ما ضمن معناه؛ لأنه يطلبه، ورأى هشام بن معاوية الضرير الكوفي أن رافعه الإسناد، أي: النسبة، فالعامل، إذن، معنوي، وضعفه الجمهور؛ فالأصل أنه لا يترك العامل اللفظي إلىالمعنويإلا عند امتناع اللفظي، وهو هنا متحقق، ومال بعض الكوفيين إلى أن رافع الفاعل إحداثهالفعل، ونقلوا عن خلف أن عامل الرفع فيه هو معنى الفاعلية[5].

وعندما ننظر في جوهر هذا الخلاف فسنقف على أن هذه الآراء كلها مرجعهاإلى رأي الجمهور؛ فالإسناد الذي هو قول هشام الكوفي هو تعلق الفعل بالفاعل، ومعنى الفاعلية الذي قال به هشام، أيضا، ليس هو إلا تعلق الفعل بالفاعل، وكذلك الفاعلية التي قال بها الكسائي[6]، قال الدكتور مهدي المخزومي: «ويخيل إليَّ ان خلفا وهشاما متفقان، وإن اختلفت عبارتهما، فليست الفاعلية إلا تلبس الفاعل بالفعل، أو إسناد الفعل إلى الفاعل، ولذلك كان

---

1 راجع الهمع 1/ 164،165.

2 المدراس النحوية ص169.

3الهمع 164/1.

4 مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو د/ مهي المخزومي ص293.

5الهمع 159/1.

6 السابق 159/1.

الرضي بنسب القول بالإسناد إلى خلف [1]، ويخيل إليّ أيضا أنهما اخذا ذلك عن الكسائي في ذهابه إلى أن رافع الفاعل هو كونه داخلا في الوصف»[2].

ومما وقع فيه خلاف بينهم تعيين الجازم في جواب الشرط في مثل: (مَنْ يَعُدْ أَعُدْ معه)، فرأى الكوفية أن مجزوم على الجوار، قاسوه على الجر بالجوار، واختار البصريون أن الجازم الأداة جزمته كما جزمت الشرط؛ لتطلبها الاثنين معا فعملت فيهما بمثل ما عملت (كان)، و(ظنَّ)، و(إنَّ) في جزأيها، ونسبه السيرافي لسيبويه، ورأى الأخفش أن الجازم فعل الشرط، وهو اختيار ابن مالك؛ لاقتضائه له بما جعلته فيه الأداة في المعنى، ونقلوا عن الأخفش رأيا غيره، وهو أن الجازم هو الأداة والفعل جميعا[3].

والذي يظهر أن رأي البصرية هو الأصح؛ فإن الأداة هي ما أوجد الربط بين جزأي أسلوب الشرط، فالارتباط بينهما في المعنى يستدعي أن يجزما معا بالأداة.

كما كان بينهم اختلاف في عامل النصب في المستثنى ب(إلا)؛ فرأى سيبويه أنه الفعل أو معناه بواسطة (إلا)، ومال المبرد والزجاج وآخرون من الكوفية إلى أن الناصب (إلا) بالنيابة عن الفعل (أستثني) في كل سائر أساليب الاستثناء.

واختار الفراء أن (إلا) مركبة من حرفين: (إنَّ) الناصبة للاسم، الرافعة للخبر، و(لا) التي العاطفة، ثم كان تخفيف في نون (إنَّ)، وإدغام في (لا)، فأعملوها عملين في ما دخلت عليه، فجعلوها ناصبة في الإيجاب بالنظر إلى (إن)، وللعطف النفي، نظرا إلى (لا)،وقد قرر ابن يعيش أن ذلك فاسد؛ لأنهم يقولون: (ما أتاني إلا زيدٌ)، ولا عطف فيه، ولا نصب، بل رفع(زيد) على أنه فاعل، ونقلوا عن الكسائي أن المستثنى منصوب ب(أنَّ) مقدرة بعد(إلا)، فالتقدير في قولهم: (حضر الناس إلا زيدا): (حضر الناس إلا أنَّ زيدًا لم يحضر)، وأباه الفراء بأن النصب لو كان ب(أنَّ) مقدرة لوقع النصب بها في نحو: (حضر زيد لا

---

1 شرح الكافية71/1.

2 مدرسة الكوفة د/مهدي المخزومي ص293.

3 الإنصاف 602/2، وما بعدها، والهمع 61/2.

عمرو) أيضا، ودفع آخرون مذهب الكسائي ومالوا إلى رأي سيبويه؛ بأن الكسائي قرر معنى الاستثناء، لا لتحقيق العامل[1].

والذي إليه الميل أن الناصب ليس عاملا لفظيا، بل معنوي، وهو المخالفة؛ مخالفة المستثنى للمستثنى منه حكما، وتظهر المخالفة في الاستثناء التام الموجب، فإذا قيل: (حضر الناس إلا عليا)، فإن الحضور كان من الناس، ولم يكن من (علي)، وهذا هو المراد بالمخالفة، ويدل عليه أن المخالفة إذا زالت من أسلوب الاستثناء زال النصب.

ففي نحو (ما جاءني إلا زيد) أعرب ما بعد (إلا) فاعلا.وعلى كل فإن طلب تعيين العامل لا ينتهي إلى الجزم بشيء[2].

وفي ما سبق أوردنا أن الكوفيةاختاروا القول بالخلاف في المفعول معه، وفي الظرف المنصوب المخبر به عن المبتدأ، وفي الفعل المضارع المنصوب بعد الواو والفاء، ولم يختاروه في المستثنى، وهو معنى أظهر في المستثنى.

ومن هنا فالمتتبع للمعاني النحوية المختلفة يجد خلاف المدرستين في بيان العوامل فيها ظاهرا، وفي غالب الأمر يكون ميل البصريةأرجح، وتباينت اختيارات الدارسين المحدثين إزاء المدرستين، فاختار هؤلاء المدرسة الكوفية، ومال أولئك إلى المدرسة البصرية، فالدكتور شوقي ضيف في كتابه: (المدارس النحوية)، مال إلى أن يزيل ما استقر في الاذهان من أن البصريين أكثر اختيارا للتقديرات والتأويلات بسبب أخذهم بالمنطق والفلسفة، والكوفيين أكثر أخذا بوصف الحقيقة اللغوي، مع النأي عن الإسراف في التقدير والتأويل، فدلل على عكس ذلك، وهو أن مدرسة الكوفةكانت أكثر أخذابالتقدير، ومثل لقوله بأمثلة تبرز درجة أخذهمبالتأويل والتقدير؛ ولعا بالخلاف على البصريين، فالمنادى المفرد المعرفة في نحو

---

1 شرح المفصل لإبن يعيش 2/76،77.

22 قراءة إبن عامر صوتيا وصرفيا ونحويا، رسالة ماجستير إعداد المؤلف، كلية دار العلوم –جامعة القاهرة ص267.

قولهم: (يا عليُّ)، فسيبويه والبصريونرأوا مبني على الضم في محل نصب بفعل محذوف، تقديره: (أدعو) نابت عنه (يا)، وعند المبرد هو حرف النداء نفسه الذي ناب عن الفعل.

ومال الكسائي إلى رفعه، لا بنائه؛ بتجرده عن العوامل اللفظية، والتجرد لا يفسر الرفع، كما قيل المبتدأ، بل المقصود عدم وجود سبب البناء، فلزم الإعراب، وفسر اختيار الرفع دون الجر والنصب بأن الجر يوقع في شبه المضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة، وبأن الفتح يوقع في شبه المنع من الصرف، كما فسر عدم التنوين بالتفريق بين ما رفع بعامل، وما رفع لغير عامل، ولا اعتراض عليه بالمبتدأ؛ فالعامل عنده في المبتدأ هو الخبر [1]، وغير خاف التكلف الذي في هذه التقديرات والتأويلات. وقال الفراء: أصل (يا زيدُ): (يا زيدا) ليكون المنادى بين الصوتين ثم اكتفى ب(يا)، ونوى الألف فصار كالغايات فبني على الضم»، ويذهب إلى أن فتحة المضاف فتحة بناء، لا إعراب، وأن تفسير ترك البناء على الضم إلى البناء على الفتح بنيابة المضاف إليه مناب الألف المحذوفة من(زيد)، وعلق الرضي على ذلك فقال: «ولا أدري ما يقول في نصب المضارع [2] والمفرد النكرة، ولم لايجري المضاف مجراهما في كونه منصوبا»[3].

ويلحق بهذا رأي الكوفيين في الاسم المرفوع بعد (لولا) في نحو قولهم: (لولا علي لأكرمتك)، فرأوا أنه مرفوع ب(لولا) نفسها، لا بالابتداء الذي حذف خبره كما عند البصريين، ونابت (لولا)، حسب الكوفية مناب الفعل (يمنع)، أي: (لولا يمنع علي....) ويستوجب هذا أن تفيد (لولا) النفي، ولم يؤيده ابن يعيش لوجوه، منها لو أنها تفيد النفي لأمكن وقوع (أحد) بعدها؛ لأن (أحد) يعمل فيه النفي، ولم يقولوا ذلك، وأنها لو أفادت معنى النفي لأمكن أن يعطف عليها بالواو و(لا) لتوكيد النفي، فيقال: (لولا علي ولا زيد لأكرمتك)، ولكنهم لم يقولوا ذلك أيضا، كما أنها ليست حرفا مختصا، فهي تدخل على الأسماء والافعال، فلا تعمل؛ لأن

---

1 شرح الرضي على الكافية لإبن الحاجب 1/131،132.

2 يعني: الشبيه بالمضاف.

3 السابق 1/132،133.

العامل يختص بالدخول على الأسماء، أو بالدخول على الأفعال [1]. وللدكتور شوقي ضيف تعليق على هذا الرأي المنسوب للفراء فقال: «وليس في حروفها ولا في مادتها ما يشير إلى هذا الفعل، وكأنه أوجد بين الحروف أداة تعمل الرفع في الأسماء، وهو إبعاد واضح في التقدير»[2].

وفي عقب تمثيل الدكتور شوقي ضيف بما يبرز إسراف الكوفيين في التقدير والتأويل أنهى حديثه عن المدرسة الكوفية بقوله: «وعلى هذه الشاكلة كان الكوفيون يحاولون النفوذ إلى آراء جديدة في العوامل والمعمولات، كما كانوا يحاولون النفوذ إلى بعض المصطلحات التي يخالفون بها ما اصطلح عليه البصريون، حتى يفترق نحوهم على الأقل بعض الافتراق من نحو البصرة، وبذلك كله وبما سنفصل فيه الحديث عند اعلامهم، استطاعوا أن يكوِّنوا لهم مدرسة نحوية مستقلة، لا ترقى حقا إلى منزلة المدرسة البصرية، ولكنها على كل حال مدرسة بينة المعالم، واضحة القَسَمَات والملامح»[3].

والشيخ محمد الطنطاوي ذهب بعد استعراضه منهج المدرستين إلى تأييد المدرسة البصرية، بأمور:

1- أن البصريين يؤيدون السماع على القياس، ولا يأخذون بالقياس إلا في حال تخلف المسموع، ودعاهم إلى هذا يسر اتصالهم بالعرب، ولوجودهم إلى جانبهم تعصبوا في رواياتهم فلا يأخذونها إلا عمن هو ثقة في فطرته، بينما الكوفيون، على خلافهم اختاروا القياس على السماع في أحكامهم لبعدهم عن العرب الخلص، ومن هنا تسامحوا في النقل فتلقوها عمن لا يرى البصريون النقل عنهم.

2- أنهم أهل تحوط في مقاييسهم فلم يسجلوا منه شيئا إلا بتوافر اليقين فيها بعكس الكوفية.

---

1 شرح المفصل لإبن يعيش 1/95،96.

2 المدارس النحوية ص171.

3 المدارس النحوية ص171.

3- عمد ميلهم إلى القياس النظري عند فقد الشاهد إلا نادرا، في حين مال الكوفية إليه[1].

وفي الخلاصة فالبصريون ظل اتجاههم هو الشائع والمأخوذ به في القديم والحديث، ومن هنا راح فريق من المحدثين يختار آراء الكوفية وينسبها لنفسه تحت عنوان التجديد والتحديث، ومن هنا تبين أن تيارات التجديد في النحو كوفية في معظمها، لما فيها من معاني الترخص والتساهل.

*** *** *** *** ***

المحاضرة التاسعة:

نحاة مدرسة الكوفة:

نحاة الكوفة طبقات، والطبقة الأولى:

- أبو جعفر الرؤاسي: محمد بن الحسن، مولى محمد بن كعب القرظي، وقد لقب بالرؤاسي لكبر رأسه، ونشأ بالكوفة، ولكنه رحل إلى البصرة، فأخذ عن أبي عمرو بن العلاء، وغيره من علماء الطبقة الثانية البصرية، ثم قفل إلى الكوفة وإشتغل فيها بالنحو مع إبن أخيه: معاذ الهراء، وغيره، فتكونت الطبقة الأولى الكوفية، ثم صنف كتابه: (الفيصل) في النحو، وقد ذكر الشيخ الطنطاوي أن سيبويه نقل عنه في كتابه، كم نقل عن البصريين[2].

وقد تعرضنا سابقا إلى زعم الرؤاسي أن كل ما في كتاب سيبويه من قوله: (وقال الكوفي) يعينه، وأن شوقي ضيف أورد أن كتاب سيبويه ليس به هذه الكلمة تماما، وكما صرح انه لا تنسب إليه آراء في النحو ذات أهمية [3]، والشيخ الطنطاوي يورد أن نحو

---

1 نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ص100،101.

2 السابق ص69،70.

3 المدارس النحوية ص 153،154.

الكوفيين مرجعه إليه في الدراسة، والتأليف. فهو رأس الطبقة الأولى فيهم، وله كتاب هو أول كتاب في النحو عند الكوفيين، وتوفي بالكوفة في سنة مائة وأربع وتسعين للهجرة [1].

- معاذ الهراء: أبو مسلم، ولقبه (الهراء) لبيعه الثياب الهروية، والرؤاسي عمه، أقام بالكوفة واشتغل مع الرؤاسي في النحو، وغلب عليه الاهتمام بالأبنية، حتى اعتبره مؤرخو النحو واضعالعلم الصرف، ولم يعرف له تأليف،عاش طويلا، وتوفي بالكوفة سنة مائة وسبع وثمانين[2].

وتم التعرض فيما سلف إلى عدم صحة مذهب من رأوا أنه واضع علم الصرف، وليس لهذين الرجلين من نحاة الكوفة كبير تأثير في بناء النحو الكوفي، وإنما النشأة الحقيقية للنحو الكوفي إلى شيخ الكوفة الكسائي، وتلميذه الفراء:

الكسائي:

هو: علي بن حمزة بن عبد الله بن فيروز، أبو الحسن الأسْدي مولى بني أسد، الكوفي، المعروف بالكسائي، ولقب بذلك لإحرامه في كساء، وقيل: لاشتغاله على حمزة الزيات في كساء، كان نحويا لغويا أحد أئمة القراء، أصله من الكوفة، ثم استوطن بغداد، فأدب الرشيد وولده الأمين، وقد قرأ على حمزة بن حبيب الزيات قراءته، وكان يقريء بها، ثم اختار لنفسه قراءة، وكان يقرا بها، وقد روى عن أبي بكر بن عياش، وسفيان بن عيينة، وغيرهما، وروى عنه يحي بن زياد الفراء، وأبو عبيد، قال الشافعي: من أراد النحو فهو عيال على الكسائي، وأخذ الكسائي عن الخليل صناعة النحو، فسأله يوما: عمن أخذت هذا العلم؟ قال الخليل: من بوادي الحجاز، فرحل الكسائي إلى هناكن فكتب عن العرب شيئا كثيرا، ثم عاد إلى الخليل، فإذا هو قد مات، وتصدر في موضعه يونس بن حبيب، فجرت بينهما مناظرات، أقر له فيها يونس بالفضل، وأجلسه في موضعه.

---

1 نشأة النحو ص70.

2 السابق ص70.

توفي الكسائي سنة مائة وتسع وثمانين للهجرة على المشهور عن سبعين سنة، وكان ي صحبة الرشيد ببلاد (الري)، فمات بنواحيها هو ومحمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة النعمان في يوم واحد، وكان الرشيد يقول: دفنت الفقه والعربية بالري، وقيل: إنه توفي ب(طوس) سنة مائة واثنتين وثمانين للهجرة.

وقد رأى بعضهم الكسائي في المنام ووجهه كالبدر، فقال: ما فعل بك ربك؟ فقال: غفر لي بالقرآن، فقلت: ما فعل بحمزة؟ قال: ذاك في عليين، ما نراه إلا كما نرى الكواكب[1].

ويظهر من كتب تاريخ النحو وسير النحاة أن الكسائي كان ملما بعدة علوم، فقد كان قارئا بل أحد أئمة القراء السبعة، وله قراءة معروفة تناقلها عنه الرواة، كما كان لغويا ونحويا، ويظهر انه لم يكفه حينئذ ما أخذه من اللغة وشواردها عن البدو الخلص في الجزيرة العربية –فقد مضى يكثر من سماعه عن أعراب الحطمة، وهم عشيرة من بني عبد القيس نزلت بغداد، وأقامت بها، وكأنه لم يكن يجد بأسا في الأخذعن هؤلاء الأعراب، بينما كان البصريون لا يروون اللغة عن أمثالهم من العرب المتحضرين الذين يمكن ان يكون قد دخل الفساد على ألسنتهم، وسرعان ما ظهر أثر ذلك في مناظرته لسيبويه حين قدم سيبويه على البرامكة، فطلب سيبويه الجميع بينه وبين الكسائي للمناظرة، وقد سبقه إليه تلاميذه: الفراء، والأحمر، وهشام الضرير، ومحمد بن سعدان، وسأله الأحمر عن مسائل، وكلما أجابه سيبويه بجواب قال له: أخطأت يا البصري، فحضر الكسائي، فأقبل على سيبويه، فقال: تسألني أو أسألك، فقال: بل تسألني أنت، فأقبل عليه الكسائي، فقال: كيف تقول: (كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإن هو هي)، أو (فإذا هوإياها)؟ فقال سيبويه: (فإذا هو هي)، ولا يجوز النصب، فقال له الكسائي: لحنت، ثم سأل عن مسألة من هذا النحو، نحو: (خرجت فإذا عن عبد الله القائمُ–بالرفع، والقائمَ –بالنصب)، فقال سيبويه في ذلك بالرفع دون النصب، فقال الكسائي: ليس هذا من كلام العرب، والعرب ترفع ذلك كله وتنصبه، فرفع ذلك سيبويه، ولم يجز فيه ذا يحكم بينكما؟ فقال له الكسائي: هذه العرب

---

1 البداية والنهاية لإبن كثير 718،719/10.

ببابك قد اجتمعت من كل أوب، ووفدت عليك من كل صقع، وهم فصحاء الناس، وقد قنع بهم اهل المصرين، وسمع أهل الكوفة والبصرة منهم، فيُحْضَرون ويُسْألون، فقال له يحي بن خالد وجعفر: قد أنصفت، وأمر بإحضارهم، فدخلوا، فسُئلوا عن المسائل التي جرت على سيبويه فقال: قد تسمعن وأقبل الكسائي على يحي، وقال: أصلح الله الوزير، إنه وفد عليك من بلده مؤملا، فإن رأيت أن لا ترده خائبا، فأمر له بشرة آلاف درهم، فخرج وتوجه نحو فارس وأقام هناك، ولم يعد إلى البصرة[1].

يقول الدكتور شوقي ضيف: «ويبالغ رواة هذه المناظرة، فيقولون: إن سيبويه حصر وأفحم، وفي رأينا أنه يفحم ولم يحصر، لأنه كان لا يعتد بما قد يفد على ألسنة مثل هؤلاء العرب المتحضرين، مما يخالف استخدام الفصحاء ويشذ على القياس المبني على استعمالهم وما يدور في ألسنتهم. والمهم أن هذه المناظرة أرست أصلا من أصول المدرسة الكوفية، وهو الأخذ باللغات الشاذة المخالفة للأقيسة البصرية من جهة وللشائع المتداول على أفواه العرب من جهة ثانية»[2].

وإذا كان الكسائي يمثل الطبقة الثانية من نحاة الكوفة فإنه بطبيعة الحال لا بد أن يكون قد أخذ عن الطبقة الأولى المتمثلة في أبي جعفر الرؤاسي، وأبي معاذ الهراء، فضلا عن أخذه عن نحاة البصرة: كالخليل بن أحمد، والأخفش الذي أقرأه كتاب سيبويه، وقد عزت إليه كتب التراجم وضع كتاب في (معاني القرآن)، وآخر في (مختصر النحو) [3]، وكتبا أخرى، ككتاب (القراءات)، وكتاب (العدد)، وكتاب (النوادر الكبير والصغير)، وغيرها، ولم يبق من هذه المصنفات شيء، ولكن تحت أيدينا مما صنف الكسائي رسالة في (ما تلحن في العوام)، وجد منها نسختان مخوطتان: الأولى في برلين، وقد حققها وقدم لها «كارل بروكلمان»، وطبعت في (برسلاو)، وفي دار الكتب المصرية نسخةمن هذا المطبوع رقمها

---

1 الإنصاف في مسائل الخلاف لإبن الأنباري 702/2، ومابعدها، المسألة رقم(99).

2 المدارس النحوية ص174.

3 تاريخ النحو، للأستاذ علي النجدي ناصف ص 29،28.

0237) لغة، والثانية في بومباي، بخزانة الجامع ضمن مجموعة من الرسائل، كتبت في القرن الثاني عشر للهجرة، صححها عبد العزيز الميمنيالراجكوتي، وقدمها للطبع مع رسالتين أخريين، إحداهما (مقالة في كلا)، وما جاء منها في كتاب الله –عز وجل– لإبن فارس، والثانية: رسالة الشيخ إبنعربي إلى الإمام الفخر الرازي، وعنونت المجموعة ب(ثلاث رسائل)، وطبعت في المطبعة السفلية بمصر عام 1344هـ، ويرى الدكتور مهدي المخزومي أن رسالة الكسائي رسالة في اللغة لا في النحو، تتضمن جملة الكلمات التي ينطق بها العامة على غير وجهها الصحيح، كان تكون مفتوحة الأول مثلا، وينطقون بها مكسورة أو مضمومة الأول، أو تكون بالصاد، ويلفظونها بالسين، أو بالعكس، أو تكون ملازمة صفة واحدة في التذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع، فينطقون بها بالتاء مع المؤنث، وبالزيادة مع المثنى والجمع، وهكذا.

ثم ساق نماذج من هذه الرسالة توضح مضمونها، فمن ذلك قوله: «تقول (دعه حتى يسكت من غضبه) بالتاء، ولا يقالب النون، قال الله –عز وجل: «ولمَّا سَكَتَ عَنْ موسى الغَضَبُ»[1]، وقوله: «ونقول: (قد نفِد المال والطعام) بكسر الفاء، قال الله –عزوجل: «قُلْ لَوْ كانَ البَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ ربِّي لَنَفِدَ البحرُ قَبْلَ أنْ تنفدَ كلماتُ ربِّي»[2]، وقوله: «تقول: (كَبِد) – بفتح الكاف، وكسر الباء، قال الآخر:

أو كان بالفَرَدِ الحَوَّال لانصَدَعَتْمن دونه كَبِدُ المستعصمِ الفَرَدِ

وقوله: «يقال: (قصَّ الشاة)، وقصَّصها –بالصاد، ولا يقال بالسين، و(القَسُّ) بالسين هو قس النصارى».وقوله: «ويقال: (عليَّ ثيابٌ جدد) –بضم الدال، و(الجُدَد)– بفتحالدال: الجبال»،وقوله: «وتقول:(رجل جنب)، و(رجلانجنب) و(نسوة جنب) للمذكر والمؤنث سواء،

---

1 الأعراف: 154.

2 الكهف: 109.

ويقال: (خاتِم الشي): آخره –بكسر التاء، ومنه قول الله –عز وجل: «خاتِمَ النبيين» [1]»[2]ن يعني على القراءة بكسر التاء.

وللدكتور مهدي المخزومي على هذه الرسالة المنسوبة للكسائي بقوله: «أكبر الظن أن هذه الرسالة –إذا صحت نسبتها إلى الكسائي– هي أقدم عمل لغوي من نوعه في تاريخ العربية فلم أعلم أن أحدا قبل الكسائي عرض لمثل هذا الموضوع، وصنف فيه رسالة خاصة، وهذه الرسالة تعتبر تأريخا لظهور نتائج التفاعل بين اللغات المختلفة، التي تلاقت في صعيد الأمصار العراقية، ولبداية تطور الفصحى إلى حيث آلت إلى ما هي عليه لهجة أهل العراق اليوم، فهي رسالة في اللغة لا في النحو، وليس فيها ما يعين على توضيح منهجه في دراسة النحو ومسائله مما يتعلق ببناء الكلمات، ولا بأحوال أواخرها في ثنايا التأليف»[3].

والحق أن المتأمل في هذه النماذج التي نقلها الدكتور مهدي المخزومي من رسالة الكسائي (ما تلحن في العامة) لا يجدها في اللغة فقط، كما ذكر الدكتور مهدي المخزومي، حيث نفى كونها معالجة لما يتعلق ببناء الكلمة، وما يتعلق بأواخرها، وإنما هي –إلى جانب معالجتها لقضايا لغوية– تعالج في كثير منها قضايا صرفية، فتصويبه نطق الفعل (نَفِدَ) أن يكون بكسر الفاء –إشارة منه إلى أنه من باب (عَلِمَ– يَعْلَم)، وهو أحد أبواب الفعل الثلاثي المجرد مع مضارعه، كما أن تصويبه نطق كلمة (كَبِد) أنم تكون بكسر الباء – إشارة منه إلى أن وزنه (فَعِل) – بفتح الفاء وكسر العين، وهو أحد أوزان الإسم الثلاثي المجرد، ولم يقل بجواز إسكان عينه، كما جاز في نحو (فَخِذ)؛ لأنعينه ليست من أحرف الحلق، كما أن تصويبه نطق كلمة (جُدُد) بضمتين لا بضمة ثم فتحة إشارة منه إلى أن (جديد) يجمع على

---

1 الأحزاب: 40.

2 رسالة (ما تلحن فيه العلوم) للكسائي، طبعة كارل بروكلمان ص 31،37،39،41،46.

3 مدرسة الكوفة ص104.

(جُدُد) بوزن (فُعُل)–بضمتين، وهو مقيس في جمع الاسم الرباعي الذي قبل آخره حرف مد، مثل: (سبيل، سبل)، و(نذير، نذر)، و(سعير، سعر)، و(حمار، حمر)، و(زبور، زبر) [1].

كما أن قوله: (رجل جُنُب، رجال جُنُب، نسوة جُنُب) بضمتين –إشارة منه إلى أن هذه الكلمة من الصفات المشبهة الملازمة للإفراد والتذكير، كما أن اختياره لكلمة (خاتِم) –بكسر التاء– إشارة منه إلى أنها اسم فاعل من (خَتَم)، وبكسر التاء قرأ الجميع إلا عاصما والحسن، فقد قرأ بفتح التاء –اسم آلة ك(الطابع)، و(القالب)[2].

وليس كل ما ذكره الكسائي في رسالته تصويبا لأخطاء، بل نجد كثيرا منها اختيارا للأفصح في نظره، بدليل اختياره للزوم كلمة (جُنُب) الإفراد والتذكير، يقول ابن منظور: «ورجل جانب وجُنُب: غريب، والجمع: أجناب، وفي حديث مجاهد في تفسير السيارة قال: هم أجناب الناس، يعني الغرباء، جمع جُنُب، وهو الغريب، وقد يفرد في الجميع ولا يؤنث» [3]، وبدليل اختياره أيضا لكسر التاء في (خاتِم)، وقد عرفنا أن كسر التاء قراءته، فهو لا يتناول ما أخطأ فيه العوام فقط، بل يتناول أيضا ما يراه أفصح من مقابله، وإذا صحت نسبة هذا العمل إلى الكسائي أمكن القول بأنه أول عمل مستقل بعلم الصرف، وإن كان مختلطا بقضايا لغوية، فهذا أمر طبيعي بالنسبة للمصنفات الصرفية عندهم، وليس أول عمل لغوي، كما يقول الدكتور مهدي المخزومي، بل سبقه الخليل بن أحمد بكتابه (العين)، إلا إذا كان الدكتور مهدي المخزومي يقصد انه أول عمل بهذا العنوان.

ولما كان الكسائي عالما في القراءات؛ إذ كان صاحب قراءة سبعية معروفة، وتلقى القراءات عن أئمة عصره، ومنهم حمزة بن حبيب الزيات، ومحمد بن أبي ليلى، وعيسى بن عمر الهَمْداني، وأبو بكر بن عياش، وكان عالما باللغة والنحو، حيث أخذ ذلك عن معاذ بن مسلم الهراء، وأبي جعفر الرؤاسي من الكوفيين، وعن عيسى بن عمر الثقفي، والخليل بن

---

1 راجع 0في تصريف الأسماء) للدكتور/ مدي بدر الدين ص65،66.

2 إتحاف فضلاء البشر للدمياطي البناء ص355.

3 لسان العرب 692/1.

أحمد الفراهيدي من البصريين –أمكن القول بأنه قد تخرج في مدرستين، لكل منهما منهج خاص، يختلف عن الآخر اختلافا كبيرا، فمنهج مدرسة القراءة عماده الرواية والسند الصحيح، والإسناد هو الأصل الأعظم عند القراء، ولا تجوز القراءة بالقياس المطلق قطعا، وكل قراءة لم تستند إلى الرواية فهي مردودة، ومنهج مدرسة النحو عماده القياس، والبحث في علل التأليف، ولا يعنى بالرواية إلا بمقدار ما يستفيد منها في تأييد اصوله، وتثبيت قواعده[1].

مذهب الكسائي النحوي:

لا شك أن الكسائي يعد المؤسس الأول للمدرسة الكوفية، وقد ذكرنا سابقا ان منهجين مختلفين كانا يتنازعانه، وهما: منهج الرواية والنقل دون تدخل منه باجتهاد أو قياس، وهذا المنهج يتمثل في علم القراءات، ومنهج القياس والاجتهاد، وهذا يتمثل في مذهبه النحوي، وهذان المنهجان لم يتناقضا عند الكسائي، بل استطاع أن يوفق بينهما، حيث اخذ القراءات عمن يوثق بهم في عصره، وكان يتثبت من صحة ما يرويه وينقله، وكان يتوسع في القياس النحوي توسعا كبيرا، بحيث يستوعب ما جاءت عليه القراءات من الظواهر اللغوية التي تخالف قياس البصريين الصارم، وكان الكسائي يقول:

إنما النحو قياسٌ يُتَّبعوبه في كل أمر يُنتفَعْ

وهكذا فإنه «توسع في القياس، فلم يقف به عند المستعمل الشائع على الألسنة ولا عند أعراب البدو، بل مده ليشمل ما ينطق به العرب المتحضرون ممن يمكن أن يكون قد دخل اللحن على السنتهم في رأي البصريين، ولعله من أجل ذلك ألف كتابه في لحن العوام؛ ليدل على أنه كان يفرق بين لغات العرب وبين هذا اللحن. وأهم من ذلك أنه مد النحو ليشمل الشاذ النادر من تلك اللغات مما لم يكن سيبويه والخليل يحفلان به، ولا يريان له قدرا»[2].

---

1 مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ص 106،107.

2 المدارس النحوية ص176.

ويعلل الدكتور شوقي ضيف توسع الكسائي في القياس، حيث جعله مستوعبا للغات الشاذة والنادرة بانه –كما عرفنا– من القراء للذكر الحكيم، وكانت تجري في قراءاته حروف تشذ على قواعد النحو البصري، فخشي أن يظن بهذه الحروف أنها غير جائزة، وأنها لا تجري على العربية السليمة، وربما خشي اندثارها، وهي جميعا مروية عن الرسول –صلى الله عليه وسلم– غير أن منها ما هو متواتر، وهو القراءات السبع، ومنها ما هو غير متواتر، وهو ما وراءها من قراءات، وجميعها صحيح، وينبغي أن نتوسع في قواعد النحو والصرف حتى تشمله[1].

وهذه العلة في توسع الكسائي في القياس لا تنطبق عليه وحده، بل نجدها عند غيره من نحاة الكوفة؛ لان العناية برواية القراءات القرآنية سمة غالبة على أهل الكوفة كما بينا من قبل، ومن ثم أرادوا أن يضعوا قواعدهم في ضوء القراءات القرآنية حتى لا تصطدم القراءة بالقاعدة، فيحكموا عليها بالشذوذ كما فعل البصريون، ويبدو ان الأخفش: تلميذ سيبويه قد تنبه للقضية، فوجه ما اصطدم من بعض القراءات بقواعد مدرسته، وكان سيبويه قد احتفظ في كتابه بمادة وفيرة من الأشعار والأقوال الشاذة على مقاييسه، يريد أن ينص على أنها جرت على ألسنة بعض الاعراب الفصحاء، ولكنها لاتجري على القواعد الكلية العامة للنحو، كما تصوره هو وأستاذه الخليل، أو بعبارة أدق: يريد أن يبعدها عن ألسنة الناس، حتى تستقيم لألسنتهم عربيتهم في أفصح هيئة ممكنة.

وبرى الدكتور شوقي ضيف أن الكسائي قد أعاد النظر في هذا التأصيل العام لقواعد النحو، وأفسح فيها للقراءات واللغات الشاذة، وبذلك خرج إلى صورة جديدة من النحو، صورة لا تتفق والمناهج الدقيقة في وضع العلوم التي تقتضي في قواعدها الاطراد والتعميم والشمول[2].

---

1 المدارس النحوية ص176.

2 المدارس النحوية ص177.

والحق أن موقف الكسائي من التوسع في القياس لم يؤد إلى دخول القراءات الشاذة فقط تحته، وإنما دخلت تحته أيضا قراءات صحيحة متواترة أجمع عليها قراء الكوفة والبصرة على حد سواء، وكانت هذه القراءات تصطدم بقواعد البصريين الصارمة مما حملهم على تخريجها وتأويلها، والحكم عليها بالشذوذ، ووصف بعضهم إياها بما لا تليق به، وطعنهم في أصحابها، وإن كان الدكتور شوقي ضيف قد وصف منهج البصريين بالدقة العلمية التي تقتضي الاطراد والتعميم والشمول –فإن منهج الكوفيين كان أيضا دقيقا؛ لأنهم راعوا فيه الظواهر اللغوية المختلفة التي جاءت عليها القراءات الصحيحة، وهي لا سبيل إلى ردها؛ إذ هي متصلة السند إلى الرسول –صلى الله عليه وسلم، وقد استشعر الدكتور شوقي ضيف أهمية المنهج الكوفي فقال: «ولكنها –يعني الصورة الجديدة من النحو التي خرج إليها الكسائي– على كل حال فتحت الأبواب لا للاحتفاظ بالحروف الشاذة في قراءات الذكر الحكيم، فهذه كانت ستحتفظ بها الأجيال العربية لتعلقها بالدين الحنيف، وإنما للاحتفاظ بشواذ اللغات واللهجات وصونها وحمايتها من الضياع»[1].

على أن القياس عند الكسائي لم يستوعب الظواهر اللغوية التي جاءت عليها القراءات المتواترة أو الشاذة فقط، بل استوعب أيضا الظواهر اللغوية المجمع عليها بين جميع القراء، وسوف نرى عند عرضنا لآراء الكسائي النحوية أن البصريين تأولوا ذلك كله لرده إلى أقيستهم.

---

1 المدارس النحوية ص177.

تلاميذ الكسائي:

كان الكسائي متعدد الجوانب؛ إذ كان من أئمة القراء واللغويين والنحاة، ولذلك كثر تلاميذه وتعددوا حسب الجوانب التي كان يتقنها ويحاضر فيها ويملي [1]، فمنهم من أخذ عنه علم القراءات إلى جانب اللغة، ومنهم من أخذ عنه علم النحو، وقد ذكرت كتب التراجم أن تلاميذه كثيرون، منهم: القاسم بن معن (ت 175هـ)، وعلي بن المبارك الأحمر (ت 193هـ)، والفراء(ت204هـ)، أو(207هـ)، وهشام بن معاوية الضرير (ت 209هـ)، واللحياني (ت 220هـ)، وأبو عبيد القاسم بن سلام (ت 224هـ).

ولعل أشهر هؤلاء التلاميذ: الفراء، وهشام بن معاوية، والأحمر، واللحياني [2]، وفيما يلي نخص كلا منهم بكلمة نبرز فيها دوره في بناء المذهب الكوفي في النحو، مفصلين الحديث عن الفراء، وهشام بن معاوية الضرير؛ لما لهما من آراء نحوية تعكس خصائص المدرسة الكوفية.

1-القاسم بن معن:

هو: القاسم بم معن بن عبد الرحمن المسعودي الهذلي الكوفي، أبو عبد الله: قاضي الكوفة، من حفاظ الحديث، كان عالما بالعربية، والأخبار، والأنساب، والأدب، ومن أروى الناس للحديث والشعر، يقال له: شعبي زمانه، وكان سخيا، وهو من أحفاد الصحابي عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه وإليه نسبته، من كتبه: (النوادر) في اللغة، و(غريب المصنف)، وقد توفي سنة مائة وخمس وسبعين للهجرة[3].

2-علي الأحمر:

هو: علي بن المبارك الأحمر النحوي، صاحب علي بن حمزة الكسائي، كان مؤدب الأمين، وهو أحد من اشتهر بالتقدم في النحو واتساع الحفظ، وجرت بينه وبين سيبويه

---

1 المدارس النحوية د/شوقي ضيف ص186.

2 مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ص107، وما بعدها.

3 تهذيب التهذيب لابن حجر 532/4، والاعلام للزركلي 186/5.

مناظرة لما قدم بغداد، قال الطوال: ومات الأحمر قبل الفراء بمدة، قال: أحسبه سنة أربع وتسعين ومائة[1].

وتذكر كتب الطبقات أنه متقدم من بين أصحاب الكسائي، حتى على الفراء نفسه، بجودة قريحته، وتقدمه في علل النحو، ومقاييس التصريف، وذكروا أنه كان كثير الحفظ، ونقلوا عن ثعلب أنه كان يحفظ أربعين ألف شاهد في النحو، وأنه اجتمع له من التلاميذ جمع كبير، كانوا يلازمونه ويعجبون به، ويفضلونه على سائر أصحاب الكسائي، حتى إنه لما مات أراد الفراء أن يتمم ما بدأه الأحمر من إملائه الشواهد، فلم يجتمع له الناس، كما اجتمعوا للأحمر، فقطع، ويرى الدكتور/ مهدي المخزومي أن «الزعم بأنه شيخ العربية، أو أن أحد من اشتهر بالتقدم في النحو، أو أنه –فيما قال ثعلب– كان متقدما على الفراء في حياة الكسائي، لجودة قريحته وتقدمه في علل النحو ومقاييس الصرف –إنما هو بعض المزاعم الكوفية العريضة التي يجب التثبت قبل الإقدام على تصديقها» [2]، ولذلك لم تحفل كتب النحو بآراء نحوية منسوبة إليه، كما حفلت بآراء الفراء، يقول الدكتور مهدي المخزومي: «ولكني لم أقف على أقوال له في النحو تؤيد زعم الأولين بتقدمه على أصحاب الكسائي في العربية بل لا أعلم أحدا من النحاة نقل له قولا أو رايا في مسألة إلا ما جاء في (همع الهوامع) من أنه كان يزعم أن (ما) يستثنى بها ك(إلا)، ولم ينفرد به وحده، وغنما جاء اسمه مقرونا باسم الفراء» [3]، حيث ذكر السيوطي أن الفراء والأحمر زعما أن (ما) يستثنى بها ك(إلا)، وخرجا عليه ما حكي عن العرب من قولهم: «كل شيءٍ مَهَهٌ (يسير) ما النساء وذكرهن»، أي: (إلا النساءَ وذكرَهن)[4].

---

1 إنباه الرواة على أنباه النحاة 2/313–317.

2 مدرسة الكوفة ص112.

3 السابق ص111.

4الهمع 1/233.

وقد تأول ابن مالك ذلك على حذف صلة (ما)، وهو (عدا)، وأبقوا المنصوب به والمعطوف عليه، وعقب في موضع آخر على ما ذهب إليه الفراء والأحمر من كونها بمعنى (إلا) بقوله: «وزعم بعض الناس أن (ما) هاهنا بمعنى (إلا)، وليس بشيء»[1].

وقد علل السيوطي إضمار ابن مالك: (عدا) دون أخويه (حاشا)، و(خلا) بان (عدا) متفق على فعليتها، بخلاف (حاشا)، و(خلا)ن فإنهما مختلف في فعليتهما، فكان المتفق على فعليته أولى بان يكون هو المحذوف [2]، وقد رد الجمهور مذهب الفراء والأحمر بأن الاستثناء ب(ما) غير محفوظ، فلا يخرج عليه[3].

3-الفراء:

هو: يحي بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي: أبو زكريا الفراء، روى عن قيس بن الربيع، ومندل بن علي، وحازم بن الحسين البصري، وعلي بن حمزة الكسائي، وأبي الاحوص، وأبي بكر بن عياش، وسفيان بن عيينة [4]، واكثر من الاختلاف إلى حلقة ابي جعفر الرؤاسين وكأنه لم يجد عنده كل ما يريد من علم العربية، مما جعله يرحل إلى البصرة، ويتتلمذ على يونس بن حبيب، ويحمل كثيرا عنه مما كان يرويه من لغات العرب وأشعارهم، وكان الفراء يميل إلى الاعتزال، واختلف حينئذ إلى حلقات المعتزلة التي كانت مهوى قلوب الشباب والمثقفين والأدباء في البصرة، وتلقن حينئذ مبادئ الاعتزال، وظل مؤمنا بها حفيا، مما جعل مترجميه يقولون: إنه كان متكلما يميل إلى الاعتزال[5].

وروى عنه سلمة بن عاصم، ومحمد بن الجهم السِّمري، وغيرهما.

---

1 شرح التسهيل 236/1، 310/2.

2الهمع 1م233.

3 السابق 233/1.

4 تهذيب التهذيب لإبن حجر 136/6.

5 إنباه الرواة للقفطي 7/4، وما بعدها، والمدارس النحوية د/شوقي ضيف ص192.

وكان الفراء ثقة إماما، ذكر أن المأمون أمره بوضع كتاب في النحو، فأملاه وكتبه الناس عنه، وأمر المأمون بكتبه في الخزائن، وأنه كان يؤدب ولديه وليي العهد من بعده، وكانا شديدي الاحترام له، فقد حدث أن الفراء قام يوما، فابتدراه أيهما يقدم نعليه، فتنازعا في ذلك ثم اصطلاحا على أن يقدم كل واحد منهما نعلا، فأطلق لهما أبوهما عشرين ألف دينار، وللفراء عشرة آلاف درهم، وقال له: لا أعزَّمنك؛ إذ يقدم نعليك ولدا أمير المؤمنين ووليا العهد من بعده[1].

وكان الفراء فقيها إلى جانب علمه بالعربية، والقراءات، قال يوما وكان عند محمد بن الحسن يجالسه: قلَّ رجل أمعن النظر في فن من العلم إلا سهل عليه غيرهن فقال له محمد: فأنت الآن قد امعنت النظر في العربية، فنسألك عن مسألة من الفقه، فقال: هاتِ، قال محمد: ما تقول في رجل صلى فسها فسجد فسها في السجود ففكر ساعة فقال لا شيء عليه، قال: لأن المصغر عندنا لا يصغر، وإنما سجدتا السهو تمام الصلاة فليس للتمام تمام، فقال له محمد: ما ظننت آدميا يلد مثلك[2].

أما علوم العربية فكان الفراء فيها مُبَرِّزا، قال أبو بكر الانباري: لو لم يكن لأهل بغداد من علماء العربية إلا الكسائي والفراء لكان لهم بهما الافتخار على جميع الناس، وكان يقال: النحو للفراء، والفراء أمير المؤمنين في النحو[3].

وقال ثعلب غير مرة: لولا الفراء ما كانت عربية؛ لأنه خلصها، وضبطها، ولولاه لسقطت العربية؛ لأنها كانت تتنازع ويدعيها كل من أراد، وقال اليمني: يقول أهل الكوفة: لنا ثلاثة فقهاء في نسق، لم ير الناس مثلهم: أبو حنيفة، وأبو يوسف، ومحمد بن الحسن، ولنا

---

1 البداية النهاية لابن كثير 793/10.

2 تهذيب التهذيب لابن حجر 136/6.

3 السابق136/6.

ثلاثة نحويين كذلك: علي بن حمزة الكسائي، وأبو زكريا يحي بن زياد الفراء، وأبو العباس ثعلب[1].

وتذكر كتب التراجم والطبقات أن الفراء كان قوي الذاكرة، سريع الحفظ لما يسمعه، قال هناد بن السري: كان الفراء يطوف معنا على الشيوخ فما رأيناه أثبت سوادا في بياض قط لكنه إذا مر حديث فيه شيء من التفسير أو يتعلق بشيء من اللغة قال للشيخ أعده عليّ فظننا أنه كان يحفظ ما يحتاج إليه، وقال ابن مجاهد سمعت محمد بن الجهم يقول: ما رأيت مع الفراء كتابا قط إلا كتاب (يافع ويافعة)، وقال ثعلب: حدثنا سلمة قال أملى الفراء كتبه كلها حفظا لم يأخذ بيده نسخة إلا كتابين (ملازم)، و(يافع ويافعة)[2].

وقال ثعلب: ((كان السبب في إملاء الفراء كتاب معاني القرآن أن عمر بن بكير – وكان من أصحابه– كان مع الحسن بن سهل، فكتب إليه: إن الأمير الحسن لا يزال يسألني عن أشياء من القرآن الكريم لا يحضرني عنها جواب، فإن رأيت أن تجمع لي أصولا، وتجعل في ذلك كتابا يرجع إليه فعلت، فلما قرأ الفراء الكتاب، قال لأصحابه: اجتمعوا حتى أُمِلَّ عليكم كتابا في القرآن الكريم، وجعل لهم يوما، فلما حضروا خرج إليهم، وكان في المسجد رجل يؤذن فيه، وكان من القراء، فقال له: اقرأ، فقرأ فاتحة الكتاب، ففسرها، ثم مر في القرآن الكريم كله على ذلك، يقرأ الرجل والفراء يفسر، وهو كتاب لم يعمل مثله))[3].

ونستنتج مما سبق أن الفراء كان موسوعيا، حيث عُني منذ نشأته في الكوفة والبصرة بالوقوف على ثقافات عصره الدينية والعربية والكلامية والفلسفة والعلمية، ويشهد بذلك معاصروه، فيقول ثمامة بن أشرس، وقد جلس إليه بأخرة من حياته: ((جلست إليه، ففاتشته عن اللغة، فوجدته بحرا، وفاتشته عن النحو فوجدته نسيج وحده، وعن الفقه فوجدته رجلا

---

1 إنباه الرواة للقفطي 7/4، وما بعدها.

2 تهذيب التهذيب لابن حجر 136/6.

3 إنباه الرواة 7/4، وما بعدها.

فقيهاعارفا باختلاف القوم، وبالنجوم ماهرا، وبالطب خبيرا، وبأيام العرب وأخبارها وأشعارها حاذقا))، ويصفه مترجموه بالتفلسف في تصانيفه، وأنه كان يستعمل فيها ألفاظ الفلسفة.

وقد تعمقه ميل شديد لإتقان العربية، والعناية بالقرآن الكريم وقراءاته وتفسيره، وعاد إلى مسقط رأسه بعد أن حمل من ذلك ازوادا كثيرة.

وكانت شهرة مواطنه الكسائي قد أخذت تدوي في بلدته، فرحل إلى بغداد، ولزمه منذ عصر المهدي[1]، وأخذ كل ما عنده، ويظهر أن أستاذه عَرَّف الرشيد به، إذ نراه يحضر مجالسه، ومضى يفرغ للنحو واللغة والقرآن، حتى إذا وجد أستاذه يطلب كتاب سيبويه، ويمليه الأخفش انقض على هذا الكتاب يلتهمه التهاما، ويلتهم معه كتابات الأخفش في النحو، ومن طريف ما يروى عنه انه مات وتحت رأسه الكتاب، وكأنه لم يكن يفارقه، وأكبر الظن أن هذه النسخة للكتاب التي وجدت تحت رأسه هي نفسها النسخة التي أهداها الجاحظ إلى ابن الزيات وزير المعتصم والواثق؛ إذ ذكر الرواة أنه اهداه كتاب سيبويه بخط الفراء وعرض الكسائي ومقابلته، فتقبله قبولا حسنا، شاكرا مثنيا[2].

وقد أسفرت جهود الفراء العلمية عن كثير من المصنفات، منها: (معاني القرآن)، و(البهيّ)، و(اللغات)، و(المصادر في القرآن)، و(الجمع والتثنية في القرآن)، و(الوقف والابتداء)، و(الحدود في النحو)، و(الفاخر)، و(آلة الكاتب)، و(النوادر)[3].

وله أيضا كتابان في مشكِل القرآن، أحدهما أكبر من الآخر[4].

ونلاحظ أن من هذه الأعمال ما يتصل بالقرآن الكريم، وهي: معاني القرآن، والمصادر في القرآن، والجمع والتثنية في القرآن، وكتابا مشكل القرآن، مما يدل على أن القرآن الكريم من أهم مصادر النحو الكوفي، يقول الدكتور/ مهدي المخزومي تعقيبا على أعمال الفراء

---

1 مجالس العلماء للزجاجي ص269ن والمدارس النحوية د/شوقي ضيف ص193.

2 إنباه الرواة 7/4ن وما بعدها، والمدارس النحوية د/ شوقي ضيف ص193.

3 إنباه الرواة للقفطي 7/4، وما بعدها.

4 السابق 7/4، وما بعدها.

المتصلة بالقرآن: ((واختلطت هذه الاعمال بعضها ببعض، فكان منها نحو الفراء، وذلك لأن للنحو عند الكوفيين صلة بالأعمال القرآنية، بل لا يزال النحو مسخر لخدمة القرآن وأحرفه، والقراءات في نظر نحاة الكوفة كانت من المصادر التي اعتمد عليها النحو الكوفي))[1].

وكان الفراء يملي مصنفاته على تلاميذه تلبية لرغبة الأمراء، وحاجة التلاميذ إليها، فكما أنه أملى كتابه (معاني القرآن) بناء على طلب عمر بن بكير الذي كان الأمير: الحسن بن سهل يسأله بعض الأسئلة حول القرآن الكريم، فلم يجد لها جوابا –كذلك أملى كتابه: (الحدود في النحو) حينما أمره المأمون أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو، وما سمع من العرب، وهيأ له كل ما يلزمه للقيام به، ودعا الوارقين إليه ليكتبوا ما يمليه عليهم، وينسخوه، وتروي كتب التراجم سببا آخرلوضعهكتاب الحدود، وهو أن جماعة من أصحاب الكسائي ساروا إلى الفراء، وسألوه أن يُمِلّ عليهم أبواب النحو، ففعل ذلكن فلما كان المجلس الثالث قال بعضهم لبعض: إن دام هذا على هذا عُلِّم النحو الصبيانُ، والوجه ان نقعد عنه، فقعدوا، فغضب وقال: سألوني القعود، فلما قعدت تأخروا((والله لأملين النحو ما اجتمع اثنان، فأمل ذلك ست عشرة سنة، ولم ير في يده كتاب إلا مرة واحدة أمل كتابا من نسخته))[2].

ومن مصنفات الفراء أيضا: كتاب (اختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام في المصاحف)، وكتاب (الأيام والليالي والشهور)، وكتاب(الواو)، وكتاب (يافع ويافعة)، وكتاب (المقصور والممدود)، وكتاب (فعل وأفعل)، وكتاب في النحو سماه: (الكتاب الكبير)، وكتاب (ما تلحن فيه العامة)[3].

يقول الدكتور/ شوقي ضيف: ((ونظن ظنا أنه –يعني الفراء– تصدر للمحاضرة والإملاء على الطلاب في مسجد كان بجوار منزله، وأستاذه الكسائي لا يزال على قيد

---

1 مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ص124.

2 الفهرست لابن النديم ص 99ن ونزهة الألباء لابن الأنباري ص 128، وإنباه الرواة للقفطي 7/4 وما بعدها.

3 الأعلام للزركلي 146،145/8، والمدارس النحوية د/شوقي ضيف ص194.

الحياة، وإنما يدفعنا إلى هذا الظن أننا لا نجد احاديث عنه تدل على كثرة مخالطته للقصر في عصر الرشيد والأمين ورجال دولتهما، وكأنما وجد في الحياة العلمية الخالصة عالمه الذي شغف به، وملك قلبه وفؤاده ملكا صرفه عن العالم الخارجي وكل ما كان يجري فيه، وقد مضى ينفق أيامه في مراجعة كتاب سيبويه وتسجيل ملاحظاته عليه، كما مضى يحاول تصنيف لطلابه في اللغة والنحو والدراسات المتصلة بالقرآن الكريم))[1].

وهكذا كانت حياة الفراء حافلة بالعلم يتعلمه ويعلمه، ومن الجدير بالذكر ان كتب التراجم والطبقات عنيت بالجوانب العلمية من حياته، ونشاطه الواسع في المعرفة، ومكانته بين العلماء ولدى الخلفاء والأمراء، ودوره في بناء النحو الكوفي، ولم تعن بحياته الأولى، أو طفولتهن ولا بأسرته، فلا نعرف شيئا عن أبيه إلا أنه كان مولى لقبيلة عربية انتسب إليها كثير من الصحابة وغيرهم، وهي قبيلة بني مِنْقَر [2]، كما عرف أبوه: زياد بالأقطع؛ لأن يده قطعت في معركة (فخ) سنة مائة وتسع وستين للهجرة، وقد شهدها مع الحسين بن علي بن الحسن في خلافة موسى الهادي[3].

واشتهر بالفراء، ولم يعمل في صناعة الفِراء، فقيل: لأنه كان يفري الكلام[4].

وكان مولد الفراء في سنة مائة وأربع وأربعين للهجرة بالكوفة، وتوفي سنة مائتين وسبع للهجرة، قال الخطيب: كانت وفاته ببغداد، وقيل: بطريق مكة[5].

منهجه في بناء النحو الكوفي:

لم يخرج الفراء عن سنن أستاذه الكسائي في بناء صرح النحو الكوفيين حيث بنى مذهبه على ثلاثة أسس:

---

1 المدارس النحوية ص194ن193.

2 مدرسة الكوفة د/مهدي المخزومي ص120.

3 الاعلام 146/8.

4 السابق 146/8.

5 البداية والنهاية لابن كثير 793/10ن والأعلام للزركلي 146،145/8.

أحدهما–الاتساع في الرواية، بحيث تفتح الأبواب على مصاريعها لرواية الأشعار والأقوال والقراءات الشاذة.

ثانيها –الاتساع في القياس، بحيث يعتد في قواعد النحو بالشاذ، والقليل والنادر.

ثالثها –الاتساع في مخالفة البصريين اتساعا قد يؤول إلى مد القواعد وبسطها بآراء لا تسندها الشواهد اللغوية، بل يؤول أحيانا إلى رفض المسموع الشائع.

فقد مضى الفراء في أثر أستاذه يتسع في هذه الأسس، وكان عقله أدق وأخصب من عقل الكسائي؛ إذ كان مثقفا –كما أسلفنا– ثقافة كلامية فلسفية؛ فكانت قدرته على الاستنباط والتحليل والتركيب وترتيب مقدماتها لا تُقْرَن إليها قدرة أستاذه: الكسائي، وقد تحول بها إلى تنظيم واسع لما تركه الكسائي من أسس بانيا عليه من اجتهاده ما أعطى للنحو الكوفي صورته النهائية[1]، وهي صورة تقوم على الخلاف مع نحاة البصرة في كثير من الأصول، مع النفوذ إلى وضع مصطلحات جديدة، والخلاف مع الخليل وسيبويه في تحليل بعض الكلمات والأدوات، وفي كثير من العوامل والمعمولات،ومعمد القياس وبسطه، ليشمل كثيرا من اللغات، والإبقاء مع ذلك على فكرة الشذوذ ومخالفةالقياس حتى في القراءات [2]، وفيما يلي نفصل القول في كل مظهر من مظاهر الخلاف بينه وبين البصريين.

أولا–المخالفة في الأصول:

فقد خالف الفراء البصريين في أربعة أصول أساسية:

أ عدم التفرقة بين ألقاب الإعراب، وألقاب البناء، فيطلق على المضموم بناء مرفوعا، وعلى المرفوع إعرابا مضموما، وقد عقب الدكتور/ شوقي ضيف على هذا الخلط بين لقب الإعراب، ولقب البناء بقوله: ((وكان حريا به أن يفصل بينهما كما

---

1 المدارس النحوية د/ شوقي ضيف ص 195،196.

2 السابق ص196.

فصلت مدرسة البصرة؛ تمييزا للألقاب التي يتبعها التنوين من الأخرى التي لا يتبعها))[1].

أ -اشتقاق المصدر من الفعل، خلافا للبصريين القائلين باشتقاق الفعل من المصدر [2].

ب -كون الإعراب أصلا في الأفعال، فرعا في الأسماء، خلافا للبصريين القائلين بأنه أصل في الأسماء فرع في الأفعال[3].

ت -نظرته إلى أقسام الفعل، حيث قسمه إلى ماض، ومضارع ودائم، ويعني بالفعل الدائم اسم الفاعل[4]، خلافا للبصريين الذين قسموا الفعل إلى ماض ومضارع وأمر.

ث -أما فعل الأمر فليس قسما قائما بذاته من الأفعال، وإنما هو مقتطع عنده من الفعل المضارع المجزوم بلام الأمر المبدوء بتاء الخطاب، فأصل (خذوا) عنده: (لتأخذوا)، فحذفت لام الأمر، ثم حذف حرف المضارعة، وإذا كان الفعل ساكن الفاء اجتلبت همزة الوصل، فقيل: (اضرب)، وحينئذ يكون فعل الأمر عنده معربا، لا مبينا؛ لأنه مضارع في الحقيقة.

ج -وقد توقف الفراء عند كلمة (كلا) التي عدها الخليل سيبويه وسائر البصريين من الأسماء، ولكنه جعلها في مرتبة بين الأسماء والافعال، تأثرا بمذهبهالاعتزالي الذي يقتضي الحكم على المسلم الفاسق بأنه في منزلة وسطى بين المؤمن والكافر، واحتج لذلك بأنها لا تنفرد، أي أنه ليس لها مفرد وأنها كالفعل الماضي المعتل الآخر المنقلبة ألفه عن ياء، فتقول: (رأيت كلا الرجلين)، و(رأيت كليهما)، كما تقول: (قُضى الحق وقضيته)[5].

ثانيا-المخالفة في المصطلحات النحوية:

---

1 المدارس النحوية ص196.

2 راجع: الإنصاف 235/1، وما بعدها، رقم(28).

3 راجع: الهمع15/1.

4 معاني القرآن للفراء 165/1.

5 طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص145.

إذا تتبعنا المصطلحات النحوية التي يستعملها الفراء نجدها تختلف كثيرا عن المصطلحات النحوية التي استعملها البصريون، حيث استبدل الفراء بها مصطلحات أخرى فضلا عما أضافه من مصطلحات جديدة ليس لها مقابل عند البصريين، ومما يطالعنا من ذلك مصطلح (التقريب) الذي يطلق على اسم الإشارة المخبر عنه بمرفوع، ثم يأتي بعده منصوب في نحو قولهم: (هذا الأسدُ مَخُوفًا)، ومنه قوله تعالى: «أَأَلِدُ وأنَا عَجوزٌ وهذا بَعْلِي شَيْخًا»[1]، فإن البصريين يعربون اسم الإشارة مبتدأ، وما بعده مرفوعا على الخبر، ويعربون المنصوب حالا، أما الفراء فيجعل اسم الإشارة في مثل هذه التراكيب تقريبا، وما بعده مرفوعا به، ثم يجعل المنصوب منصوبا لخلوه من علامة الرفع، يقول: ((وإنما نصبت الفعل لأن (هذا) ليست بصفة ل(الأسد)، إنما دخلت تقريبا، وكان الخبر بطرح (هذا) أجود؛ ألا ترى أنك لو قلت: (ما لا يضرّ من السباع فالأسد ضارّ)، كان أبين. وأما معنى التقريب: فهذا أوّل ما أخبركم عنه، فلم يجدوا بدّا من أن يرفعوا (هذا) ب(الأسد)، وخبره منتظر، فلما شغل (الأسد) بمرافعة (هذا) نصب فعله الذي كان يرافعه لخلوته، ومثله: «واللهُ غَفُورٌ رَحيمٌ» فإذا أدخلت عليه (كان) ارتفع بها والخبر منتظر يتم به الكلام فنصبته لخلوته))[2].

فهو يجعل اسم الإشارة بمنزلة (كان)، والمرفوع بعده بمنزلة اسمها، والمنصوب بمنزلة خبرها، ولعل ذلك ما جعل بعض خالفيه من الكوفيين يجعل (هذا) من أخوات (كان)، وما وراءها اسمها وخبرها، أما (هذا) فيعرب تقريبا[3].

ومن ذلك أيضا مصطلح (الصرف)، فهو يستخدمه في الفعل المضارع المنصوب بعد الواو، أو الفاء، كذلك يستعمله في المفعول معه، يقول عند إعرابه لقوله تعالى: «ولا تَلْبِسُوا الحَقَّ بالبَاطِلِ وتَكْتُمُوا الحَقَّ وأنتُم تَعْلَمُون» [4]: ((إن شئتَ جعلتَ (وتكتموا) في موضع جَزْم؛ تريد به: ولا تلبِسوا الحقَّ بالباطل ولا تكتموا الحقّ... وإنْ شئتَ جعلَ هذه الأحرُفَ المعطوفَ

---

1 هود: 72.

2 معاني القرآن 13/1، 12.

3الهمع 113/1.

4 البقرة: 42.

بالواو نصبًا على يقولُ النحويّون من الصَّرْف؛ فإن قلتَ: وما الصَّرْف؟ قلت: أن تأتى بالواو معطوفةً على كلامٍ في أوّلِهِ حادثةٌ لا تستقيمُ إعادتُها على عُطِف عليها، فإذا كان كذلك فهو الصّرْفُ؛ كقول الشاعر:

لا تَنْهَ عنْ خُلُقٍ وتأتِيَ مِثْلَهُ عارٌ عليْكَ إذا فَعلتَ عظِيمُ

ألا ترى أنه لا يجوز إعادة (لا) في (تأتى مثله) فلذلك سُمّى صَرْفًا إذْ كان مَعطوفًا ولم يستَقم أن يُعاد فيه الحادث الذي قبلَه، ومِثلُه من الأسماء التي نصبتها العربُ وهي معطوفة على مرفوع قولهم: (لَوْ تُركتَ والأسدَ لأكلَك)، و(لَو خُلِّيت ورأيَك لَضَلَلْتَ)، لمَّا لم يحسن في الثاني أن تقول: (لو تُركت وتُرك رأيُك لضللت)؛ تهّببوا أن يعطِفوا حرفًا لا يستَقيمُ فيه ما حَدَثَ في الذي قبلَه))[1].

وقد يستعمل الفراء مصطلحا آخر إلى جانب مصطلح (الصرف)، وهو في معناه، وهو مصطلح (الخلاف)، يقول الرضي: عن الأفعال المضارعة تنصب بعد الواو والفاء و(أو) عند الفراء على الخلاف، ويشرح رأيه فيقول: ((أي أن المعطوف بها صار مخالفا للمعطوف عليه في المعني فخالفه في الإعراب، كما انتصب الاسم الذي بعد الواو في المفعول معه، لما خالف ما قبله، وغنما حصل التخالف ههنا بينهما، لأنه طرأ على الفاء معنى السببية، وعلى الواو معنى الجمعية، وعلى (أو) معنى النهاية أو الاستثناء))[2].

وكان يطلق على الفعل المتعدي واقعا، ويعبر عن الذي تعدى إليه الفعل بأنه وقع عليه الفعل، يقول في معرض إعرابه لكلمة(سلاما) في قوله تعالى: ((قالو سلامًا قال سلامٌ))[3]: ((فأما السلام فقول يقال، فنصب لوقوع الفعل عليه، كأنك قلت: قلتُ كلاما))[4].

---

1 معاني القرآن 1/33،34.

2

3 الذاريات: 25.

4 معاني القرآن 1/40.

كما كان يسمي الفعل المبني للمفعول مبنيا على ما لم يسم فاعله، يقول عند بيانه لموقع: ((وأنْ تَسْتَقْسِمُوا بالأزْلامِ))[1] الإعرابي: ((وأن تستقسموا)رفع بما لم يسم فاعله))[2].

كما كان يسمي الضمير: (لمكني)، أو (الكناية)، يقول عند تعرضه لقراءتي ضم الهاء وكسرها في «عَلَيْهِم» [3]: ((وأما من قال: (عليهِم)، فإنه استثقل الضمة في الهاء وقبلها ياء ساكنة، فقال: (عليهِم)؛ لكثرة دور المكني في الكلام)) [4] وكان يعبر عن النفي بالجحد، يقول عند تفسيره لقوله تعالى: ((بَلَى مَنْ كَسَبَ سيئةً)) [5]: ((وضعت (بلى) لكل إقرار في أوله جحد، ووضعت (نعم) للاستفهام الذي لا جحد فيه))[6].

كما كان يسمي (لا) النافية للجنس: (لا) التبرئة، يقول عند تعرضه لقوله تعالى: ((فَلا رَفَثَ ولا فُسُوقَ ولا جِدالَ في الحَجِّ)) [7]: ((يقال: إن (الرفث) الجماع، و(الفسوق) السباب، و(الجدال) المماراة في الحج، فالقراء على نصب ذلك كله بالتبرئة))[8].

وكان يسمي حرف الجر (الصفة)، يقول عند تعرضه لقوله تعالى: «فَلا جُناحَ عليهما أنْ يَتَرَاجَعا»[9]: يريد: فلا جناح عليهما في أن يتراجعا، (أنْ) في موضع نصب إذا نزعت الصفة»[10].

---

1 المائدة:3.

2 معاني القرآن 1م301.

3 الفاتحة:7.

4 معاني القرآن 5/1.

5 البقرة:81.

6 معاني القرآن 52/1.

7 البقرة:197.

8 معاني القرآن 120/1.

9 البقرة: 230.

10 معاني القرآن 1/ 148.

ونرى أن إطلاقه الصفة على حرف الجر بعيد؛ إذ ليس بين المصطلح وحرف الجر مناسبة لغوية.

وكان يعبر عن الحرف الزائد بأنه حشو، أو لغو، أو صلة [1]، وكان يسمي الظرف محلا[2].

وكان يسمي الاسم المنصرف المُجْرَى، أو ما يُجرَى، ويسمي الاسم الممنوع من الصرف: (غير المُجْرَى)، أو (ما لا يُجْرَى)، كما كان يسمي التنوين أو الصرف إجراءً[3].

وكان يسمي التمييز: (تفسيرًا)، أو (مُفَسِّرا) [4]، كما كان يطلق مصطلح التفسير على المفعول له، يقول عند إعرابه لقوله تعالى: «يَجْعلونَ اصابِعَهم في آذانِهم مشنَ الصواعِقِ حَذَرَ الموتِ»[5]: «فنصب (حَذَرَ) على غير وقوع من الفعل عليه؛ لم ترد (يجعلونها حذرا)، إنما هو كقولك: (أعطيتك خَوْفًا وفَرَقًا)، فأنت لا تعطيه الخوف، وإنما تعطيه من أجل الخوف؛ فنصبه على التفسير ليس بالفعل، كقوله جل وعز:«يَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا» [6]. وكقوله: «ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً»[7] والمعرفة والنكرة تفسِّران في هذا الموضع»[8].

وكان يسمي البدل: (تكريرا)، و(تبيينا)، و(تفسيرا)، و(ترجمة)، يقول: «ولا يجوز أن تقول: (مررت بعبد الله غيرِ الظريف) إلا على التكرير» [9]، ويقول عند تفسيره لقوله تعالى:

---

1 راجع: معاني القرآن 1/58،176،245.
2 السابق 1/28،119.
3 معاني القرآن 1/42،428،2/19،175.
4 السابق 1/ 225.
5 البقرة: 19.
6 الأنبياء: 90.
7 الأعراف:4.
8 معاني القرآن1/17.
9 السابق 1/7.

«وفي الأرْضِ قِطَعٌ متجاوراتٌ وجناتٌ مِنْ أعنَابٍ وزرعٌ ونخيلٌ صِنوانٌ وغيرُ صِنْوانٍ» [1] :
«وقوله تعالى: (صنوان وغير صنوان)الرفع فيه سهل؛ لأنه تفسير لحال النخل»[2].

ونلاحظ أن إطلاق الفراء مصطلح التفسير على كل من التمييز والمفعول له والبدل يعد خلطا بين الوظائف النحوية المختلفة، مما يوضح أن البصريين كانوا أكثر دقة في تحديد هذه المصطلحات، والتفرقة بينها، وقد مر بنا أنه أحيانا كان يطلق المصطلح على مسماه، دون أن يبين المناسبة اللغوية بينهما: كإطلاقه الصفة على حرف الجر، وإطلاقه الإجراء على التنوين، أو ما يجري على المنون، وما لا يجري على غير المنون.

ثالثا–المخالفة في تفسير بعض الكلمات والأدوات:

وكان الفراء يخالف البصريين أيضا في تفسير بعض الكلمات والأدوات إلى جانب مخالفته إياهم في المصطلحات النحوية كما رأينا، ونسوق أمثلة لبعض الكلمات والأدوات التي خالف الفراء الخليل وسيبويه في تفسيرها، أو تحليلها، ومن ذلك(اللهم)، فقد كان الخليل يرى أن الميم المشددة في لفظ الجلالة عوض عن (يا) المحذوفة، ولذلك لا يجتمعان.[3]

وكان الفراء يرى أن الميم المشددة مقتطعة من كلام محذوف، والأصل أنها كلمة ضم إليها (أُمّ)تريد:(يا اللهُ أُمَّنا بخير)، فكثرت في الكلام فاختلطت [4]، وقد عقب الدكتور/ شوقي ضيف على هذا التحليل بقوله: ((وهذا التخريج بعيد))[5].

ومن ذلك (هلُمَّ)، فقد ذهب البصريون إلى أنها مركبة من (ها) التنبيه، ومن (لُمَّ) التي هي فعل أمر من قولهم: (لَمَّ اللهُ شعثَه)، أي: جمعه، كأنه قيل: (أجمع نفسك إلينا)، فحذفت ألف (ها) تخفيفا، ونظرا إلى أن أصل لام(لُمَّ) السكون.

---

1 الرعد: 4.
2 معاني القرآن 58/2.
3 الكتاب196/2.
4 معاني القرآن 203/1.
5 المدارس النحوية ص202.

وقال الخليل: «ركبا قبل الإدغام، فحذفت الهمزة للدرج؛ إذ كانت همزة وصل، وحذفت ألف (ها) لالتقاء الساكنين، ثم نقلت حركة الميم الأولى إلى اللام، وأدغمت»[1].

وذهب الفراء إلى أنها مركبة من (هل) التي للزجر، و(أُمَّ) بمعنى (أقصد)، فخففت الهمزة بإلقاء حركتها على الساكن قبلها، وهو اللام، وحذفت فصار (هَلُمَّ)[2].

وقد رجح ابن مالك مذهب البصريين، فقال: «وقول البصريين أقرب إلى الصواب» [3]، كما رجح الدكتور شوقي ضيف رأي الخليل أيضا، وعلل ترجيحه هذا بأن (هلم) على رأي الخليل تخلو من معنى الاستفهام[4].

والحق أن الفراء لم يصرح في معاني القرآن بأن (هل) من (هلم) للاستفهام، ولكن السيوطي فسر مراده بأنها للزجر، فلست أدري من أين أتى الدكتور شوقي ضيف بأن الفراء يقصد (هل) الاستفهامية؟

وعلى أي حال فإن تخريج البصريين والفراء نوع من الرجم بالغيب، وهذا التحليل مبني على القول بتركيبها، والصحيح أنها كلمة بسيطة ليست مركبة من كلمتين، استعملت في اللغة اسم فعل أمر بمعنى (أَقْبِل)، إنْ جاءت بعدها (إلى)، أو (أَحْضِر) إن تعدت بنفسها، فمن الأول قوله تعالى: «قَدْ يَعْلَمُ اللهُ المُعَوِّقِينَ منكم والقائلينَ لإخوانِهم هَلُمَّ إلينا»[5]، أي: أقبلوا إلينا، ومن الثاني قوله تعالى: «قُلْ هَلُمَّ شهداءَكم»[6] أي: أحضروا[7].

1الهمع 2/ 106.

2 معاني القرآن 203/1، والهمع 106/2.

3 الهمع106/2.

4 المدارس النحوية ص202.

5 الأحزاب:18.

6 الأنعام: 150.

7 النحو الوافي أ/عباس حسن 155/4-156.

ومن ذلك (إياك) وفروعه، حيث اختلفوا فيه، وفي لواحقه، فذهب سيبويه والفارسي إلى أن (إيا) هو الضمير، وهذه اللواحق حروف تبين حاله، أي: تدل على أنه للمتكلم أو المخاطب أو الغائب، وللمذكر أو المؤنث، وللمفرد أو المثنى أو الجمع كاللاحقة في (أنت، أنتما أنتم، أنتن)، وكاللواحق في اسم الإشارة.

وذهب الخليل والمازني واختاره ابن مالك إلى أن اللواحق أسماء مضمرة أضيف إليها الضمير الذي هو (إيا)، وهب الفراء إلى أن اللواحق هي الضمائر، و(إيَّا) حرف زيد دعامة تعتمد عليها اللواحق لتنفصل عن المتصل[1].

ومن ذلك (لن)، فكان الخليل يرى ان أصلها: (لا أنْ)، فحذفت الهمزة تخفيفا من (أنْ)، ثم حذفت الألف من (لا) لالتقاء الساكنين، وكان الفراء يرى أن أصلها: (لا)، وكذلك (لم)، فقلبت الألف في الأولى نونا، وفي الثانية ميما، وقد عقب الرضي على رأي الفراء بقوله: «ولا دليل على قول الفراء»[2].

ومن ذلك (لكنَّ) –بتشديد النون، فذهب البصريون إلى أنها حرف بسيط، وذهب الفراء إلى أن أصلها (لكنْ إنَّ)، فطرحت الهمزة تخفيفا، وطرحت نون (لكن) للساكنين[3].

ومن ذلك (كم)، فقد ذهب البصريون إلى أنها اسم بسيط وضع للعدد المبهم، وذهب الفراء إلى أنها (ما) وصلت من أولها بكاف، أي: أصلها(كما)، ثم إن الكلام كثر ب(كم)، حتى حذفت الألف من آخرها، فسكنت ميمها، كما قالوا: (لِمْ قلت ذاك)، ومعناه: (لِمَ قلتَ ذاك)[4].

1الهمع 61/1.

2 شرح الكافية 235/2.

3 معاني القرآن 465/1، والمغني 291/1.

4 معاني القرآن 466/1، والإنصاف 298/1، وما بعدها، مسألة رقم (40).

ومن ذلك (أنت)، فقد ذهب البصريون إلى أن الضمير(أَنْ)، ثم بُيِّنَ باللاحقة التي تدل على الخطاب، ونوع المخاطب، وعدد المخاطب، وذهب الفراء إلى أن (أنت) بكماله اسم، والتاء من نفس الكلمة[1].

ومن ذلك (ويحك)، و(ويلك)، فمذهب سيبويه والبصريين أجمعين أن أصلهما: (ويح) و(ويح)، و(ويل)، دخلت عليهما كاف الخطاب، ومذهب الفراء أن أصلهما: (وَيْ)، فأما(ويلك) فهي (وَيْ) عنده زيدت عليها لام الجر، فغذا كان بعدها مضمر كانت اللام مفتوحة، كقولك: (ويلك)، و(ويله)، وإن كان بعدها ظاهر جاز فتح اللام وكسرها، وقد عقب ابن يعيش على مذهب الفراء، فقال: «والقول ما قاله سيبويه، ولو كان الأمر على ما قال الفراء لما قيل: (ويلٌ لزيد) بضم اللام والتنوين»[2].

ومن ذلك(هو)، و(هي)، فقد ذهب البصريون إلى أن الواو والياء فيهما من أصل الكلمة، وهب الكوفيون –ومنهم الفراء– إلى أن الضمير هو الهاء فقط، والواو والياء للإشباع، بدليل حذفهما عند التثنية والجمع، فيقال: (هما، هم، هن)، وقد عقب الرضي على هذا الخلاف بقوله: «والأول هو الوجه؛ لأن حرف الإشباع لا يتحرك»[3]

ومن ذلك (منذ)، فذهب البصريون إلى أنها حرف بسيط، وذهب الفراء إلى انها مركبة من (من)، و(ذو) الموصولة في لغة طيء، ثم حذفت الواو تخفيفا، وبقيت الضمة دليلا عليها، وقد عقب ابن يعيش على رأي الفراء بقوله:

«والصواب ما ذكرناه من أنها مفردة غير مركبة عملا بالظاهر»[4].

ومن ذلك(الآن)، فللفراء فيها رأيان:

---

1 شرح الكافية للرضي 2/ 10.

2 شرح المفصل1/ 121.

3 شرح الكافية للرضي 2/ 10.

4شرح المفصل 45/8.

الأول: أن أصلها (أوان)، حذفت منها الالف، وغيِّرت واوها إلى الالف، كما قالوا في (الرِوَاح): (الرياح).

الثاني: أن أصلها فعل ماض من قولهم: (آن لك أن تفعل)، فدخلت عليها الألف واللام[1].

ومن ذلك (الذي)، و(التي) فقد ذهب الفراء إلى أن أصل (الذي): (ذا) المشار بها، وأصل(التي): (تي) المشار بها[2].

ومن ذلك (أشياء)، فقد اختلفوا في علة منعها من الصرف، فذهب سيبويه إلى أن أصلها (شيئاء)، ثم حدث بها قلب مكاني بوضع الهمزة التي هي اللام قبل الفاء، فصارت (لفعاء)، وذهب الكسائي إلى أنها جمع(شيء) على (أفعِلاء)، مثل: (لين –ألييناء)، فالأصل: (أشيئاء)، ثم حذفت الهمزة الوسطى التي هي اللام؛ لكثرة الاستعمال، فصارت (أشيئاء) على وزن (أفعاء)[3].

ومن ذلك (بلى) التي هي من حروف الجواب، فم يختلف مع سائر النحاة في أنها يجاب بها عن الاستفهام المنفي إقرارا بما بعد النفي، بخلاف (نعم)، فإنها إقرار بالنفي وما بعده، ولكنه خالفهم في حقيقتها، فذهب إلى أن أصلها (بل) في نحو قولهم: (ما قال عبد الله بل زيد)؛ لان كلا منهما رجوع عن الجحد الذي هو النفي، ولما كانت(بل) كلمة عطف ورجوع عن الجحد، ولا يصلح الوقوف عليها زادوا فيها ألفا يصلح الوقوف عليها، وذلك عند استعمالها أداة جواب، وحينئذ تكون رجوعا عن الجحد فقط[4].

وهكذا نجد الفراء يأتي بتحليل لبعض الكلمات والأدوات يخالف فيه جمهور النحاة، ونلاحظ أن بعض تحليلاته مستساغ مقبول؛ لأنه مبني على فهم لغوي للكلمة أو الأداة، وأن

---

1 معاني القرآن 1/ 368.

2الهمع 82/1.

3 معاني القرآن 321/1، والهمع 225/2.

4 معاني القرآن 53،52/1.

بعض تحليلاته فيه بعد وتكلف؛ لأنه مجاف للواقع اللغوي، كما نلاحظ أن تأثره بالمنطق والفلسفة وعلم الكلام يلعب دورا كبيرا في تحليله للكلمات والأدوات، فكثيرا ما نلمس التحكم العقلي والمنطقي في تحليل الأداة مما يبعد به عن الفهم اللغوي.

وهذا التفرد أو التميز الذي نلحظه عند الفراء فيما ذكرناه من تحليله وتفسيره لبعض الكلمات والأدوات وفيما ذكرناه من قبل من استعماله مصطلحات نحوية جديدة هو الذي حملنا على القول بانه استطاع أن يكون مدرسة في النحو، لها خصائصها وسماتها التي تميزها عن المدرسة البصرية.

رابعا–المخالفة في العوامل:

لا نعني بمخالفة الفراء غيره في العوامل أنه لم يقل بالعامل النحوي الذي يؤثر الرفع أو النصب أو الجر أو الجزم، بل احتذى حذو البصريين في تبني نظرية العامل والتماس العامل لكل أثر إعرابي مذكورا كان او مقدرا، لفظيا أو معنويا، ولكن نعني بهذه المخالفة انه خالف غيره وخاصة البصريين في نوع العامل في كل ظاهرة نحوية، على أنه لم يخالف غيره في جميع العوامل، وإنما خالفهم في بعضها، واتفق معهم في كثير منها.

فمن ذلك مذهبه في عامل الرفع في الفعل المضارع الذي لم يسبقه ناصب أو جازم، فقد ذهب إلى ان رافعه تجرده من الناصب والجازم، وهو عامل معنوي، واستحسن كثير من النحاة هذا المذهب، ومنهم ابن مالك لسلامته من النقض، وقد نسبه إلى حذاق الكوفيين[1].

وكان يرى أن عامل النصب في المفعول به هو الفعل والفاعل معا، خلافا للبصريين القائلين بان الفعل أو شبهه هو العامل فيه[2]، وبذلك لا يرى بأسا في تعدد العامل في معمول

1الهمع 164/1.

2 السابق 165/1.

واحد، وإلى تعدد العامل أيضا ذهب في باب التنازع، ولكن بشرط أن يتحد الإعراب كما في نحو قولهم: (قام وقعد زيدٌ)[1].

كما قال بتعدد العامل أيضا في نحو قولهم: (يا تيمَ تيمَ عديٍّ)، وذلك على وجه النصب، فذهب إلى أن الأول والثاني معا مضافان إلى (عدي) على حد قولهم: (قطع الله يدَ ورجلَ من قالها)، خلافا لسيبويه حيث ذهب إلى أن الأول هو المضاف إلى (عدّي)، وأن الثاني مقحم بين المتضايفين، والأصل: (يا تيمَ عدي تيمَه)[2].

وكان يرى أن (حاشا) في باب الاشتغال فعل لا فاعل له، فهو مستعمل استعمال الأدوات، خلافا لسيبويه فإنها عنده حرف جر[3].

وكان يذهب مع جمهور الكوفيين إلى أن (نِعْمَ)، و(بِئس)إسمان لا فعلان، خلافا للبصريين وأستاذه الكسائي، حيث ذهبوا إلى أنهما فعلان جامدان[4].

كما ذهب أيضا مع جمهور الكوفيين إلى أن (ما أفْعَل) في باب التعجب اسم لا فعل، خلافا للكسائي والبصريين، حيث ذهبوا إلى أنه فعل[5].

وكان يرى أن الاسم المرفوع بعد (لولا) في نحو قوله تعالى: «ولولا رجالٌ مؤمنون ونساءٌ مؤمناتٌ لم تعلموهم أنْ تطئوهم» [6] إنما هو مرفوع ب (لولا) نفسها [7]، خلافا للبصريين،

1الهمع 108/2،109.

2 السابق 177/1.

3 الإنصاف 278/1، وما بعدها، المسألة (38)، والهمع 233/1.

4 معاني القرآن141/2، والإنصاف 98/1، وما بعدها، المسألة (14).

5 الإنصاف 1/ 126، وما بعدها، المسألة (15).

6 الفتح:25.

7 معاني القرآن 404/1.

حيث ذهبوا إلى انه مرفوع بالابتداء، وخلافا لأستاذه الكسائي، حيث ذهب إلى أنه مرفوع بفعل مقدر بعد (لولا)[1].

وكان يذهب إلى ان (حتى) تنصب المضارع بنفسها لا ب(أنْ) مضمرة وجوبا كما ذهب البصريون[2].

وكان يذهب إلى أن (ليت) قد تنصب الجزأين كما في قول الشاعر:

يا ليتَ أيامَ الصبا رواجعا[3].

وكان يرى أن (ما لك)، و(ما بالك)، و(ما شأنك) تنصب الاسم الذي يليها معرفة، أو نكرة، كما تنصب (كان) و(أظن) لأنها نواقص في المعنى، وإن ظننت أنهن تامات، فتقول: (ما لك الناظرَ في أمرنا)، و(ما لك ناظرا في أمرنا)، وكذلك أختاها، وبذلك وجه الإعراب في قوله: «فَمَا لَكُم في المنافقينَ فئتين» [4]، وقوله تعالى: «فَمَا للذين كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِين» [5]، وكأنه جعل كل هذه الحروف أفعالا ناقصة، بل لقد صرح بذلك في تضاعيف كلامه[6]، خلافا للبصريين، حيث أعربوا المنصوب في مثل هذا حالا لازمه[7].

فهذه بعض آراء الفراء حول بعض العوامل النحوية، وهي لا تخلو أيضا من غرابة، ومن بعد في التقدير، وقد رأينا أن هذه الآراء جاءت مخالفة لجمهور النحاة، وخاصة البصريين، مما يجعلنا نحكم على هذه الآراء بأنها من خصائص المدرسة الكوفية.

خامسا–المخالفة في المعمولات:

---

1 الإنصاف 70/1، وما بعدها، مسألة رقم (10)، وشرح المفصل لابن يعيش 118/3.

2 معاني القرآن 132/1.

3الهمع 134/1.

4 النساء:88.

5 المعارج: 36.

6 معاني القرآن 280/1،281، والمدارس النحوية د/شوقي ضيف ص207.

7 الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي 60/4.

لا شك أن العوامل مرتبطة بالمعمولات، إذ لا تطلق كلمة عامل إلا حيث يوجد المعمول، كذلك لا تطلق كلمة معمول إلا حيث يوجد العامل، ولذلك لا نجد اختلافا كبيرا آراء الفراء حول المعمولات، وآرائه حول العامل.

وللفراء آراء كثيرة في المعمولات، ومن ذلك رأيه في الاسم المرفوع الواقع بعد أدوات الشرط، مثل قوله تعالى: «إنِ امرؤٌ هَلَكَ» [1]، و«إنْ أحدٌ مِنَ المُشْرِكينَاستجارَكَ فأجرْهُ» [2]، فهو يرى أنه مرفوع بالضمير المستتر في الفعل العائد عليه، يعني أنه مبتدأ، وليس فاعل فعل محذوف يفسره المذكور، كما ذهب إلى ذلك البصريون[3].

ومن ذلك رايه في الاسم المنصوب في باب (الاشتغال)، كما في قوله تعالى: « ولوطًا آتيناهُ»[4]، فهو منصوب عنده بالضمير الراجع إليه في (آتيناه)، خلافا للبصريين، حيث ينصبونه بفعل محذوف يفسره المذكور[5].

وكان يرى أن المرفوع بعد (كان) ليس اسما لها، وإنما هو مرفوع لشبهه بالفاعل، وأن المنصوب بعدها ليس خبرا لها، وإنما هو منصوب لشبهه بالحال، فقولهم: (كان زيد ضاحكا) مشبه عندهم بقولهم: (جاء زيد ضاحكا)[6].

وكان يذهب إلى عدم جواز العطف على اسم (إنّ) بالرفع إلا إذا كان اسمها غير ظاهر الإعراب، كما في قوله تعالى: «إنَّ الذينَ آمنُوا والذينَ هادُوا والصابئونَ»[7] مخالفا بذلك أستاذه الكسائي حيث جوز العطف على اسمها بالرفع مطلقا[8].

---

1 النساء: 176.

2 التوبة:6.

3 شرح المفصل لإبن يعيش 10/9.

4 الأنبياء: 74.

5 معاني القرآن 207/2، والإنصاف 83،82/1، المسألة(12)

6الهمع 111/1.

7 المائدة:69.

8 معاني القرآن 310/1، والهممع 144/2.

وذهب جمهور البصريين إلى أن تمييز (كم) الخبرية واجب الجر، وأن تمييز(كم) الاستفهامية منصوب، ولا يجر إلا عند دخول الجار على (كم)، ولكن الفراء كان يذهب إلى جواز جر تمييزهما مطلقا[1].

وكان يجوز في تفسير (كم) في قول الشاعر:

كم عمةٍ لك يا جريرُ وخالة فَدْعَاءُ قد حلبت عليَّ عشاري

ثلاثة أوجه: النصب والجر والرفع، فالنصب على جعل(كم) استفهامية، فهو تمييزها، والخفض ب(من) المحذوفة، والرفع على تقدير فعل، أي: (كم أتتني عمةٌ) [2]، «وكأنه كان يجوز الرفع مع (كم) التكثيرية على هذا الوجه الذي خرج به الرفع في البيت»[3].

وكان يرى أن الجار وحده في نحو قولهم: (مُرَّ بزيدٍ) هو النائب عن الفاعل، فهو في موضع رفع، كما كان يذهب إلى أن الجار في موضع نصب في نحو قولهم: (مرَّ زيدٌ بعمرو)[4].

وكان سيبويه والبصريون يقدرون خبرا محذوفا في نحو قولهم: (كل رجل وضيعتُه)، أي: (مقترنان)، وذهب الكوفيون وعلى رأسهم الفراء إلى أن الخبر لم يحذف، وإنما أغنت عنه الواو كإغناء المرفوع بالوصف عنه، فهو كلام تام لا يحتاج إلى تقدير [5]، وبذلك تكون هي الرافعة للمبتدأ؛ إذ هو وخبره يترافعان، يقول تعليقا على قول الشاعر:

الآن بعد لجاجتي تَلْحَوْنَنيهلا التقدمُ والقلوب صحاحُ

---

1 المغني 185/1.

2 راجع معاني القرآن 168/1.

3 المدارس النحوية د/شوقي ضيف ص210.

4 الهمع163/1.

5الهمع 105/1.

«بم رفع التقدم؟قلت: بمعنى الواو في قوله: (والقلوب صحاح)، كأنه قال: (العظةُ والقلوبُ فارغة)، و(الرُّطَبُ والحرُّ شديد)»[1].

وكان يذهب إلى أن الفاء العاطفة ل تفيد الترتيب، وإنما قد تأتي لغير الترتيب، كما في قوله تعالى: «وَكَم من قريةٍ أهلكناها فجاءَها بأسُنا بياتا أو هم قائلون» [2]، وذلك لأن الباس قد اتى القرية قبل الإهلاك[3].

وكان يرى أن الواو تفيد الترتيب، قال ابن هشام مستغربا موقفه من الفاء التي تفيد عند الجمهور الترتيب، والواو التي تفيد عند الجمهور الجمع: «وهذا –مع قوله إن الواو تفيد الترتيب– غريب»[4].

وكان يرى أن (أو) قد تأتي للإضراب بمعنى (بل)، ولم يشترط تقدم نفي أو نهي عليها، كما اشترط ذلك البصريون، واستشهد بقوله تعالى: «وأرسلناه إلى مائةِ ألفٍ أو يزيدون»[5] أي: (بل يزيدون)، وبقول الشاعر:

بدت مثل قرنِ الشمس في رونق الضحى

وصورتها أو أنتِ في العين أملحُ

يريد: بل أنتِ[6].

وذهب جمهور البصريين إلى أن (الذي) اسم موصول دائما، وأجاز الفراء مع يونس أنها موصول حرفي، أي: تؤول مع ما بعدها بمصدر، قال تعليقا على قوله تعالى: «ثم آتينا

---

1 معاني القرآن 198/1.

2 الأعراف:4.

3 معاني القرآن 371/1، وما بعدها.

4 مغني اللبيب 161/1.

5 الصافات:147.

6 معاني القرآن 1/ 72.

موسى الكتابَ تمامًا على الذي أحسن» [1]: «إنْ شئت جعلت (الذي) على معنى (ما)، تريد: (تماما على ما أحسن موسى)، فيكون المعنى: (تماما على إحسانه)، وتلا ذلك بتوجيه أنه يجوز أن تكون اسم موصول سواء قرئت (أحسنَ) بالنصب على أنها فعل، والعائد محذوف، أم قرئت بالرفع على أنها خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: (الذي هو أحسن) [2]ويرى الأكثرون من النحاة أن (لو) لا تأتي إلا شرطية، ولم يثبتوا ورودها مصدرية، والذي أثبته الفراء وأبو علي، وأبو البقاء، والتبريزي، وابن مالك، واستشهدوا بنحو قوله تعالى: «ودُّوا لو تدهنُ فيدهنون» [3]،

ويقول المانعون في نحو قوله تعالى: «يَودُّ أحدُهم لو يُعَمَّرُ ألفَ سنة» [4]: إنها شرطية، وإن مفعول (يود) وجواب (لو) محذوفان، والتقدير: (يود أحدهم التعمير لو يعمر ألف سنة لسره ذلك)، وقد عقب ابن هشام على هذا التخريج بقوله: «ولا خفاء بما في ذلك من التكلف» [5].

واختلفوا في تحليل (أرايتكم) في نحو قوله تعالى: «قل أرايتكم إنْ أتاكم عذابُ اللهِ» [6]، الذي يفيد طلب الإخبار، فذهب البصريون إلى أن الفاعل هو التاء، والكاف حرف خطاب لا موضع لها من الإعراب، وذهب الفراء إلى أن التاء حرف خطاب، وليست باسم، وإلا لطابقت، والكاف هي الفاعل للمطابقة، وقد ضعف البصريون رأي الفراء؛ لأن الكاف قد يستغنى عنها بخلاف التاء، فكانت أولى بالفاعلية؛ ولأن التاء محكوم بفاعليتها في غير هذا الفعل بإجماع، ولم يعهد ذلك في الكاف [7].

---

1 الأنعام: 154.

2 معاني القرآن 365/1، والمدارس النحوية ص211.

3 القلم:9.

4 البقرة: 96.

5 المغني 266/1، وراجع رأي الفراء في (معاني القرآن) 175/1.

6 الأنعام:40.

7الهمع 77/1.

هذه بعض آراء الفراء المتعلقة بالمعمولات، وقد رأينا أن الحديث عن المعمولات يقتضي الحديث عن العوامل، والعكس صحيح، لما بينهما من ارتباط شديد، وليست غايتنا في هذه الدراسة حصر آرائه، بل نقلنا منها ما يبرز دوره في تكوين المدرسة الكوفية، وحسبنا كتابه: (معاني القرآن)، فهو خير معبر عن اتجاهاته وفكره، حيث يبين مذهبه في مسائل اللغة المختلفة من خلال شرحه وإعرابه، وتخريجاته لتراكيب القرآنية المتنوعة.

«وعلى هذا النحو كان لا يزال يلح في تحليل صيغ الذكر الحكيم ومواضع كلمه في الإعراب على ذهنه مستخرجا منه فيضا من الآراء، مخالفا البصريين وسيبويه، وقد يخالف أستاذه وهو في كل ذلك إنما يريد أن يشكل النحو الكوفي في صيغته النهائية، بحيث تستقر فيه العوامل والمعمولات متخذة كل ما يمكن من أوضاع جديدة»[1].

*** *** *** *** ***

المحاضرة العاشرة: المدرسة البغدادية

عرضنا فيما مضى لمدرستي البصرة والكوفة، وعرفنا أن البصرة هي التي تولت وضع النحو، ثم نشأ وترعرع في احضانها، ثم بعد ثرن من الزمان أسهمت الكوفة في نضجه وتطويره، ثم التقى علماء البصرة بعلماء الكوفة في حاضرة الدولة العباسية: بغداد وتتلمذ على الفريقين جيل وفقوا بين المذهبيين، واختاروا منهما ما راق لهم، فنشأ تيار فكري جديد أطلق عليه بعض الدراسيين (المدرسة البغدادية).

وقد قسم الشيخ الطنطاوي المراحل التاريخية التي مر بها النحو العربي إلى أربعة أطوار ك طور الوضع والتكوين – وهو بصري خالص وطور النشء والنمو – وهو بصري

1 المدارس النحوية ص214.

كوفي، وطور النضوج والكمال – وهو بصري كوفي، وطور الترجيح والبسط في التصنيف – وهو بغدادي واندلسي ومصري وشامي. [1]

" ولئن كان نحو البصرة أحظى عند الناس لقد كان نحو الكوفة أحظى عند الخلفاء، إذا كانت الكوفة أقرب من البصرة إلى بغداد وفيها كانت البيعة للسفاح، ولبثت بعض الوقت حاضرة الدولة، أما البصرة فقد ظهر إبراهيم بن عبد الله بن الحسن يدعو لأخيه محمد، وكان قد خرج بالمدينة فاستجاب لإبراهيم كثير من أهل البصرة، فاستولى عليها وعلى ما قرب من واسط والأهواز.

لذلك أتيح للكوفيين أن يسبقوا إلى بغداد، ففتح الخلفاء لهم أبوابهم، ووكلوا إليهم تأديب أولادهم، فكان الكسائيفي حاشية الرشيد وثم مؤدب ولديه، وكان الفراء مؤدب ولدي المأمون، وكان ابن السكيت ينادم المتوكل " [2].

وإذا كان الكوفيون قد استحوذوا على بغداد وحالوا دون اتصال البصريين لم يحرموا دخول بغداد، بل حاولوا الولوج إليها تلهفا على مقاسمة الكوفيين حظوتهم، فلم يفلحوا بادئ الأمر، ولذلك أخفق سيبويه في مناظرته للكسائي نتيجة مناصرة العباسيين وبطانتهم للكسائي.

على أن قليلا من البصريين نفذ إلى لغداد، ومهم (اليزيدي) ووقد نال حظوة في بغداد ولأنه وافق الكوفيين في بعض المسائل، واحتذى حذوهم في العناية بالقياس، كذلك (المبرد)، حيث نال حظوة لدى الخلفاء أيضا لحسن لباقته معهم، وشارك ثعلباً تعليم ابن المعتز ووقد نجم عن تلاقي الفريقين ببغداد ك البصريين والكوفيين ظهور جيل اختلفت نزعاته النحوية فمنهم من غلبت عليه النزعة البصرية، ومنهم من غلبت عليه النزعة الكوفية، ومنهم من جمع بين النزعتين، فممن غلبت عليه النزعة الكوفية، ومنهم من جمع بين النزعتين، فممن

1نشأة النحو التاريخ أشهر النحاة ص 19

2تاريخ النحو للأستاذ علي النجدي ناصف ص 36

غلبت عليه النزعة البصرية – كما يقول الشيخ الطنطاوي: الزجاج وابن الشراج، والزجاجي ومبرمان وابن درستويه.

وممن جمع بين النزعتين: ابن قتيبة وابن كيسان، ولأخفش الصغير، وابن شقير، ابن الخياط، ونفطويه[1].

" وكانت الطائفة الخالطة بين النزعتين ك البصرية والكوفية تزاول المذهبين، وتنظر فيهما نظرة غير مشوبة بالعصبية وفهي لا بد واجدة رجحان هذا المذهب في مسائل وذلك المذهب في مسائل أخرى، وكان عمل هذه الطائفة منبها بعض معاصريهم إلى استقراء ما صح من القوانين النحوية دون التحفيز إلى فريق دون آخر، فجر ذلك الخلط بين المذهبيين لاستخلاص مذهب منهما مرضي عليه عندهم، ولقد اتسعت هذه الحركة ونمت فعالجها الكثيرون، حتى احتل مكانا بين المذهبيين مذهب آخر جديد مؤلف من المذهبيين بفروق قليلة، اشتهر ذلك المذهب بالبغدادي، فاتبع نحاة بغداد في القرن الرابع الهجري نهجا جديداً في دراساتهم ومصنفاتهم النحوية يقوم على الانتخاب من لآراء المدرستين: البصرية والكوفية جميعاً، وكان من أهم ما هيأ لهذا الاتجاه أن أوائل هؤلاء النحاة تتلمذوا للمبرد، ثعلب، وبذلك – كما أشرنا من قبل – نشأ جيل من النحاة يحمل آراء مدرستيهما، ويعني بالتعمق في مصنفات أصحابهما والنفوذ من خلال ذلك إلى كثير من الآراء النحوية الجديدة.

وكان من هذا الجيل من يغلب عليه الميل إلى الآراء الكوفية، ومن يغلب عليه الميل إلى الآراء البصرية، ولذلك اضربت كتب التراجم والطبقات إزاءه، فمنهم من حاول تصنيف أفراده في المدرستين الكوفية والبصرية على نحو ما صنع الزبيدي في طبقاته، ومنهم من أفردهم بمدرسة مستقلة كما صنع ابن النديم في الفهرست، وإن كان أدخل فيهم نفرا ليس لهم نشاط نحوي مذكور مثل ابن قتيبة وأبي حنيفة الدينوري [2].

1راجع نشأة النحو تاريخ أشهر لنحاة للشيخ محمد الطنطاوي ص 102 / 107

2المدارس النحوية د/ شوقي ضيف ص 245.

وقد دافع الدكتور شوقي ضيف عن وجود المدرسة البغدادية في مواجهة الدكتور عبد الفتاح شلبي الذي نفى وجودها معتمدا على من يدرجون أفرادها تحت المدرسة البصرية أو الكوفية ومستنداً على علمين من أعلام جيلها الثاني ينسبان أنفسهما في مصنفاتهما إلى المدرسة البصرية، هما أبو علي الفارسي، تلميذه ابن جني، إذا يعبران في تصانيفهما عنهم كثيراً بكلمة (أصبحنا) [1]وينتصران في أغلب الأمر للآراء البصرية وكثيراً ما يطلق لبن جني على الكوفيين اسم (البغداديين) [2]، وكأنهم مدرسة واحدة، فقال: " ولا يكفي أن ينسب ابن جني وأبو علي الفارسي أنفسهما إلى البصريين لنعدهما حقا منهم، فإنها اتبعا في مصنفاتهما المذهب البغدادي الانتخابي، وان كانت قد غلبت عليهما النزعة البصرية، وهي لا تخرجهما عن دوائر الاتجاه البغدادي القائم على الانتخاب من آراء البصريين والكوفيين، وعلى غرارهما الزجاجي آخر الجيل الأول من البغداديين.

أما إطلاق ابن جني اسم البغداديين على الكوفيين أحيانا فيرجع إلى أن جمهور الجيل الأول من البغداديين كانت تغلب عليه النزعة الكوفية، فسماهم الكوفيين تارة، تارة سماهم البغداديين، وأهمهم ثلاثة: ابن كيسان (ت 299 هـ)، وابن شقير (ت 315 هـ)، ابن الخياط (ت 320 هـ) [3].

ويستدل الدكتور شوقي ضيف على صحة رأيه فيلا أن هؤلاء جميعاً جمعوا بين المذهبين بما ذكره الزجاجي من أخذه عنهم وتصريحه بأنهم درسوا نحوي الكوفة والبصرة، فيقول الزجاجي ك " ومن علماء الكوفيين الذي أخذت عنهم أبو الحسن بن كيسان، وأبو بكر

1انظر: أبو علي الفارسي د/ عبد الفتاح شلبي ص 106 , وسر صناعة الإعراب لابن جني 1/ 267 .

2انظر : الخصائص 200/1, 11/2

3المدارس النحوية ص 246

شقير، وأبو بكر بن الخياط، لأن هؤلاء قدوة أعلام في علم الكوفيين، وكان أول اعتمادهم عليه، ثم درسوا علم البصريين بعد ذلك فجمعوا بين العلمين " [1].

ومما يدل على تمكن هؤلاء من المذهب الكوفي أن الزجاجي نقل عنهم ومعهم ابن الأنباري الكوفي الخالص احتجاجات الكوفيين لآرائهم، فهم اللذين ضبطوا هذه الاحتجاجات ووثقوها وأحكموها ويقول الزجاجي بعد أن أورد جملة وجوه الاحتجاج لآراء الكوفيين التي سردها في الكتاب سردا :" وإنما نذكر هذه الأجوبة عن الكوفيين على حسب ما سمعنا مما يحتج بع عنهم من ينصر مذهبهم من المتأخرين، وعلى حسب ما في كتبهم إلا أن العبارة عن ذلك بغير ألفاظهم، والمعنى واحد ولأنا لو تكلفنا حكاية ألفاظهم بأعيانهم لكان في نقل ذلك مشقة علينا من غير زيادة في الفائدة، بل لعل أكثر ألفاظهم لا يفهمهما من لم ينظر في كتبهم، وكثير من ألفاظهم قد هذبها من نحكي عنه مذهب الكوفيين، مثل ابن كيسان، ابن شقير، ابن الخياط، ابن الأنباري، فنحن إنما نحكي علل الكوفيين على ألفاظهم هؤلاء، ومن جرى مجراهم، مع انه لا زيادة في المعنى عليهم، لا بخس حظ يجب لهم "[2].

ويعقب الدكتور شوقي ضيف على هذا النص بقوله: ومعنى ذلك أن ابن كيسان وابن شقير وابن الخياط الذين جمعوا بين علمي البصرة والكوفة كما يقول الزجاجي عم الذين اشتقوا احتجاجات الكوفيين في جملتها، هم الذين انتزعوا مقاييسها وعللها، مع ما أمدهم به الكوفيون من الكسائي إلى ابن الأنباري " [3].

ويمضي الدكتور شوقي ضيف مبينا أن تثقف هؤلاء بالنحو البصري وما بسط فيه من العلل والمقاييس ووجوه الاحتجاج كان مادة صاغوا منها عملهم، وبذلك تتضح صحة ما رواه أبو البركات بن الأنباري في كتابه: (الإنصاف) من احتجاجات الكوفيين بإزاء احتجاجات البصريين، وقد تشكك " فايل" في نسبة هذه الاحتجاجات التي أوردها صاحب (الأصناف)

1الإيضاح في علل النحو ص 79

2السابق ص , 131/ 132

3المدارس النحوية ص 247

إلى الكوفيين، وظن أنها من عمل البصريين المتأخرين، مستدلا بأن من يبحث عن هذه الاحتجاجات فيما عمل البصريين المتأخرين مستدلا بان من عن هذه الاحتجاجات فيما وصلنا من كتابات الفراء وثعلب قلما يجد لها أصلا عندهم، ولكن الدكتور شوقي ضيف يرى أن ظن " فايل " واهم، إنما هي من عمل أوائل البغداديين ممن ذكرناهم وأمثالهم ممن حاولوا – كما لاحظ الزجاجي – الاحتجاج للآراء الكوفية والاحتيال لها والتلطف في بيانها، وهم أنفسهم الذين يطلق عليهم ابن جني تارة اسم الكوفيين مدمجا فيهم سابقيهم من أمثال الكسائي والفراء، وتارة يطلق عليهم اسم البغداديين [1].

وإذا كان الدكتور عبد الفتاح شلبي ينكر المدرسة البغدادية فإن الأستاذ علي النجدي ناصف ينكر أن يكون بعد مدرستي البصرة والكوفة مدارس أخرى، فهو بعد فرغ من الحديث عن خصائص كل من المدرستين تساءل قائلاً:" والآن هل للنحو مدارس أخرى؟"، ثم أجاب عن ذلك فقال:" ينبغي قبل الإجابة عن هذا السؤال أن أعرف المدرسة، فهي طائفة من العلماء أو الأدباء أو أهل الفن تؤلف بينهم في الإنتاج وصوره أصول ومناهج يلتزمونها مع احتفاظ كل بخصائص شخصيته ".

وهكذا كان أئمة النحو الأولون في البصرة والكوفة إبان نشأته فخرج النحو الذي صدر عنهم صدى لما عند كل من الفريقين من مواهب، لما أصل من أصول، وما أمدته العرب به من لغة، ولما أن اشتد، ونضجت ثمرته، ومال من بعدهم إلى خلفائهم لم يجدوا به نقصا فيتموه، أو صدعا فيرأبوه، فلم يبق إلا أن ينظروا في النحوين، ويأخذوا لمصنفاتهم من كليهما أرجحه عندهم، ومنهم من جعل النحو البصري أصلا وزاد عليه ما دعت إليه الحاجة من النحو الكوفي.

وهنا التقى النحوان بين أيديهم على سواء في الدرس والتمحيص، واختلاف في مقدار النقل والاقتباس من هذا وذلك، تلفيق للنحوين أخذ النحاة به منذ القرن الثالث ولا يزال معمولا به إلى اليوم ".

1المدارس النحوية ص 247

ثم يتساءل بعد عرضه لوجهة نظره فهل يصح أن نطلق على أصحاب هذا التفليق اسم مدارس، فنقول مثلا: مدرسة البغدادية، أو مدرسة النحو المصرية، كما جاء في كتاب (المدارس النحوية) ".

ثم يردوا على من فهموا من عزو بعض آراء نحوية إلى البغداديين أنهم يشكلون مدرسة فيقول:" وقد فهم بعض الباحثين من هذا أن هؤلاء البغداديين يؤلفون مدرسة نحوية ثالثة ولكن ثمة دلائل على أن هؤلاء البغداديين هم الكوفيون الذين استقر المقام بهم في بغداد ولأن وصفهم بالكوفيين مدعاة إلى اللبس والتخليط ".

واستدل على ذلك بما ذكرته بعض كتب التراجم والطبقات من إطلاق كلمة (البغدادي) على الكسائي، وإطلاق كلمة (البغداديين) على الكوفيين [1].

ونستنتج مما ذكره الأستاذ علي النجدي ناصف أنه يرد إنكاره للمدرسة البغدادية وما تلاها من اتجاهات إلى عدم توافر خصائص المدرسة بالمعنى العلمة الدقيق فيها، وينتهي إلى أن البغداديين لم يضيفوا جديدا إلى ما أرسته المدرستان ك البصرية والكوفية وحيث لم يجدوا نقصا فيتموه وأو صدعا فيرأبوه، وما كان نحوهم إلا تلفيقاً لنحوي المدرستين، وهو بذلك يرد على الدكتور شوقي ضيف في صنيعه وتسميته كتابه ب (المدارس النحوية).

وكان من المكن أن نأخذ برأي الأستاذ علي النجدة وأن نقتنع به لما ينبني عليه من أدلة قوية، ولكن يمنعنا من الأخذ به أن البغداديين لم يقفوا عند حد الانتخاب من آراء المدرستين، أو عند حد التلفيق بين النحويين كما عبر الأستاذ علي النجدة، " فما أهل القرن الرابع الهجري حتى كثرت قواعد هذا المذهب – أي: المذهب البغدادي – الجديد، وأيده النظار له، واشتهرت طائفة به فقاسم المذهبين عملا ومزاولة، وشق له سبيلا معهما، وامتدت به الأيام قليلاً، فحدث للنحو به عهد جديد، قضي أن يعتبر طورا آخر من أطواره " [2]، وهو المفاضلة بين المذهبيين وإيثار المختار منهما، ولا تقوم المفاضلة والاختيار من فراغ ب لا

1راجع ك تاريخ النحو للأستاذ علي النجدي ناصف ص 34/ 36.

2نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة للشيخ محمد الطنطاوي ص 111

بد أن يكون ذلك مبنياً على حجج قوية وأدلة قاطعة، وفي المفاضلة والترجيح نوع من التجديد والإضافة، " ولقد أمعنوا في هذا الاختيار، فاصطفوا مسائل ذات بال مزيجا من المذهبين وعلى أنهم أسلمهم هذا الاستقرار البالغ خلال تلك الأيام إلى العثور على قواعد أخرى من تلقاء أنفسهم لا تمت بصلة إلى المذهبين تولدت اهم من اجتهاد قياسا وسماعا " [1].

وقد ذكر الدارسون أن المدرسة البغدادية "اتجهت اتجاهين: اتجاها مبكرا عند ابن كيسان وابن شقير وابن الخياط، نزع فيه أصحابه إلى آراء المدرسة الكوفية، وأكثروا من الاحتجاج لها، مع فتح الأبواب لكثير من الآراء المدرسة البصرية، وأيضا مع فتح باب الاجتهاد لبعض الآراء الجديدة، واتجاها مقابلا عند الزجاجي ثم عند أبي علي الفارسي وابن جني، نزع فيه أصحابه إلى آراء المدرسة البصرية، وهو الاتجاه الذي ساد فيما بعد لا في مدرسة بغداد وحدها، بل في جميع البيئات التي عنيت بدراسة النحو " [2].

ومن ثم لا يمكن أن نغفل جهود أصحاب المدرسة البغدادية وأن نجعلهم مجرد جامعين بين المدرستين، وذلك لما أضافوه إلى النحو العربي من توسع في التعليل والحجج والأدلة، بسط المسائل، وتفريعها، والإتيان بآراء جديدة خالفوا بها كلتا المدرستين فمن ذلك تجويزهم مجيء الحال معرفة مطلقا، نحو: (جاء زيدٌ الراكب) قياسا على الخبر وعلى ما سمع من ذلك، وهم بذلك مخالفون لجمهور البصريين الذين يجوزون مجيء الحال على الصورة المعرفة إذا كان فيها معنى الشرط، وهي مع ذلك نكرة، نحو: (عبد الله المحسن أفضل منه المسيء) [3]، ومن ذلك أنهم جوزا أن تكون (أنْ) مخففة من الثقيلة من غير عوض، اي من غير فاصل بينهما وبين الفعل المتصرف، قال الرضي :"كما حكى المبرد عن البغاددة (علمت أنْ تخرجُ) – بالرفع بلا عوض " [4]، ومن ذلك أيضا ما حكاه عنهم أبو علي الفارسي من أنهم يجيزون كون الظرف والجار والمجرور في نحو: (لا آمر

1السابق ص 111 /112

2المدارس النحوية د /شوقي ضيف 248 .

3الهمع 1 /239

4شرح الكافية 2/ 234

بالمعروف)، وقوله تعالى :"لا عاصمَ اليومَ مِنْ أمرِ الله إلا مَنْ رَحِم " [1] – من صلة المنفي المبني [2] ة وهم بذلك مخالفون لجمهور البصريين والكوفيين الذين يوجبون تنوينه، لأن الشبيه بالمضاف لا يبنى. ومن ذلك أيضا تجويزهم العطف على المحل في نحو قولهم ك (هذا ضارب زيدا وأخيه)، وقد منع جمهور النحاة ذلك، لأنهم اشترطوا في جواز العطف على المحل أن يكون الموضع بحق الأصالة، "لأن الوصف المستوفي لشروط العمل الأصل إعماله لا إضافته لالتحاقه بالفعل "[3].

ومن ذلك أيضا ذهاب بعضهم إلى أن (ويحه، وويله) منصوبة بأفعال من لفظها، وأنشد:

فما وآل ولا واحَ ولا واسَ أبو هندي

خلافا للجمهور، حيث قدروا لهذه المنصوبات أفعالا من معناها [4].

إلى غير ذلك من الآراء النحوية التي عزتها كتب النحو إلى البغداديين ووقد ذكرنا سابقا أن أوائل المدرسة البغدادية ممن جمعوا بين مدرستي البصرة والكوفة كانوا يميلون إلى المدرسة الكوفية، ثم جاءت من بعدهم أجيال غلبت عليهم النزعة البصرية فجعلوا المذهب البصري أساسا في كتبهم وتلك السنة سرت فيمن بعدهم وما تزال إلى أيامنا هذه في أكثر الكتب النحوية[5].

ويجدر بنا أن نلقي الضوء على بعض أعلام هذه المدرسة ممن مثلوا غلبة النزعة الكوفية عليهم، ومن مثلوا غلبة النزعة البصرية فنعرض أولا لابن كيسان وابن الشقيري وابن الخياط الذين غلبت عليه النزعة الكوفية، ثم للزجاجي وأبي علي الفارسي ووأبي الفتح بن

1هود: 43

2شرح الكافية للرضي 257/1

3مغني اللبيب لابن هشام 2 /474

4شرح التصريح على التوضيح 1/ 330

5نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة للشيخ الطنطاوي ص 113 / 114

جني الذين غلبت عليهم النزعة البصرية، ثم نعرض لمن جاء في إثرهم من نحاة إيران والعراق والشام ممن استضاءوا بمنهجهم النحوي في نشاطهم العلمي.

ابن كيسان

هو: محمد بن أحمد بين كيسان أبو الحسن النحوي، وكان يحفظ مذهبي البصريين والكوفيين في النحو، لأنه أخذ عن المبرد وثعلب، اقل السيرافي: " وكان ابن كيسان يخلط المذهبيين"[1].

وكان أبو بكر بن مجاهد المقرئ يقول ك ابن كيسان أنحى من الشيخين: ثعلب والمبرد ووقد مزج النحويين فأخذ من كل واحد منهما ما غلب على ظنه صحته، وأطرد له قياسه، ترك التعصب لأحد الفريقين على الآخر.

وصنف كتبا كثيرة في هذا النوع، كلها جيد بديع في غرائب القياسات.

قال له القاضي إسماعيل ك يا أبا الحسن، ما تقول في قراءة الجمهور إلا أبا عمرو:"إنَّ هذانِ لساحران " [2]، وما وجهها على ما جرت به عادتك من الإغراب في الإعراب؟ فأطرق ابن كيسان مليا، ثم قال: نجعلها مبنية لا معربة، وقد استقام الأمر، قال له إسماعيل القاضي: فما علة بنائها ظ قال ابن كيسان ك لأن المفرد منها (هذا) وهو مبني، والجمع (هؤلاء) وهو مبني، فيتحمل التثنية على الوجهين، فعجب القاضي وبعيد غوصه، وقال له ك ما أحسنه يا أبا الحسن لو قال به أحد، قال، ليقل به القاضي.

ومن مصنفاته المشهورة كالمُهذَّب، والحقائق، والمختار، وغريب الحديث، والشاذاني في النحو، والمذكر والمؤنث والمقصور والممدود والبرهان، والوقف في النحو، والمذكر والمؤنث، والمقصور والممدود والبرهان. والوقف والابتداء والهجاء، والقراءات والتصاريف، ومختصر النحو، ومعاني القرآن، وحد الفاعل، ونحو اختلاف البصريين والكوفيين، والكافي في النحو.

1أخبار النحويين البصريين ص 113 /114

2طه , 63

وذكر ياقوت له أيضا ك غلط الكاتب ومصابيح الكتاب، ونشر له كتاب باسمه (تلقيت القوافي، وتلقيب حركاته) ضمن مجموعة ك (جزرة الحاطب وتحفة الطالب) بعناية " وليم ريط " في ليدن سنة 1852.

توفي سنة مائتين وتسعين للهجرة [1]، وقيل ك سنة ثلاثمائة وعشرين ورجحة ياقوت وغيره[2].

وهناك اثنان غير من ذكرناه اشتهر بابن كيسان: أحدهما قديم، به في العروض والمعمى كتاب [3]، والآخر متأخر، وهو الحسن بن محمد بن أحمد بين كيسان أو محمد الحربي النحوي، وهو أخو علي بن محمد الأكبر، روى عنه إسماعيل بن إسحاق القاضي كتاب (النوادر)، وقال أبو نعيم الحافظ عنه: كان ثقة، وتوفي سنة ثلاثمئة وثمان وخمسين [4].

ابن شقير:

هو أحمد بن الحسين بن العباس بن الفرج النحوي، أخذ عن أحمد بن عبيد بن ناصح وكان مشهوراً برواية كتب الواقدي عن أحمد بن عبيد عنه وهو في طبقة أبي بكر السراج ووهل: مختصر في النحو، والمقصور والممدود، والمذكر والمؤنث، ويقال إن الجمل الذي للخليل هو لابن شقير، توفي سنة ثلاثمائة وسبع عشرة للهجرة [5].

ابن الخياط:

هو: محمد بن أحمد بن منصور، أبو بكر ابن الخياط، أصله من سمر قند.

أقام في بغداد بعد وفاة المبرد وضعف ثعلب عن الإفادة لصممه الشديد، فاستمع من أترابها، وجرت بينه وبين الزجاج ببغداد مناظرة، وكان دمث الخلق.

1إنباه الرواة، للقفطي 57/33 –59 .

2بغية الوعاة لسيوطي، 1/ 18 ,19

3السابق 1/ 19

4إنباه الرواة 1 /354

5انظر: الوافي بالوفيات، 6/ 217 , والاعلام 1/ 110

من كتبه (معاني القرآن) و(الموجز) و(المقنع) و(النحو).

وتوفي بالبصرة سنة ثلاثمائة وعشرين للهجرة [1].

الزجاجي:

هو: ابن القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، من أهل الصيمرة بين ديار الجبل وديار خوزستان، نشأ بنهاوند جنوبي همذان، وانتقل إلى بغداد ينهل من حلقات العلماء، ولزم الزجاج البصري وقرأ عليه النحو، ومن هنا جاء لقبه ب (الزجاجي) نسبة إليه، ثم انتقل إلى الشام، فأقام بحلب مدة، ثم انتقل إلى دمشق، وأقام بها وصنف، وحدث أن خرج إلى طبرية فمات بها سنة ثلاثمائة وسبع وثلاثين للهجرة وقيل: بل سنة ثلاثمائة وأربعين [2].

وقد ألف الزجاجي في شتى علوم اللغة والأدب، ولكن مؤلفاته لم تصل إلينا كلها، وما وصل منها لم يطبع إلا أقله وما زال سائره ينتظر الجهد والعزيمة، فمنها:

1 -كتاب (الجمل)، وهو مختصر في قواعد النحو، وقد وصفه القفطي بأنه " مبارك ما اشتغل به أحد إلا انتفع "، ويحكي القفطي قصة تأليفه، فيقول:" سمعت من لفظ الشيخ أبي البقاء صالح نزيل قفط أن الزجاجي صنف (الجمل) بمكة، وكان إذا فرغ من باب طاف به أسبوعا وودعا الله – عز وجل – أن يغفر له، وأن ينفع به قارئه، فلهذا انتفع به الطلبة، وهو كتاب المصريين وأهل المغرب الحجاز واليمن والشام إلى أن اشتغل الناس باللمع لابن جني، والإيضاح لأبي علي الفارسي " [3].

وقد حظي بشروح كثيرة عليه، حتى قالوا إنها زادت عن مائة وعشرين شرحا [4].

1ارتشاف الضرب 2 /609

2إنباه الرواة للقفطي 2 / 160 , والمدارس النحوية د/ شوقي ضيف ص 252.

3إنباه الرواة 2/ 161.

4المدارس النحوية، د/ شوقي ضيف ص 252

وقد تعرض له البطليوسي، وصنف فيه كتابا سماه (الحلل في إصلاح الخلل الواقع في كتاب الجمل).

وقد نكت ابن بابشاذ في شرحه نكتا في الرد عليه [1].

وقد طبع كتاب (الجمل) سنة 1926 م على نفقة كلية الآداب في الجزائر، وحققه الشيخ ابن أبي شنب، وصورت هذه الطبعة في باريس سنة 1657 م [2].

2 – (الإيضاح في علل النحو)، وقد استقصى فيه علل النحو البصري والكوفي ونص – كما آنفا – على أن الذين حرروا العلل الكوفية هم: ابن الأنباري، وأوائل البغداديين ك ابن كيسان، وابن شقير، وابن الخياط، وأضاف أن

له في ذلك نصيبا إذ قال:" وأكثر ما أذكره من احتجاجات الكوفيين إنما أعبر عنه بألفاظ البصريين " [3] وفهم الذين نهجوا التعبير عن العلل وذللوه ومهدوه [4].

وكتاب (الإيضاح في علل النحو) مطبوع بتحقيق الدكتور مازن المبارك.

" ومن يقرأ الكتاب يرى الفلسفة والمنطق وعلم الكلام والفقه، أو بعبارة أدق عللها تمس جوانب التعليل والاحتجاج فيه " [5].

وقد وردت في (الجمل) إشارات تدل على أن الزجاجي ألف كتاب (الإيضاح) قبل كتاب (الجمل) المذكور [6].

1إنباه الرواة 2 / 160. 161

2تحقيق كتاب الإيضاح للدكتور مازن المبارك، ص 4

3الإيضاح ص 80

4المدارس النحوية ص 252

5السابق ص 252 و 253

6مقدمة تحقيق كتاب (الإيضاح) للدكتور مازن المبارك ص 5

3 – كتاب (أمالي الزجاجي) وهو مجموعة أخبار ينتقل القارئ فيها من تفسير آية القرآن إلى خبر تاريخي، ومن شعر ابن أبي ربيعة إلى رثاء ابن أبي دؤاد وهذه الأمالي مجموعة من الأخبار لا نظام لها غير أن النزعة اللغوية غالبة عليها شرحا واستشهادا واستنادا، ولعل ذلك يعود إلى أن الشيخ كان يملي هذه الأخبار على طلابه فكان لكل دارس أخباره ونصوصه على النحو ما كان يدور في الدروس القديمة التي تعرف بالمجالس، وللأمالي أكثر من نسخة: كبرى وسطى وصغرى، ويرى الدكتور مازن المبارك أن التي طبعت منها في مصر سنة 1324 بتحقيق الأستاذ أحمد الأمين الشنقيطي – هي النسخة الصغرى، مستدلا بأننا لا نجد فيها ما نقله البغدادي في (خزانة الأدب) عن الأمالي الوسطى، ولا كثيرا مما نقله السيوطي في الأشباه والنظائر [1]، ولكن الدكتور شوقي ضيف يرى أن النسخة المطبوعة بتحقيق الشنقيطي هي الوسطى [2].

4 – (مجالس العلماء)، وقد نشرته وزارة الإرشاد والإنباء في الكويت سنة 1962، بتحقيق الاستاذ عبد السلام محمد هارون [3]، وهذه المجالس تحكي محاورات لطائفة كبيرة من العلماء وأكثرها في مسائل لغوية ونحوية [4]

5 – (الإبدال والمعاقبة والنظائر)، وقد حققه الأستاذ عز الدين التنوخي ونشره المجمع العلمي العربي بدمشق سنة 1962، وهو يبحث في تبادل الحروف بعضها مع بعض وتعاقبها وتناظرها [5].

6 – كتاب (اللامات) ووقد جمع الزجاجي فيه مواقع اللامات في القرآن الكريم وكلام العرب، وشرح معانيها شرحا مؤيدا بالحجج والشواهد، وقد حققه الدكتور مازن المبارك، ونشره مجمع اللغة العربية بدمشق سنة 1969 م [1].

1السابق ص 5

2المدارس النحوية ص 252

3تحقيق كتاب الإيضاح للدكتور مازن المبارك ص 8

4المدارس النحوية د / شوقي ضيف ص 252

5تحقيق كتاب الإيضاح ص 6

7 -(شرح مقدمة أدب الكاتب)، وهو كتاب شرح فيه الزجاجي خطبة ابن قتيبة في كتابه (أدب الكاتب) شرحا عني فيه باللغة والنحو والصرف.

8 -(مختصر الزاهر) والزاهر في المعاني الكلام الذي يستعمله الناس – كتاب لأبي بكر بن الأنباري، وقد شرحه الزجاجي واختصره فحذف منه الشواهد وتعليق ابن الأنباري عليها، ورد عليه آراءه الكوفية، وأحل محلها ما يقابلها من آراء البصريين.

9 – (اشتقاق أسماء الله تعالى وصفاته المستنبطة من التنزيل وما يتعلق بها من اللغات والمصادر والتأويل)، وهو كتاب أحصى الزجاجي فيه أسماء الله تعالى وتحدث عما يتصل بكل منها من المعنى واللغة والاشتقاق.

وهذه الكتب الثلاثة الأخيرة ذكر الدكتور مازن المبارك أنها ما زالت مخطوطة في دار الكتب المصرية، وهناك مصنفات له لم تصل إلينا، ولكن كتب التراجم هي التي أشارت إليها ومنها:

10 -شرح كتاب الألف واللام للمازني، وقد ذكر في بغيةالوعاة وكشف الظنون وعيون التواريخ.

11 -المخترع في القوافي، ذكر السيوطي، وقال إنه وقف عليه، وذكر في فهرست ابن النديم وكشف الظنون وعيون التواريخ.

12 -كتاب المجموع في معرفة أنواع الشعر وقوافيه، وقد ذكر في فهرست ابن خير.

13 -كتاب (معاني الحروف)، ولم ينسب أحد إلى الزجاجي كتابا بهذا الاسم غير ابن خير الإشبيلي، على أن بروكلمان عد بين كتب الزجاجي كتابا باسم (حروف المعاني).

14 -كتاب (الهجاء)، ولم يشر إليه أحد غير الزجاجي نفسه في (الجمل).

15 -شرح رسالة سيبويه، ولم يشر إليه أحد من الباحثين غير الزجاجي أيضا في كتابه (الإيضاح) وهذا الكتاب شرح للصفحات الأولى من كتاب سيبويه [2].

1السابق ص 6

2راجع : تحقيق الدكتور مازن المبارك للإيضاح ص 6 / 7/ 8 .

ابن خالويه:

هو الحسين بن أحمد بن خالويه النحوي اللغوي أبو عبد الله، من أهل همذان ودخل بغداد، وأدرك أجله العلماء بها، مثل ك ابن الأنباري، وابن مجاهد، وأبي عمر الزاهد، وابن دريد، وقرأ على أبي سعيد السيرافي، وكان منتصرا له على أبي علي الفارسي، وانتقل إلى الشام، وصحب سيف الدولة بن حمدان، وأدب بعض أولاده، تصدر بحلب وميذَا فارقين وحمص للإفادة والتصنيف، وعاش بعد سيف الدولة في صحبة ولده: شريف، وغيره من آل حمدان ومات بحلب سنة ثلاثمائة وسبعين للهجرة.

وأخذ عنه العلم خلق كثير، منهم ك الحسن بن سليمان، والحسين بن علي الرهاوي، وربيعة بن محمد، سعيد بن سعيد الفارقي، وعبد المنعم بن غلبون المقرئ المصري، وغيرهم.

وله مصنفات كثيرة في النحو واللغة والقراءات والأدب، منها إعراب القراءات السبع وعللها، وهو مطبوع بتحقيق الدكتور / عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، والحجة في القراءات السبع وهو مطبوع أيضا بتحقيق الدكتور / عبد الرحيم محمود، والاشتقاق، واشتقاق خالويه، والجمل، والمبتدأ، وهما في النحو، والمقصور والممدود، وشرح مقصورة ابن دريد والمذكر والمؤنث والألفات، وتقفية ما اختلف لفظه واختلف معناه لليزيدي، وشرح أسماء الله الحسنى، وليس من كلام العرب، وغيرها [1].

أبو علي الفارسي:

هو: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان أبو علي الفارسي النحوي، ولد بفسا من أرض فارس، وقدم بغداد فاستوطنها، وأخذ من علماء النحو بها، وعلت منزلته في النحو، حتى قال قوم من تلامذته: هو فوق المبرد وأعلم.

ولقب بالفارسي نسبة إلى أصل أبيه، أما أمه فعربية الأصل سدوسية من سدوس الشيبان، وكان مولده سنة مائتين وثمان وثمانين للهجرة، وكان فطنا ذكيا فأكب على التعلم

1إنباه الرواة للقفطي 1 /359 –362 و والبداية والنهاية لابن كثير مجلد 6 ج 11 ص 380 , ومقدمة تحقيق الإعراب القراءات السبع وعللها د / عبد الرحمن العثيمين 1/ 85 , وما بعدها .

منذ نعومة أظفاره [1]، وفي العراق أتيح له أن يتصل بطائفة من أشياخ العصر، يأخذ عنهم ما شاء الله أن يأخذ من ألوان العلوم سماعا منهم أو قراءة عليهم، ويطلع على الكتب السالفين من الأئمة في علوم الدين والعربية.

فاتصل بأبي بكر بن مجاهد، وروى القراءة عرضا عليه، وسمع منه معاني القرآن، واتصل بأبي إسحاق الزجاجي، وسمع منه كتابه في (معاني القرآن)، واتصل بأبي بكر بن الخياط واطلع على كتابه (معاني الشعر)، واتصل بأبي بكر بن دريد وكتب كتابه في الاشتقاق إملاء عنه، واتصل بأبي بكر مبرمان وأخذ عنه واتصل بأبي بكر بن السراج وقرأ عليه الكتاب، وروى عنه تصريف المازني وقرأ عليه المسائل المشروحة من كتاب سيبويه للمبرد، وديوان النابغة برواية الأصمعي، واشتغل برواية الحديث، وله تلاميذ فيه.

وقرأ فيما قرأ من كتب الأمة السالفين كتاب التصريف للفراء، والفرخ للجرمي، وإصلاح المنطق لا بن السكيت، والمقتضب للمبرد [2].

كما أخذ عن الأخفش الصغير ونطويه، وبذلك يكون أبو علي الفارسي قد أخذ عن البصريين والكوفيين، وأوائل البغداديين فضلا عن قراءته كتب السالفين، مثل كتاب سيبويه، والمقتضب للمبرد، والتصريف للمازني، والأصول لا بن السراج، وغيرها، الأمر الذي جعل ثقافته واسعة ومتنوعة.

وتذكر كتب التراجم أنه كان معتما بالاعتزال [3]، ولكن محققي كتاب " الحجة " يستنبطون من هذه العبارة أنه لم يكن معتزليا، إذا لم تشر كتاباته إلى ذلك، بل كان يناقش

1إنباه الرواة 1/ 308 و والمدارس النحوية ص 255 .

2مقدمة الحجة في علل القراءات السبع للأستاذ علي النجدي ناصف وآخرين 14/1 , 15

3إنباه الرواة 1 /308

ما يعرض له من آراء دون تحيز أو تعصب لمذهب [1]، ويقول الدكتور شوقي ضيف:"وأغلب الظن أنه كان شيعيا، لغلبة التشيع حينئذ على أهل العراق وفارس "[2].

وقد استبعد محققو كتاب (الحجة) أن يكون شيعيا أيضا، إذا لم يرد له ذكر، ولا لكتبه في كتاب (معالم العلماء)، وهو فهرست لكتب وأسماء المصنفين من الشيعة قديما وحديثا، تأليف رشيد الدين أبي جعفر محمد السروي، المتوفي سنة خمسمائة وثمان وثمانين للهجرة [3].

ومهما يكن من أمر فإن القول باعتزاله أو تشيعه لا يغض من مكانته العلمية، ولا ينقص من منزلته في النحو واللغة، بل ربما زاده اعتزاله وتشيعه قوة في الجدل والحجة.

وكان حافلا بالعلم والعلماء، حيث زامله في الأخذ عن شيوخ عصره كثير من علماء العربية منهم: أبو سعيد السيرافي المتوفي سنة ثلاثمائة وثمان وستين، وابن خالويه المتوفى سنه ثلاثمائة وسبعين، وعلي بن عيسى الرماني المتوفى سنة ثلاثمائة وأربع وثمانين [4].

واشتهر ذكره في الآفاق، برع له غلمان حذاق، مثل عثمان بن جني، وعلي بن عيسى الشيرازي، وغيرهما، خدم الملوك، وتقدم عند عضد الدولة حتى قال عضد الدولة: أنا غلام أبي علي النحوي الفسوي في النحو [5].

وتصدر أبو علي للتدريس في البلاد التي زارها فكان له تلاميذ في كل منها، ومنهم من لزمه أو أطال المقام معه، فابن جني يصحبه في أسفاره منذ اتصلت أسبابه بأسبابه، وعلي بن عيسى الربعي يصحبه عشرين سنة حتى لا يبقى في نفسه شيء يحتاج ان يسأل عنه.

1راجع مقدمة كتاب الحجة 1/5-9

2المدارس النحوية ص 256

3مقدمة كتاب الحجة 1 / 8

4السابق 1 /17

5إنباه الرواة 1/ 308

ويذكر أبو طالب العبدي أنه قد أحصى من كان يحضر مجلس أبي علي ويقرأ عليه كتاب سيبويه دون غيره من المتوسطات فإذا هم ثلاثون رجلا أو أكثر.

وقد تنوع أخذ تلاميذه عنه ومنهم من استوعب علمه، وتأثره في مختلف أطرافه حتى ليعد صورة له ومثلا صالحا من أمثلة أخذ التلميذ من أستاذه وتأثره به، مع تماسك شخصيته وحرصه على أصول خصائصه العقلية والفنية في مناهج التفكير والتعبير، وهو أبو الفتح عثمان بن جني، ومنهم من روى القراءة عرضا عليه، كعبد الملك بن بكر النهرواني، ومنهم من سمع منه الحديث كأبي القاسم التنوخي، وعلي بنن المحسن، وأبي الحسن محمد بن عبد الواحد، ومنهم من أخذ عنه اللغة وعلومها، كإسماعيل بن حماد الجوهري، وعلي بن عبد الغفار السمسماني، ومحمد بن عثمان بن بلبل، والحسين بن محمد بن جعفر المعروف بالخالع، وغيرهم كثير [1]، مما يدل على سعة اطلاعه وغزارة علمه، وتنوع ثقافته.

وله مصنفات وصفها مترجموه بأنها عجيبة حسة لم يسبق إلى مثلها [2],منها: (الإيضاح) في النحو، و(التكملة) في الصرف، وقد ألفهما لعضد الدولة، و(التذكرة)، و(المقصور والممدود)، و(الحجة في علل القراءات السبع، و(الأغفال) فيما أغلفه الزجاج في المعاني، و(العوامل المائة)، و(نقض الهاذور) وموضوعه الرد علىابن خالويه في رده كتاب (الأغفال)، كما وضع مؤلفات حول مسائل في النحو أملاها على تلاميذه ووقد نسب كل مؤلف إلى البلدة التي أملى فيها مسائله، مثل: (المسائل العسكرية) نسبة إلى عسكر مكرم، و(المسائل القصرية) نسبة غلى قصر ابن هبيرة بنواحي الكوفة، و(المسائل) الحلبية، و(المسائل الدمشقية)، و(المسائل البصرية)، و(المسائل البغدادية)، و(المسائل الكرمانية) نسبة إلى كرمان في إيران، و(المسائل الشيرازية)، و(المسائل المجلسيات)، و(المسائل الذهبيات) [3].

1مقدمة كتاب الحجة 1/ 17 -18

2إنباه الرواة 1 / 308

3إنباه الرواة 1 /310 , والمدارس النحوية ص 256.

ويدل منهج أبي علي في كتبه على تمكنه من حفظ القرآن الكريم، ومقدرته الفائقة على استحضار الآيات وبراعته الملحوظة في اصطناعها وحسن الإفادة منها في المواطن التي يجزيها إليها، استشهادا بها، أو تفسيرا لما يريد تفسيره منها في المفردات أو العبارات، مع التتبع والاستقصاء، كأنه لم يكن يستملي حفظه، ولكن ينقل من فهرس عنده عتيد [1].

وبعد رحلة طويلة من العلم خلف من ورائها هذه المصنفات الجليلة توفي أبو الفارسي يم الأحد السابع عشر من ربيع الأول سنة ثلاثمائة وسبع وسبعين للهجرة ببغداد [2].

الرماني:

هو: علي بن عيسى بن علي بن عبد الله أبو الحسن النحوي المعروف بالرماني، حدث عن أبي بكر دريد وأبي بكر بن السراج والزجاج وغيرهم وروى عنه التنوخي والجوهري وهلال بن المحسّن الكاتب.

ولد سنة مائتين وست وتسعين للهجرة وذلك ببغداد، وقيل: نشأ بالرمان – وهي بمدينة واسط وثم رحل إلى بغداد واتصل بشيوخها في النحو واللغة وعلم الكلام الذي أخذه عن ابن الإخشيد أبي بكر أحمد بن علي (ت 326 هـ) كما أخذ عنه مذهب لاعتزال، وقد نبغ في العلم مبكرا ,حيث استوعب علم شيوخه، ولم يتجاوز العقد الثالث من حياته، وكان من أهل المعرفة، مفتنا في علوم كثيرة من الفقه والقرآن والنحو واللغة والكلام على مذهب المعتزلة.

وله تصانيف كثيرة، منها ما يتصل بالنحو واللغة، ومثل: معاني الحروف، وشحر كتاب سيبويه، وشرح أصول ابن السراج، وشرح جمل ابن السراج والتصريف، والاشتقاق الكبير، والاشتقاق المستخرج، والخلاف بين النحويين، والخلاف بين سيبويه والمبرد، ونكت سيبويه، ومنها ما يتصل بعلوم القرآن، مثل: الجامع في علم القرآن، والنكت في إعجاز القرآن، وغريب القرآن، وجواب مسائل طلحة في علم القرآن، والمختصر في علم السور القصار، والمتشابه في عمل القرآن، ومنها ما يتصل بعلم الكلام، مثل ك صنعة الاستدلال

1مقدمة تحقيق الحجة 1 / 15

2إنباه الرواة 1 / 309

في مذهب الاعتزال، والإمامة، واستحقاق الذم والرؤية، والأكوان، وتحريم المكاسب، والحظر والإباحة، ومسائل أبي جابي، وصفات النفس، ونكت الأصول.

وهكذا تجاوزت مصنفاته التي ذكرتها كتب التراجم في مجالات متعددة المائة، ومما يدل على سعة اطلاعه، وعمق فكره، وتنوع ثقافته، وقد توفي الرماني ببغداد سنة ثلاثمائة وأربع وثمانين للهجرة، عن ثمانٍ وثمانين سنة [1].

ابن جني

هو: أبو الفتح عثمان بن جني النحوي الموصلي البغدادي، وأبوه (جني) معرب (كِنِّيي) اليونانية، فهو من أصل روميي حيث كان أبوه جني مملوكا روميا لسليمان بن فهد بن أحمد الأزهري الموصلي، ولذلك كان ابن جني يقول:

فإنْ أصبحْ بلا نسبٍ فعلمي في الورى نسبي

وكان مولده قبل سنة ثلاثين وثلاثمائة للهجرة، وقد أكب على دروس أحمد بن محمد الموصلي النحوي، ويبدو أنه رحل إلى بغداد في وقت مبكر من حياته، والدليل على ذلك أنه ذكر في بعض مصنفاته بعض تلاميذ المبرد مثل: محمد بن سلمة، وبعض تلاميذ ثعلب مثل :ابن مِقسم، ثم عاد إلى الموصل، وجلس يدرس للطلاب في مسجدها، وحدث يوما أن مر أبو علي الفارسي بحلقته فأعجبه ذكاؤه، وتعجب من قعوده للدرس والإملاء وهو في هذه السن المبكرة، فقال له: لقد أصبحت زيبيا وأنت حِصرِم، وكانت هذه الواقعة سببا في ملازمته لأبي علي الفارسي أربعين سنة، حيث صحبه وتبعه في أسفاره، وخلا به في مقامه، واستملى منه وأخذ عنه، وصنف في زمانه، ووقف أبو علي تصانيفه واستجادها، ومن ثم تأثر ابن جني بأستاذه أبي علي تأثرا كبيار، إذا كان مشغوفا بآرائه، مبهورا بفطنته ودقة أقيسته وتعليلاته، فمصنفاته حافلة بما نقله عنه، وقد احتل ابن جني مكانة عالية فيي مجال النحو واللغة قال عنه الباخرزي: "ليس لأحد من أئمة الادب في فتح المقفلات وشرح المشكلات ما

1إنباه الرماني للقفطي 2/ 294 –296 , ونشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة للشيخ الطنطاوي ص 121 , ومقدمة تحقيق كتاب معاني الحروف للدكتور عبد الفتاح شلبي ص1 , وما بعدها .

له، فقد وقع عليها من تمرات الأعراب ولا سيما في علم الإعراب، ومن تأمل مصنفاته وقع على بعض صفاته "[1].

وقد أتيح لا بن جني أن يلتقي في حلب بالمتنبي، فانعقدت بينهما صداقة حميمة، وكان المتنبي يناظر في النحو، ويقول عنه: هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس، حتى إذا توفي المتنبي رثاه بقصيدة ذكرتها كتب التراجم، وقد خلف أستاذه أبا علي في التدريس ببغداد، حتى توفي بها ليلة الجمعة من صفر سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة [2].

مصنفاته:

وقد أثرى ابن جني المكتبة العربية بمصنفات قيمة لها أعظم الأثر في تطوير الدرس اللغوي بوجه عام، والدرس النحوي بوجه خاص، منها: (التعاقب في العربية)، و(المعرب)، و(التلقين)، و(اللمع)، و(الفسر لشرح ديوانالمتنبي)، و(الفصل بين الكلام الخاص والعام)، و(العروض والقوافي)، و(جمل أصول التصريف، و(الوقف والابتداء)، و(الألفاظ من المهموز) ,و (المذكر والمؤنث)، و(تفسير المراثي الثلاثة والقصيدة الرائية للشريف الرضي)، و(التصريف الملوكي)، و(الخصائص)، و(المقتضب في اسم المفعول الثلاثي المعتل العين)، و(شرح التبصرة في أصول الفقه للشيخ أبي إسحاق إبراهيم بنعلي الشيرازي)، و(تلخيص تذكرة أبي علي) ,و (التذكرة الأصبهانية)، و(شرح تصريف المازني) وهو المسمى (المصنف)، و(التنبيه) و(الخاطريات)، و(سر صناعة الإعراب)، و(شرح الفصيح في اللغة)، و(الكافي في شرح كتاب القوافي للأخفش)، و(لمحتسب في توجيه القراءات الشاذة)، و(محاسن العربية)، و(المنتصف في النحو)، و(المبهج في اشتقاق أسماء رجال شعر الحماسة)، و(ذا القد) جمعة من كلام شيخه الفارسي، و(التنبيه في شرح ديوان

1دمية القصر ص 320

2لنظر ترجمته في : دمية القصر ص 230 , وتاريخ بغداد 11 / 311 , وإنباه الرواة 2 / 235 , والبداية والنهاية 11 /331 , وبغية الوعاة 2 / 132 , ولمدارس النحوية للدكتور شوقي ضيف ص 265 , ونشأة النحو للشيخ الطنطاوي ص 121 .

الحماسة) ,و(التمام في تفسير أشعار هذيل)، و(إعراب أبيات ما أشكل من الحماسة)، و(المقتضب من كلام العرب)، ومن نسب إلى أمه من الشعراء) [1].

فهذه المصنفات تعكس بوضوح قدرته الفذة على معالجة اللغة في جوانبها المختلفة، وقد طبع ونشر كثير من هذه المؤلفات، ومنها: (الخصائص)، و(المحتسب في توجيه القراءات الشاذة)، وسر صناعة الإعراب)، والمنصف شرح تصريف المازني)، و (التصريف الملوكي)، و(شحر ديوان المتنبي)، و(المقتضب عن كلام العرب)، و(اللمع) [2].

وإذا كان نشاط ابن جني متسعا في شتى علوم اللغة فإن القسط الأكبر من نشاطه كان في علم التصريف، ودفعته الرغبة في دراسته إلى أن قرأ على أستاذه أبي علي الفارسي كتاب (التصريف) للمازني إلى شرحه، الذي أسماه: (المنصف)، وفهي يناقش مادته مناقشة واسعة مضيفا ما لا يحصى من ملاحظاته الطريفة، كملاحظته أن الأفعال تشتق من أسماء الأعيان، وقوله: إننا إذا اشتققنا فعلا من (سفرجل) قلنا: (سَفْرَج – يُسَفْرِج – سفرجة فهو مسفرج) [3].

كما توسع ابن جني في دراسة الأصوات حيث تناول في كتابه: (سر صناعة الإعراب) حروف المعجم بالدراسة من حيث مخارجها، وصفاتها، وما يحدث في صوت الكلمة من إعلال وإبدال وإدغام ونقل وحذف، وما يجري في حروفها من تلاؤم يؤدي إلى جمال الجرس، كذلك نجده يتوسع في الدراسات الصرفية من خلال كتابه: (التصريف الملوكي)، حيث تناول فن التصريف بمعناه الدقيق، فتحدث عن المجرد والمزيد، والإبدال والتغيير بالحركة، والسكون، والحذف، والإعلال، مع التدريبات صرفية كثيرة ولعل أهم ما صنف في

1الفهرست ص 128, و كشف الظنون 1 /339 .341. 385 .412. 416 . 481 .493 . 699 . 706. /2 . 988. 1273. 1377. 1431 . 1461 .1562. 1608 . 1850 .1882. 1438 . وبغية الوعاة 2 /132 , واللإعلام 4/ 204 , ومعجم المطبوعات 1 /66

2الأعلام 4 /204

3المنصف 1 /33

هذا العلم (لخصائص) الذي حاول فيه محاولة رائعة هي وضع القوانين الكلية للتصريف، وحقا أنه أفاد في كثرة هذه القوانين من ملاحظات أستاذه الفارسي ولكنه أضاف إليها من ملاحظاته واستقصاءاته للأمثلة اللغوية وحسه الدقيق بأبنية اللغة وتصاريفها ما شخصها وجسمها تمام التجسيم، وقد مضى يستخلص قوانين كلية أخرى لم يقف عندها أستاذه، وبذلك استطاع أن يضع للتصريف اصولا على المذهب الذي سبقه إليه علماء الكلام والفقه في وضع أصولهم [1].

وهكذا فإن مؤلفاته تنم عن عقلية موسوعية تبحرت في العربية وعلومها من أصوات وتصريف ونحو ودلالة ولغة وأصول وشعر، وغيرها من فنون العربية.

أبو حسن الرِّبَعي:

هو: علي بن عيسى بن الفرج بن صالح الربعي الزُّهري الأصل، البغدادي المنشأ والدار والأديب النحوي.

وكنيته ك أبو الحسن، ولقبه: الربعي – بفتح الباء – نسبة إلى ربيعة، كما يقال في النسب إلى (حنيفة)، و(مدينة)، و(قبيلة): (حَنَفي)، و(مَدَني)، و(قَبَلي). ولد سنة ثلاثمائة وثمان وعشرين للهجرة.

كان أحد أئمة النحوين وحذاقهم الجيدي النظر، الدقيقي الفهم والقياس.

أخذ النحو في بغداد عن السيرافي، ثم رحل إلى شيراز فلازم أبا علي الفارسي عشرين سنة، وقيل: عشر سنين، حتى قال له ك ما بقي شيء تحتاج إليه ولو سرت من المشرق إلى المغرب لم تجد أعرف منك بالنحو، ثم عاد إلى بغداد، وأقام بها إلى أن مات.

وكان يحفظ الكثير من أشعار العرب مما لم يكن غيره يقوم به.

1المدارس النحوية ص 267

ولم تذكر كتب التراجم أن أحدا تتلمذ على الرعي، وتذكر أن مرد ذلك إلى أن الربعي كان مجنونا، ولذلك لم يتمكن أحد من الأخذ عنه.

قال التبريزي: قلت لابن برهان: كيف تركت الربعي، واخذت عن أصحابه مع إدراكك له ظ فقال لي ك كان مجنونا، وإنا كما ترى، فما كنا نتفق.

ولعل وفص بعضهم له بالجنون مبالغ فيه، أو ليس المراد بالجنون هنا أنه فاقد لإدراك أو الذاكرة، إذا لا يعقل أن يكون كذلك وهو على هذه الدرجة من العلم والمكانة، فيبدو أن عدم الأخذ عنه يرجع إلى أنه لم يكن يتمتع بما يتمتع يه الشيوخ من الصبر والأناة والحلم على تلاميذه والآخذين عنه.

وتروي كتب التراجم عنه أيضا أنه كان مغرما بقتل الكلاب.

وله في النحو عدة مؤلفات، منها شرح الإيضاح لأبي علي الفارسي، والبديع في لنحو، وشرح مختصر الجرمي، وشرح البلغة، والنبيه على الخطأ ابن جني في تفسير شعر المتنبي، وما جاء من لفظ على وزن (فعال).

توفي الربعي سنة أربعمائة وعشرين للهجرة في عهد القادر [1].

الثمانيني:

هو: ابو القاسم عمر بن ثابت الثمانيني الضرير لنحوي، ولقب بالثمانيني نسبة إلى ثمانين، وهي قرية من نواحي جزيرة ابن عمر عند الجبل الجودي ووهي أول قرية بنيت بعد الطوفان، وسميت بعدد الجماعة الذين خرجوا من السفينة مع نوح – عليه السلام، فإنهم كانوا ثمانين، وبنى كل واحد منهم بيتا، فسميت قرية الثمانين، وقد خرج من هذه القرية جماعة.

1انظر ترجمة في: نزهة الألباء في طبقات الأدباء لا بن الأنباري ص 341 , وإنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي 28/ 297 , وشذرات الذهب لا بن العهاد 3/ 216 , ومعجم الأدباء لياقوت 14 /278 , وبغية الوعاة للسيوطي 2 /181 , والأعلام للزركلي 4/ 318 , وهدية العارفين ص 366 , والوسيط في تاريخ النحو لعبد الكريم محمد الأسعد ص 131 .

وكان قيما بعلم نوح عارفا بقوانينه، وكان نحويا فاضلا، أخذ النحو عن أبي الفتح بن جني، وأخذ عنه الشريف أبو المعمر يحي بن محمد بن طباطبا العلوي الحسيني، وكان هو وأبو القاسم بن برهان متعارضين يقرئان الناس بالكرخ ببغداد، فكان خواص الناس يقرءون على ابن برهان، والعوام يقرءون على الثمانيني.

وتوفي في ذي القعدة سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة – رحمة الله تعالى.

ومن مصنفاته: شرح كتاب (اللمع) لابن جني، وقد شرحه شرحا تاما حسنا، أجاد فيه، وانتفع بالاشتغال عليه جمع كبير، وهو مخطوط في أربعة مجلدات.

وشرح كتاب (الملوكي في التصريف) لابن جني أيضا، وهو المشتهر بالتصريف الملوكي.

وله أيضا الفوائد والقواعد، والمقيد، وكلاهما في النحو [1].

ابن برهان:

هو: عبد الواحد بن علي بن عمر بن إسحاق بن إبراهيم بن برهان – بفتح الباء الموحدة – أبو القاسم الأسدي العكبري النحوي وصاحب العربية واللغة ولتواريخ، وايام العرب، قرأ على عبد السلام البصري ووأبي الحسن السمسمي، وكان أول أمره منجما فصار نحويا وكانت فيه شراسة على من يقرا عليه، ولم يكن يلبس سراويل، وعلى رأسه غطاء، وقد سمع من ابن بطة كثيرا، وغيره.

وكان زاهدا فعرف الناس منه ذلك، وإلا كانوا رموه بالحجارة لهيئته، وكان يتكبر على أولاد الأغنياء، وإذا رأى الطالب غريبا أقبل عليه، وكان متعصبا لأبي حنيفة، محترما بين أصحابه.

1انظر ترجمته في: وفيات الأعيان لا بن خلكان 3 /433.444 , ومعجم الأدباء لياقوت لحموي 16 /57 , وبغية الوعاة للسيوطي 217/2 والأعلام للزركلي 43/5 , وهدية العارفين للبغدادي ص 414 , والوسيط في تاريخ لنحو للدكتور / عبد الكريم محمد الأسعد ص 131 .132

ولما ورد الوزير عميد الدين إلى بغداد استحضر ابن برهان، فأعجبه كلامه، فعرض عليه مالا فلم يقبله، فأعطاه مصحفا بخط ابن البواب، وعكازة حملت إليه من الروم مليحة فأخذها، فقال له أبو علي بن الوليد المتكلم أنت تحفظ القرآن وبيدك عصا تتوكأ عليها تأخذ شيئا فيه شبهة، فنهض ابن برهان في الحال إلى قاضي القضات ابن الدمغاني، وقال له: لقد كدت أهلك حتى نبهني أبو علي بن الوليد – وهو أصغر مني سنا، وأريد أن تعيد هذه العكازة والمصحف على عميد الدين، فما يصحبانني ,فأخذهما وأعادهما إليه، وكان مع ذلك يحب المليح مشاهدة، ويحضره أولاد الأمراء والرؤساء فيقبلهم بحضرة آبائهم، ولا ينكرون عليه ذلك لعلهم بدينه وورعه.

توفي ابن برهان في جمادى الآخر سنة ست وخمسين وخمسين وأربعمائة.

وقد ذكر ابن الأنباري في نزهة الألباء أنه توفي سنة أربعمائة وخمسين للهجرة، وهذا خطا، لأن الباخرزي صاحب (دمية القصر) ذكر أنه رآه بغداد سنة اربعمائة وخمس وخمسين للهجرة، ومن مصنفاته: الاختيار في الفقه وأصوله اللغة، واللمع في النحو وهو مخطوط[1].

عبد القاهر الجرجاني:

هو: عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي أبو بكر، الإمام المشهور، واضح أصور البلاغة، كان من أئمة اللغة، ومن كبار أئمة العربية والبيان، وكان شافعيا أشعريا، أخذ النحو عن ابن أخت الفارسي، ولم يأخذ من غيره ولأنه لم يخرج عن بلده وهو منسوب إلى جرجان (بين طبرستان وخراسان)، وكان شاعرا، وله شعر رقيق، ومن شعره:

كبَّرْ على علم يا خليلي ومِلْ إلى الجهل مَيْلَ هائمْ

1انظر ترجمته في ك دمية القصر وعصرة اهل العصر 1 /235 , ونزعة الألباء ص 356 , والوافي بالوفيات 6 /277 , وبغية الوعاة 120/2 , وشذرات الذهب 3 /297 , والأعلام 176/4 , والوسيط في تاريخ النحو ص 132

وعِشْ حمارا تعش سعيدا فالسعد في طالع البهائمْ

وله مصنفات عديدة في النحو والبلاغة، ومنها: أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز، والجمل في النحو، والتتمة في النحو أيضا، والمغني في شرح الإيضاح لأبي على الفارسي، وهو ثلاثون جزءا، ثم اختصره في شرح آخر أسماه (المقتصد) وإعجاز القرآن، والعمدة في تصريف الأفعال، والعوامل المئة مات سنة أربعمائة وإحدى وسبعين للهجرة، وقيل ك سنة اربعمائة وأربع وسبعين [1].

التبريزي:

هو: يحي بن علي بن محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن بسطام الشيباني أبو زكريا ابن الخطيب التبريزي.

وذكر ياقوت أنه يقال له: الخطيب التبريزي، ولكن السيوطي عقب على ذلك بأنه وهم وبل يقال له: ابن لخطيب التبريزي.

ولد سنة إحدى وعشرين وأربعمائة.

كان أحد الأئمة في النحو واللغة والادب، حجة صدوقا ثبتا، رحل إلى الشام وأخذ عن أبي العلاء المعري، كما أخذ عن عبيد الله الرقي، والحسن بن رجاء بن الدهان، وابن برهان، والمفضل القسباني، وعبد القاهر الجرجاني وغيرهم من الأئمة.

وسمع الحديث وكتب الأدب على خلق، منهم القاضي أبو بكر الطبري، وأبو القاسم التنوخي، والخطيب البغدادي.

وقد ولي تدريس الأدب بالنظامية، كما ولي خزانة الكتب بها، وانتهت إليه الرياسة في فئة وشاع ذكره في الأقطار.

1إنباه الرواة 2/ 188 , وفوات الوفيات 1/ 297 , وبغية الوعاة 2/ 106 , والإعلام 4 /48 .494.

وقد أخذ عنه العلم موهوب الجواليقي وغيره، وروى عنه السلفي، وأبو الفضل بن ناصر.

ودخل مصرفي شبابه فتلقى عنه فيها ابن بابشاذ وغيره، عاد إلى بغداد واستوطنها إلى أن مات فيها فجأة في جمادي الأولى سنة اثنتين وخمسمائة في خلافة المستظهر بالله.

وله كتب كثيرة، منها: شرح المعلقات العشر، وثلاثة شروح لديوان الحماسة، وشرح ديوان المتنبي، وشرح ديوان أبي تمام، وشرح سَقْط الزَّند للمعرى، وشرح المفضليات، وتهذيب إصلاح المنطق لابن السكيت، وشرح الدريدية، وهو شرح لمقصورة ابن دريد، وشرح قصيدة بانت سعاد، والكافي في العروض والقوافي، وكتاب غريب القرآن.

ومنها في النحو والصرف: مقدمة، وشرح اللمع لا بن جني.

وكان شاعرا ومن شعره:

فَمَنْ يَسْأَمْ من الأسفار يوما فإني قد سئمتُ من المُقامِ

أقمنا بالعراق على رجال لئام ينتمون إلى لئامِ[1]

الزمخشري:

هو: أبو محمود بن عمر جار الله الزمخشري، ولد بزمخشر – وهي قوية بخوارزم نسب إليه – سنة أربعمائة وسبع وستين للهجرة، وقد لقب بجار الله لمجاورته في مكة طويلة نشط فيها لتصنيف تفسيره المسمى: "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"، ودرس فيها حينئذ كتاب سيبويه على أحد علماء الأندلس النابهين.

وكان واسع العلم وكثير الفضل، غاية في الذكاء وجودة القريحة، متفننا في كل علم، معتزليا قويا في مذهبه مجاهرا به حنفيا.

1انظر ترجمته في : نزهة للأنباري ص 372 , وشذرات الذهب لا بن العماد 4 /5 , ومعجم الأدباء لياقوت 20 /25 , وبغية الوعاة للسيوطي 2/ 338 , والوسيط وتاريخ النحو د / عبد الكريم محمد الأسعد ص 132 .

ورد بغداد غير مرة، وأخذ الأدب عن أبي الحسن علي بن المظفر النيسابوري، وأبي مضر الأصبهاني، وسمع من أبي سعد الشفاني، وشيخ الإسلام أبي منصور الحارثي وجماعة وثم عاد إلى موطنه (زمخشر) وشهرته قد ملأت الآفاق، والطلاب يفدون عليه من كل صوب وحدب يأخذون عنه معجبين مُكبرين.

وقد أقبل منذ نعومة أظفاره على العلوم اللغوية والدينية، ورحل في سبيل طلب العلم إلى بخارى وإلى بغداد ومكة، وقد جاور فيها حقبة من الزمن كما سبق، وكان الزمخشري إمام عصره في النحو، يعد في ساقه المتقدمين، وأول المتأخرين من النحاة، وقد صنف في اللغة والأدب والعروض والنحو مصنفات كثير ويعد تفسيره الكشاف تفسيرا لغويا نحويا بلاغيا للقرآن الكريم فضلا عن كونه تفسيرا دينيا دلاليا، وهو من أشهر مصنفاته، ومن مصنفاته النحوية: (الأنموذج في الحو)، و(الأحاجي النحوية)، و(المفصل) في علم العربية، وعني بصنع حاشية له وقد عني بشرحه كثير من النحاة، ولعل أوفى شرح له هو شرح ابن يعيش، حيث شرحه في عشر أجزاء، وقد جعله في أربعة أقسام: قسم للأسماء تحدث فيه عن المرفوعات والمنصوبات والمجرورات والنسب والتصغير والمشتقات، وقسم للأفعال وضروبها وأنواعها المختلفة، وقسم للحروف وأصنافها من حروف عطف وغير حروف عطف، وقسم للمشترك أراد به الإمالة والزيادة والوقف والإبدال والإعلام والإدغام.

ومن مصنفاته أيضا: معجم لغوية اسمه (أساس البلاغة)، (والفائق في غريب الحديث)، و(المقامات)، و(والمستقصي في الأمثال)، و(ربيع الأبرار)، و(أطواق الذهب)، و(صميم العربية)، و(شرح أبيات الكتاب) ,و (الرائض في الفرائض)، و(شحر بعض مشكلات المفصل) و(والكلم النوابغ)، و(والقسطاس في العروض)، و(أسماء الأودية والجبال)، و(المفرد المؤلف)، و(أعجب العجب في شرح لامية العرب) – وهو مطبوع.

وقد ابتلي الزمخشري بقطع رجله، إذا أصابها خراج، وصنعوا له عوضا عنها رجلا من خشب وكان إذا مشى ألقى عليها ثيابه الطوال وفيظن من يراه أنه ليس مقطوع الرجل، وإنما

هو أعرج، وبعد هذا العمر الذي قضاه متعلما ومعلما توفي يوم عرفة في زمخشر بعد عودته من مكة سنة خمسمائة وثمان وثلاثين للهجرة [1].

ابن الشجري:

هو: الشريف أبو السعادات هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة العلوي الحسني المعروف باين الشجري ونسبة إلى شجرة، وهي قرية من أعمال المدينة، كان أو حد زمانه في معرفة اللغة وأشعار العرب وأيامها وأحوالها، ولكنه لم يكن في النحو كذلك، وكان حسن البيان حلو الألفاظ، وكان معرفته بالنحو أدنى من معرفته بالأدب وأيام العرب، فقد حكى يوما قول المبرد في بناء (حذامِ) و(قطامِ) إنه اجتمع فيه ثلاث علل، هي ك التعريف، والتأنيث والعدل إلا البناء، فقال له تلميذه الأنباري: هذا التعليل ينتقص بقولهم ك (أذرْبيجان)، فإن فيه أكثر من ثلاث علل، ومع هذا فليس بمبني وبل هو معرب غير منصرف وفقال ابن الشجري: هكذا قيل.

ولكن بعض المراجع تذكر أنه كان أحد أئمة النحاة له معرفة تامة باللغة والنحو، وتشهد له بذلك تصانيفه في النحو، كان فصيحا، حلو الكلام، حسن البيان والإفهام.

قرأ الحديث بنفسه عن جماعة ومنهم ك أبو الحسن المبارك بن عبد الجبار بن أحمد القاسم الصيرفي، وعلى محمد بن سعيد بن سهل الكاتب ووغيرهما. وقرأ النحو واللغة على أبي المعمر بن طباطبا العلوي وابن فضال المجاشعي ووأبي جعفر سعيد بن علي السلالي الكوفي، وأبي زكريا التبريزي، و قرأ عليه الشيخ تاج الدين أبو اليمن الكندي، والأنباري صاحب نزهة الألباء.

و من مصنفاته (الأمالي) أملاه في أربعة وثمانين مجلسا، وهو أكبر مؤلفاته، وأكثرها إفادة لاشتماله على فنون من الآداب، وهو مطبوع في جزأين، ثم حققه الدكتور / محمود

1انظر ترجمته في: نزهة الألباء للأنباري ص 391 , وإنباه الرواة للقفطي 3 /265 , وشذرات الذهب لابن العماد 4/ 118 , ومعجم الأدباء لياقوت 19/ 126 , وبغية الوعاة 2/ 279 , 280 , والمدارس النحوية د/ شوقي ضيف ص 283 , والوسيط في تاريخ النحو ص 133 /134 .

الطناحي – رحمه الله تعالى – في ثلاثة أجزاء، وقد التمس من ابن الخشاب أن يسمعه فما أجابه وعاداه، فلما أتيحت له فرصة الاطلاع عليه خطأه في كثير مما فيه، فأحنق ذلك ابن الشجري ونهض للرد عليه، وألف في ذلك كتابه (الانتصار).

ومن مؤلفاته أيضا ك (الحماسة) ضاهي به حماسة ابي تمام، وه ç و مطبوع، وله ايضا ديوان مختارات الشعراء، وهو مطبوع أيضا، وله ديوان شعر مطبوع، وكتاب (ما اتفق لفظه واختلف معناه)، و(شرح التصريف الملوكي) وكلاهما لابن جني.

ولد ابن الشجري سنة أربعمائة وخمسين للهجرة، وكانت وفاته ببغداد سنة خمسمائة واثنتين وأربعين للهجرة في خلافة المقتفي ودفن في داره بالكرْخ [1].

ابن الخشاب:

هو: عبد الله بن أحمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر بن الخشاب أبو محمد النحوي وكان أعلم أهل زمانه بالنحو، حتى يقال ك إنه كان في درجة الفارسي، وكانت له معرفة بالحديث والتفسير واللغة والمنطق والفلسفة والحساب والهندسة، وما من علم من علوم إلا وكانت لع فيه يد حسنة.

قرأ الأدب على أبي منصور الجواليقي وغيره وتعلم الحساب والهندسة على أبي بكر بن عبد الباقي الأنصاري وتعلم الفرائض على أبي بكر المرزوقي، وسمع الحديث من أبي الغنام النرسي ووأبي القاسم بن حصين، وأبي العز بن كادش وجماعة، وأخذ النحو عن ابن الشجري وغيره وكان حسن خط، ولم يزل يقرأ حتى على أقرانه، وقرأ العالي والنازل وحصل كتبا كثيرة جدا وقرأ عليه الناس، وانتفعوا به، وتخرج به جماعة، وروى كثيرا من الحديث.

1انظر ترجمته في: الوافي بالوفيات 7 / 397 , 398 , ونزهة الألباء للأنباري ص 404 , وإنباه الرواة للقفطي 3 /356 , وشذرات الذهب لابن العماد 4/ 132 , ومعجم الأدباء لياقوت 19 /182 , وبغية الوعاة 2/ 324 , والأعلام للزركلي 8/ 74 , والوسيط في تاريخ النحو ص 134

وقد سمع منه ابو سعد السمعاني وأبو أحمد بن سكينة وأبو محمد بن الأخضر، وكان ثقة في الحديث صدوقا نبيلا حجة إلا أنه لم يكن في دينه بذاك، وكان بخيلا مبتذلا في ملبسه وعيشه، قليل المبالات بحفظ ناموس العلم، يلعب الشطرنج مع العوام على قارعة الطريق، وكان يتعمم بالعمامة فتبقى مدة على حالها حتى تسود مما يلي رأسه وتتقطع من الوسخ وولم يتزوج ولم يتسرى ,و ومن مصنفاته: شرح الجمل للجرجاني وقد أيماه ك (المرتجل في شرح الجمل)، وقيل: هو جمل الزجاجي، والرد على التبريزي في تهذيب الإصلاح ,وشرح مقدمة الوزير ابن هبيرة في النحو ويقال إنه وصله عليها بألف دينار ونقد المقامات الحريرية وهو مطبوع.

ولد ببغداد سنة أربعمائة واثنتين وتسعين للهجرة، وكانت وفاته ببغداد ايضا سنة خمسمائة وسبع وستين، وقد وقف كتبه قبيل موته علىأهل العلم، ورئى بعد موته بمدة في النوم على هيئة حسنة، فقيل له: ما فعل الله بك ؟ قال غفر لي، قيل ودخلت الجنة ؟ قال: نعم إلا أن الله أعرض عني، قيل وأعرض عنك ؟ قال: نعم، وعن كثير من العلماء ممن لا يعمل [1].

ملك النحاة:

هو: الحسن بن صافي بن عبد الله بن نزار بن أبي الحسن أبو نزار الملقب ب (ملك النحاة). ولد سنة اربعمائة وتسع وثمانين للهجرة، كان والده مولى حسين الأرموي التاجر وكان مولده بشارع الرقيق ببغدادإلى الجانب الشرقي وأخذ النحو عن الفصيح حتى برع فيه، ودرس النحو في الجامع، ثم سافر إلى خراسان وكرمان وغزنة وعاد إلى الشام واستوطن دمشق إلى أن مات.

وكان من أئمة النحاة، غزير الفضل، متفننا في العلوم، كما كان صحيح الاعتقاد وكريم النفس ومطبوعا متناسب الأحوال يحكم على أهل التمييز بحكم ملكه، فيقبل ولا

1انظر ترجمته في ك إنباه الرواة 2/ 99 , ومعجم الأدباء لياقوت 12 /47 , وبغية الوعاة 2/ 29 , والأعلام 4/ 67 , والوسيط في تاريخ النحو – / عبد الكريم الاسعد ص 1134 و 135 .

يستثقل، فيقول ك هل سيبوبه إلا من رعيتي وحاشيتي، ولو عاش ابن جني لم يسعه إلا حمل غاشيتي.

وهو الذي لقب نفسه بملك النحاة، وكان يغضب على من لم يسمه ب (ملك النحاة).

ومن مصنفاته: (الحاوي)، و(العمدة)، هما في النحو، و(المقتصد في التصريف)، و(العروض)، و(التذكرة السفرية)، و(الحاكم في الفقه)، و(المقامات)، وديوان الشعر، و(المنتخب)، و(المسائل العشر المتبعات إلى الحشر)، وكان شاعرا وأديبا، توفي بدمشق سنة خمسمائة وثمان وستين للهجرة.

وقد رئي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: أنشدته قصيدة ما في الجنة مثلها، وهي:

يا هذه أقصري عن العذلِ فلستِفي الحل ويك من قِبلِ

يا رب ها قد أتيت معترفا بما جنته يداي من زللِ

ملآنِ كفٍّ بكل مأثمة صفر يد من محاسن العملِ

فكيف أخشى نارا مسعرة وأنت يا رب في القيامة لي

قال: فو الله منذ فرغت من إنشادها ما سمعت حسيس النار [1].

ابن الدهان:

هو: أبو محمد سعيد بن المبارك بن علي بن عبد الله المولود ببغداد سنة أربعمائة وثلاث وتسعين للهجرة أو أربعمائة وأرع وتسعين، الملقب ب (ابن الدهان النحوي)، كان من أعيان النحاة المشهورين بالفضل ومعرفة العربية، وكان سيبويه عصره، وكان يقال حينئذ: النحويين ببغداد أربعة: ابن لجواليقي، وابن الشجري، وابن الخشاب، وابن الدهان.

1إبناه الرواة 1/ 305 , وشذرات الذهب 4 /227 , ومعجم الأدباء 8/ 122 , وبغية الوعة 1 م 504 , والوسيط في تاريخ النحو ص 135

وقد سمع الحديث من أبي القاسم هبة الله محمد بن الحصين وأبي غالب أحمد بن البناء وجماعة.

ومن مصنفاته ك شرح الإيضاح في ارعين مجلدا، وشرح اللمع لابن جني في عدة مجلدات، والدروس في النحو، والرياضة في النكت النحوية والفصول في النحو، والدروس في العروض، والمختصر في القوافي، الضاد والظاء، وتفسير القرآن والأضداد، والعقود في المقصور والممدود، والنكت والإشارات على ألسنة الحيوانات، وإزالة المراء في شرح العين والراء، وتفسير سورة الإخلاص، و ديوان شعر، ومن شعره :

لا تحسبنْ انَّ بالكتب مثلنا سنصيرُ***فللدجاجة ريش لكنها لا تطيرُ

وتوفي بالموصل ليلة عيد الفطر سنة خمسمائة وتسع وستين للهجرة [1].

أبو البركان الأنباري:

هو: عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد الإمام أبو البركات الأنباري النحوي.

ولد سنة خمسمائة وثلاث عشر للهجرة، قدم بغداد في صباه، وأخذ الفقه عن سعيد بن الرزاز حتى برع فيه، وكان مدرسا بالمدرسة النظامية، وكانت له مجالس وعظ، ثم قرأ الأدب على أبي منصور الجواليقي، ولازم ابن الشجري آخذا عنه النحو واللغة حتى برعا فيهما، وصار من المشار إليهما في النحو، وقد سمع بالأنبار من أبيه، وببغداد من عبد الوهاب الأنماطي، وحدث باليسير، لكنه روى الكثير من كتب الأدب ومن مصنفاته.

وقد أخذ عنه العلم جماعة، وكان إمام ثقة صدوقا وفقيها مناظرا، غزير العلم في اللغة والأدب وتاريخ الرجال، ورعا زاهدا عابدا عفيفا لا يقبل من أحد شيئا وخشن العيش والمأكل، لم يتلبس من الدنيا بشيء، ودخل الأندلس فذكره ابن الزبير في الصلة.

1انظر: ترجمته في: إنباه الرواة 2/ 47 , وشذرات الذهب 4 /233 , ومعجم الأدباء 11/ 219 , وبغية الوعاة 1/ 587 , والوسيط في تاريخ النحو ص 136.

وله مؤلفات كثيرة في شتى العلوم والفنون، منها كتابان درس فيهما أوجه الخلاف بين البصريين والكوفيين، وهما: (الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين) الذي نشره (فايل) لأول مرة، و(أسرار العربية) المنشور بدمشق، ولاحظ (فايل) أنه ينزع في أولهما نزعة بصرية واضحة، وهي نزعة استمدها من أبي علي الفارسي ومنهجه، وقد وقف مع البصريين في جمهور المسائل التي أحصاها ورجح –كما لا حظ (فايل) – مذهب الكوفيين في سبع مسائل هي: العاشرة، والثامنة عشرة، والسادسة والعشرون، والسبعون، والسابعة والتسعون، والواحدة والسادسة بعد المائة.

ومنها: لمع الأدلة في أصول النحو، وقد نشر معه: الإغراب في الجدل الإعراب، وله أيضا: البيان في غريب إعراب القرآن، وحواشي الإيضاح والأضداد، والنوادر والبلغة في المذكر والمؤنث، ونزهة الألباب في طبقات الأدباء والميزان العربية، ومسألة دخول الشرط على الشرط وتصرفات (لو)، وحلية العربية، وتاريخ الأنباء، هداية الذاهب في معرفة المذاهب، وبداية الهداية، والداعي إلى الإسلام في علم الكلام، والنور اللائح في اعتقاد السلف الصالح، واللباب المختصر، ومنثور العقود في تجريد الحدود، والتنقيح في مسلك الترجيح، والجمل في علم الجدل والاختصار في الكلام على ألفاظ تدور بين النظار، ونجدة السؤال في عمدة السؤال، وعقود الإعراب، ومنثور الفوائد ,ومفتاح المذاكرة وكتاب (كلا وكلتا)، وكتاب (كيف)، وكتاب الألف واللام وكتاب في (يعفون)، وشفاء السائل في بيان رتبة الفاعل، والوجيز في التصريف، والبيان في جمع أفعل اخف الأوزان، والمرتجل في إبطال تعريف الجمل، وجلاء الأوهام وجلاء الأفهام في متعلق الظرف في قوله تعالى :"أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم "[1]، ورتبة الإنسانية في المسائل الخرسانية، ومقترح السائل في (ويل أمه)، والزهرة في اللغة، والأسمى في شرح الأسماء وكتاب حيص بيص، وحلية العقود في الفرق بين المقصور والممدود، وديوان اللغة، وزينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء، و(فَعَلتُ وأفعلتُ)، والألفاظ الجارية على لسان الجارية، وقبسة الأديب في اسماء

1البقرة : 187

الذيب، والفائق في اسماء المائق، والبلغة في اساليب اللغة، وقبسة الطالب في شرح خطبة أدب الكاتب، تفسير غريب المقامات الحريرية وشرح ديوان المتنبي، وشرح الحماسة، وشرح السبع الطوال، وشرح مقصورة ابن دريد، والمقبوض في العروض، وشرحه، والموجز في القوافي، واللمعة في صنعة الشعر، والجوهرة في نسب النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه العشرة – رضي الله عنهم، ونكت المجالس في الوعظ، وأصول الفصول في التصوف، والتفريد في كلمة التوحيد، ونقد الوقت، وبغية الوارد، ونسمة العبير في التعبير.

وكثير من هذه المصنفات مطبوع وذائع الصيت.

وكان له شعر حسن، ومن شعره:

إذا ذكرْتُكَ كاد الشوق يقتلني وأرقتنيَ أحزانٌ وأوجاعُ

وصار كلي قلوبنا فيك داميةً للسقم فيها وللآلام إسراعُ

فإن نطقتُ فكلي فيك ألسنةٌ وإن سمعتُ فكلي فيك أسماعُ

وتوفي الأنباري ليلة الجمعة تاسع شعبان سنة سبع وسبعين وخمسمائة، ودفن بباب أبرز بتربة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي [1].

المطرزي:

هو: ناصر بن عبد السيد بن علي بن المطرز ابو الفتح النحوي الأديب المشهور بالمطرزي، والمشهور أيضا بصدر الأفاضل، ولد في رجب سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة في خوارزم، وقد نشأ بها وقرأ على الموفق خطيب خوارزم، وذكر السيوطي أنه قرأ على

1انظر ترجمته في : إنباه الرواة 2/ 169 , وشذرات الذهب لابن العماد 4/ 258 , وبغية الوعاة للسيوطي 2 /86 , ووفيات الأعيان لابن خلكان 3/ 139 , والمدارس النحوية د /شوقي ضيف , ص 278 , والوسيط في تاريخ النحو د /عبد الكريم محمد الأسعد ص 137 ,138

الزمخشري، وهو غلط، لأن الزمخشري مات سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة، وهذا هو تاريخ ولادة المطرزي، فكيف يقرأ عليه؟.

وربما التبس الأمر على السيوطي حيث كان المطرزي معتزليا كالزمخشري حتى إنهم كانوا يطلقون عليه خليفة الزمخشري، فضلا عن اقتدائه بالزمخشري في براعته في النحو واللغة، كما كان له معرفة تامة بالشعر وأنواع الأدب، وكان المطرزي حنفي المذهب، حيث برع أيضا في الفقه الحنفي، وللمطرزي مصنفات كثيرة منها ك شرح المقامات، والمعرب في لغة الفقه، والمُغْرب في شرح المعرب، والاقتناع في اللغة ,و مختصر المصباح في النحو، ومقدمة في النحو مشهورة بالمطرزية، ومختصر الإصلاح لابن السكيت، وتوفي المطرزي بخوارزم في يوم الثلاثاء الحادي عشر من جمادى الاولى سنة عشر وستمائة.

ومن شعره:

وزَنْدُ ندى فواضله وُرِيٌّ وزندُ رُبي خواضله نضيرُ

ودرٌّ خلالِه أبدا ثمينٌ ودُرٌّ نواله أبدا غزيرُ[1].

أبو البقاء العكبري:

هو :عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن الحسين الإمام محب الدين أبو البقاء العكبري البغدادي الضرير النحوي الحنبلي، ولد في أوائل سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة للهجرة ببغداد، وقد لقب بالعكبري لأن أصله من عكبرا، برع في عدة علوم لغوية وإسلامية كما برع في الحساب والقراءات، فقرأ بالروايات على أبي الحسن البطائحي، وأخذ الفقه الحنبلي عن القاضي أبي يعيل الفراء، ولازمه حتى برع في المذهب الحنبلي، والخلاف، والأصول، وقد تشبث بالمذهب الحنبلي، وتعصب له، حتى إن جماعة من الشافعية سألوه أن ينتقل بالمذهب الحنبلي، وتعصب له، حتى إن جماعة من الشافعية سألوه أن ينتقل إلى مذهب الشافعي

1انظر ترجمته في : إنباه الرواة 3 / 393 , ووفيات الأعيان 5/ 366 , ومعجم الأدباء 19 / 212 , وبغية الوعاة 2 /311 , والوسيط في تاريخ النحو ص 138

ويعطوه تدريس النحو بالنظامية، فقال ك لو أقمتموني وصببتم علي الذهب حتى واريتموني ما رجعت عن مذهبي.

كما أخذ النحو واللغة عن يحي بن نجاح، وابن الخشاب، حتى حاز قصب السبق، وصار فيهما من الرؤساء المتقدمين، وحتى لم يكن في أواخر حياته من معاصريه من يضارعه فيهما، وقصده الناس من الأقطار، وأقرأ النحو واللغة والمذهب والخلاف والفرائض والحساب وسمع الحديث من أبي الفتح بن البطي، وأبي زرعة المقدسي، وخلق.

وكان ثقة صدوقا غزير الفضل كامل الأوصاف، كثير المحفوظ، دينا، حسن الأخلاق، متواضعا، وله تردد إلى الرؤساء لتعليم الأدب، وقد فقد بصره بسبب إصابته بالجُدَرِيّ، ولم يمنعه ذلك من التأليف والتصنيف، فكان إذا أراد التصنيف أحضرت إليه مصنفات ذلك الفن، وقرئت عليه، فإذا حصل ما يريده في خاطره أملاه على تلاميذه، وكان لا تمضي عليه ساعة من ليل أو نهار إلا في العلم وله مصنفات كثيرة في شتى العلوم والفنون، منها ك التبيان في إعراب القرآن، وهو المسمى: إملاء ما مَنَّ به الرحمن، وإعراب الحديث، وإعراب الشواذ، والتفسير، والتبيين في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، واللباب في علل الإعراب والبناء، والترصيف في التصريف، وشرح ديوان المتنبي ,وشرح المقامات الحريرية، والاستيعاب في علم الحساب، وشرح إيضاح أبي عي الفارسي، وشرح لمع ابن جني، والمحصل في شرح المفصل للزمخشري، وترتيب إصلاح المنطق على حروف المعجم، والإشارة والتلخيص والتلقين والتهذيب – والأربعة في النحو، وشرح أبيات الكتاب، ولباب الكتاب، وشرح الفصيح، وشرح الحماسة، وشرح خطب ابن نُباتة، وشرح التكملة، وله في الفرائض الناهض والبلغة والتلخيص.

وله شعر صرح به الوزير ابن مهدي، ولم يقل غيره:

بك أضحى جِيدُ الزمان مُحلَّى بعد أن كان من حلاه مخلَّى

لا يجاريك في نِجارَيْكَ خلقٌ أنت أعلى قدرا وأعلى مَحَلَّى

دمت تحي م قد أميت من الفض ل وتنفي فقرا وتطرد مَحْلا

توفي العكبري ليلة الأحد ثامن ربيع الآخر سنة عشرة وستمائة [1].

ابن الخباز:

هو: شمس الدين أبو عبد الله أحمد بن الحسين بن أحمد بن معالي بن منصور بن علي الإربليّ الموصلي الضرير، ولد ونشأ بإربل، وتلقى العلم بالموصل، كان أستاذا بارعا، وعلامة زمانه في اللغة والنحو والفقه والفرائض والعروض، وله مصنفات مفيدة، منها: شرح الإيضاح وشرح الجزولية، والكفاية، والنهاية في النحو، وشرح ألفية ابن معط، توفي بالموصل سنة ستمائة وسبع وثلاثين للهجرة [2]، وقيل: ستمائة وتسع وثلاثين [3].

ابن إياز:

هو جمال الدين أبو محمد الحسين الحسين بن بدر بن إياز بن عبد الله، نشأ ببغداد، وقرأ على تاج الدين الأرموي وقرأ عليه التاج بن السباك، كما قرا النحو أيضا على سعد بن أحمد البياني، وسمع من ابن القبيطي جزءا ولم يحدث به، وأجاز على سعد بن أحمد البياني، وسمع من ابن القبيطي جزءا ولم يحدث به، وأجاز له الشيوخ ,كان دمث الأخلاق، وكان أو حد زمانه في النحو والتصريف، ولي مشيخة النحو بالمستنصرية، قال عنه أبو حيان : ابن إياز أبو التعاليل، وقال عنه ابن مكتوم: لم أطلع له على غوامض في النحو، وقال عنه الشرف الدمياطي: رأيته شابا في زي أولاد الأجناد يقرأ النحو على السعد بن أحمد البياني.

1انظر ترجمته في : وفيات الأعيان لا بن خلكان 3 /394 , و إنباه الرواة للقفطي 2/ 116 , وشذرات الذهب لابن العماد 5/ 67 , والبغية 2/ 38 , والوسيط ص 139 .

2بغية الوعاة 1 /304 , وحاشية الصبان 3/ 74 , والوسيط ص 140

3نكت الهميان ص 96.

ومن مؤلفاته: المحصول في شرح الفصول، وهو شرح فصول ابن معط، والإسعاف في مسائل الخلاف، وقواعد المطارحة، وشرح الضروري لابن مالك وتوفي ببغداد سنة ستمائة وإحدى وثمانين للهجرة [1].

الرضي:

هو: محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، ولقبه نجم الأمة، عالم بالعربية، أصله من استراباذ – بلد من اعمال (طَبَرِستان)، هجر بلاد المشرق وأقام بالمدينة المنورة، وألف شرحه على الكافية ابن الحاجب في النحو، وقد فرغ غمن شرح الكافية سنة ستمائة وثلاث وثمانين للهجرة، وقد وضف شرحالكافية بأنها لم يؤلف عليها –بل ولا في غالب كتب النحو – مثلها جمعا وتحقيقا وحسن تعليل، وقد أكب الناس عليه، وتداولوه، واعتمده شيوخ العصر في مصنفاته ودروسهم، وله فيه أبحاث كثيرة مع النحاة، واختيارات جمة ومذاهب ينفرد بها أيضا شرح على شافية ابن الحاجب في الصرف، وهذان الكتابان يعدان أعظم آثاره، وبهما اصبح إماما تِعْلامة في النحو والصرف، وحجة عصره فيهما غير منازع وفهما لم يتركا شيئا من العلمين إلا أوفياه حقه، كشفا النقاب عن سره، وعلى الرغم من مكانة الرضي العلمية وذيوع أمره، فإن كتب التراجم لم تسعفنا بكشف النقاب عن مولده ونشأته وحياته ومؤلفاته ووفاته، ويقول السيوطي :" ولم أقف اسمه ولا على شيء من ترجمته إلا أنه فرغ من تأليف هذا الشرح سنة ثلاث وثمانين وستمائة " وقد اختلفوا في سنة وفاته، فقيل: سنة ستمائة وثمانين للهجرة، وقيل سنة ستمائة وست وثمانين [2].

الجامي:

هو: أبو ضياء الدين عبد الرحمن بن أحمد الجامي، ولد في إحدى قرى جام – ولاية بخراسان – وانتقل مع والده صغيرا إلى هراة، فشب معلوفا بالجامي، ثم توجه إلى سمر قند،

1بغية الوعاة للسيوطي 1 /532 , ونشأة النحو ص 141 , والوسيط ص 140 , و الأعلام 234/2 .

2انظر ترجمته في ك بغية الوعاة 1/ 567 , 568 , والمدارس النحوية د /شوقبي ضفي ص 281 , وما بعدها والوسيط ص 140 , 141

وسافر للحج، للحج، ثم عاد إلى هراة، وأقام فيها واشتغل بالعلوم الشرعية والعقلية فأتقنها وخلف مؤلفات شتى في مختلف الفنون، ومن آثاره النحوية: شرحه على كافية ابن الحاجب ووسماه: (الفوائد الضيائية) نسبة إلى ولده ضياء الدين، وهو شرح صغير الحجم لكنه كبير الفائدة ووقد نقل فيه كثيرا عن شرح الرضي الأستراباذي للكافية مع عزو النقل إليه، وعُني العلماء بهذا الشرح، فعليه حاشية لمحرم لم يكملها فأكلمها فأكملها الأنصاري، وهو غير ابن هشام الأنصاري المشهور المتوفي في سنة سبعمائة وإحدى وستتي للهجرة، بل وفاة الجامي بعده بأكثر من قرن، وحاشية الأسنوي، وحاشية لعصام الدين الاسفراييني، وحاشية لمحمد عصمة الله، وللجامي أيضا كتب بالفارسية، وتوفي بهراة في سنة ثمانمائة وثمان وتسعين للهجرة [1].

*** *** *** *** ***

المحاضرة الحادية عشر:

الاختلاف النحوي بين مدارس النحو 1 (المشرق)

من الواجب أن نفتتح الموضوع بما يلي:

- لغة: جاء في المعاجم: "...، وخالفته مخالفة، وخلافا، وتخالف القوم واختلفوا إذا ذهب كل واحد إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر وهو ضد الاتفاق،إذا فالاختلاف في اللغة هو نقيض الاتفاق [(2)].
- اصطلاحا:الخلاف منازعة تجري بين المتعارضين لتحقيق حق أو لإبطال باطل"[(3)]

والتعريفان يكادان يتحدان؛ فاللغوييركز على انقسام فريقين كل بمذهبه، وأما الاصطلاحي فمبناه على أن الخلاف هو انقسام فريقين في أمر سعيا إلى البرهنة على أنه الأصح فيه. وهذه هي حال المدارس النحوية؛ فكل مدرسة أو كل مذهب يدعي الصواب لرأيه ويدعمه بتعليلات وحجج.

1انظر ترجمته في: شذرات الذهب لابن العماد 7 /360 , والوسيط ص 142 , ونشأة النحو للشيخ الطنطاوي ص 153 .

(2) لسان العرب (خلف).

(3) التعريفات للجرجاني ص 108.

ووجوه الاختلاف أهمها:

1- اختلاف في التحديدات؛ أي على معنى أن الاختلاف كان في تعريف الموضوع لا في الموضوع نفسه).

2- اختلاف في المصطلح: (بمعنى أن الاختلاف في التسمية العلمية للمفاهيم).

3- اختلاف في المنهج: (وهو المتعلق بتباين طرائق الدرس اللغوي في دراسة المواضيع النحوية).

4- اختلاف في التوجيه النحوي للقراءات القرآنية و الأشعار: (التأويل النحوي).

- أولا: اختلاف في المصطلح: ومنه:

- اشتقاق الاسم:

ذهب البصريون إلى أن الاسم مشتق من (السموّ) أي الارتفاع، وذهب الكوفيون إلى أنه مشتق من (الوسم)؛ أي العلامة، قال الأنباري: " ذهب الكوفيون إلى أن الاسم مشتق من الوسم وهو العلامة وذهب البصريون إلى أنه مشتق من السمو وهو العلو"[1]

ونفهم منه أن الفريقين يتفقان في مصطلح (الاسم) ويفترقان في تحديده واشتقاقه.

- أصل الاشتقاق أهو الفعل أو المصدر؟

مذهب الكوفيين أن الفعل هو الأصل في الاشتقاق ودليلهم أنه يكون البدء به فيقال: نصر نصرا، وذهب ذهابا، ومذهب البصريين أن المصدر هو الأصل في الاشتقاق، واستدلوا بأن المصدر يفهم من لفظه أنه منه الصدور، قال الأنباري: "وذهب الكوفيون إلى أن المصدر مشتق من الفعل وفرع عليه، نحو: ضرب ضربا وقام قياما، وذهب البصريون إلى أنّ الفعل مشتق من المصدر وفرع عنه، وقالوا أن المصدر إنما سميّ مصدرا لصدور الفعل عنه"[2]

وبه ننتهي إلى أن المدرستين متفقتان على التسمية في كل من الفعل والمصدر وإن اختلفتا في تحديد الأصالة والفرعية.

- الاختلاف في (نعم) و (بئس) فعلان هما أم اسمان؟

ذهب الكوفيون إلى الاسمية في نعم وبئس، وأنهما يعربان مبتدئين، في حين ذهب البصريون إلى الفعلية، وأنهما فعلان ماضيان جامدان، واستدل الأولون الاسمية بقبولهما دخول حرف

---

(1) الإنصاف في مسائل الخلاف، 32/1.

(2) الإنصاف 35/1.

الخفض عليهما، ودليل البصريين على الفعلية بأنهما يقبلان تاء التأنيث الساكنة وهي من علامات الأفعال"[1]

ثانيا: اختلاف في المصطلح:

المصطلح من أبرز وجوه الاختلاف بين المدرستين:

المصطلح البصري	ما يقابله في المصطلح الكوفي
الحشو	الصلة
ضمير الفصل	العماد
الإثبات	الإقرار
التوكيد	التشديد
لا النافية للجنس	لا التبرئة
الجامد	الاسم الثابت
ضمير الشأن	المجهول
اسم الفاعل	الفعل الدام
ينصرف و لا ينصرف	يجري و لا يجري
المضارع	المستقبل
النداء	الدعاء

هذا ولقد وقف الدكتور شوقي ضيف عند عينة من الخلاف في المصطلح النحوي نذكر منه مايلي:**[172]**

المصطلح البصري	المصطلح الكوفي
الضمير	الكناية
المفعول فيه، معه، لأجله، المطلق	أشباه مفاعيل
البدل	الترجمة
الظرف	الصفة والمحل

(1) أصول النحو العربي، محمود نحلة، ص 123.

التمييز	التفسير
حروف النفي	حروف الجحد
لام الابتداء	لام القسم

ثالثا: اختلاف في المنهج:

أولا: السماع أو النقل:

لقد مرّ بنا من قبل اختلاف المدرستين في المنهج ومن ذلك اختلافهما في السماع أي (النقل) إذ يتشدد البصريون في جمع اللغة التي يتخذونها شواهد لقواعدهم النحوية ولذلك توغلوا في البادية وسمعوا عن العرب الخلص ووقفوا موقفا حازما من اللغة الشاذة وتعاملوا معها تحت قاعدة: (الشاذ يؤخذ ولا يقاس عليه) بمعنى أنهم لا يرفضون الشاذ رفضا مطلقا ولكنهم لا يتخذونه مرجعا لبناء آرائهم النحوية. وفي المقابل نجد الكوفيين قد نقلوا عن أهل الحضر وأهل البادية كما سمعوا عن القبائل التي كانت على تخوم الأعاجم.

ثانيا: القياس:

وإذا تعلق الأمر بالقياس، فإنّ البصريين لا يقيسون إلا على المطّرد من كلام العرب ونجدهم يتحرّجون كثيرا من القياس على الشاذ بله على غير المسموع. في حين كان الكوفيون يقيسون على الشاذ وعلى البيت الواحد بل ويقيسون على غير المسموع من اللغة أصلا.

ثالثا: التعليل:

وأما التعليل فلقد علمنا فيما سبق أن البصريين في تعليلاتهم يصدرون من اللغة ذاتها ويحتجون لآرائهم بما فهموه من دقة الواضع العربي وعبقريته، لكنّ الكوفيين في تعليلاتهم كانوا يقحمون ما لا علاقة له باللغة من فلسفة ومنطق وغيرهما.

و لكيلا يبقى ما ذهبنا إليه مجرد افتراضات سنورد و بشكل مختصر أمثلة لما كنا قد أوردناه من اختلاف بين المدرستين فيمايلي:

– استدلّ الدكتور شوقي ضيف على اتساع الكوفيين في السماع بما يعرف بـــ (المسألة الزنبورية) والتي جرت بين سيبويه البصري والكسائي الكوفي... وسيبويه لا يقبل غير ضمير الرفع المنفصل في المقولة: (كنت أظنّ أنّ العقرب أشدّ لسعا من الزنبور فإذا هو هي).

ويرفض بالمطلق ضمير النصب المنفصل: (فإذا هو إياها). والسماع يؤيد رأيه وفي طليعة السماع القرآن الكريم:

قال الله تعالى:﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (الأنبياء 97).

وأما الكسائي فيقبل ضمير النصب المنفصل: (فإذا هو إياها). وحجته لغة أعراب الحطمة الذين يصفهم شوقي ضيف بأنهم ليسوا فصحاء و لا سكان بادية في قوله: " لأنهم [يقصد أعراب الحطمة] ليسوا من الفصحاء المتبدّين في قيعان نجد و تهامة و الحجاز ممن يؤخذ عن لسانهم النحو و اللغة "**[173]**

– الفصل بين المضاف والمضاف إليه:

يذكر أبو البركات الأنباري أن الكوفيين يجيزون الفصل بين المتضايفين، و يذكر احتجاجهم على ذلك بيتا من قول الراجز:

فززجتها بمزجّة***زجّ القلوصَ أبي مزاده

فالمضاف في البيت هو: زجّ

و المضاف إليه: أبي مزادة

و المفعول به: القلوصَ.

و تقدير الكلام: زجّ أبي مزادةَ القلوصَ.

وأما البصريون فلا يجيزون الفصل بين المضاف والمضاف إليه، وقد وصف صاحب الإنصاف قياس الكوفيين على هذا البيت بأنه قليل وأنه مجهول القائل، ومن هناك لا يحتجّ به، يقول:" وأما الجواب عن كلمات الكوفيين أن ما أنشدوه فهو مع قلته لا يعرف قائله و لا يجوز الاستشهاد به"[1].

وإذا انتقلنا إلى التعليل فإنه عند البصريين مرتبط أساسا باللغة منها يصدر و إليها يعود، و نسوق مثالا على ذلك تعليل المبرّد البصري لورود لفظة (منفطر) بالتذكير خبرا للفظة (السماء) المؤنثة و ذلك في قول الله تعالى: ﴿ السماء منفطر به ﴾. (المزّمل 18) يعلل ذلك برأي أحد أوائل النحاة و كبارهم الخليل بن أحمد الذي يرى أن (منفطر) ليست لفعل الانفطار، إنما هي وصف للحال التي تكون عليها يوم القيامة، و لو كانت للفعل لوافقت الاسم و قيل: السماء منفطرة.يقول المبرّد:" و قال الخليل في قول الله تعالى: (السماء منفطر

---

(1)إعراب القرآن الكريم، للعكبري، ص211

به) قال هو كقولك للدجاجة (معضل) المعضل التي نشبت بيضتها في جوفها. و لو كانت للفعل لم يكن إلا منفطرة"[1] .

– و أما تعليل الكوفيين فكثيرا ما يوصف بالضعف و الاضطراب و الخروج عن حقيقة اللغة و الجنوح إلى المنطق، ومنه ما يراه الفراء في النون الساكنة التي تليها الباء، فهي عنده نون خفية، و في ذلك خطأ لأنها ميم في مثل: قنبر و عنبر... و نجد أبا سعيد السيرافي يصرح بتخطئة الفراء في المسألة الخامسة من كتابه: (ما ذكره الكوفيون في الإدغام)، و يقول محقق الكتاب: " تمثّل رأي الفراء أن النون الساكنة التي تليها الباء كالعنبر هو نون مخفاة و ردّه السيرافي مبينا أنّ الصحيح هو رأي سيبويه في كونها ميما "[2]

هذا و إنّ اختلاف البصريين و الكوفيين في القراءات القرآنية كثير جدا، نختار منه واحدا يتمثل في قبول الفراء الكوفي ثلاثة أوجه إعرابية في إعراب لفظة(غير) في قول الله تعالى: ﴿ ما لكم من إله غيره ﴾ (الأعراف 59)

غيرُ (بالرفع): نعتا للفظة (إله) باعتبار المحل الإعرابي الذي هو الرفع لأنّ (من) حرف جر زائد نحويا.

غيرِ (بالجر) نعتا للفظة (إله) المجرورة لفظا

غيرَ (بالنصب) بمعنى إلاّ.

لكنّ البصريين يرفضون توجيه النصب إذا لم يتم الكلام، وهنا لم يتم الكلام لأنّ بعد(غير)ضميرا متصلا مضافا إليه. و في ذلك يقول الدكتور صالح أمين آغا في كتابه: (التوجيه اللغوي للقراءات القرآنية عند الفراء): " وقد أجاز الكسائي نصب غير كما أجازه الكوفيون في كل موضع يحسن فيه (إلا) تمّ الكلام أو لم يتم،و أجاز ما جاءني غيرَك [بالنصب]... و عند البصريين لا تكون (غير) منصوبة إذا لم يتم الكلام... خلافا للكوفيين فإنهم ينصبونها تم الكلام أو لم يتم، و الرفع على اتباع الموضع و الجر للفظ"[3]

*** *** *** *** *** ***

المحاضرة الثانية عشر:

المدرسة النحوية الأندلسية والمغربية 1

---

(1) المقتضب، 25/3.

(2) الكتاب، 56/1.

(3) التوجيه اللغوي للقراءات القرآنية، ص 322.

جاء في معجم البلدان: "وأرض الأندلس من على البحر تواجه من أرض المغرب تونس، وإلى طبرقة إلى جزائر بني مزغناي ثم إلى نكور ثم إلى سبتة ثم إلى أزيلي ثم إلى البحر المحيط"[1].

وقد فتحها القائد المسلم طارق بن زياد سنة 92هجرية، وكان سقوطها في أيدي المسيحيين سنة 1492 ميلادية 897 هجرية، وتعرف اليوم إسبانيا.

الأندلس والنحو:

لما استتب الحكم لبني أمية وتوطدت أركان دولتهم بالأندلس نشطت حركة علمية وثقافية في شتى مجالات العلوم في الفقه واللغة والنحو وغيرها... يقول محمد الطنطاوي: "... لما استقر بنو أمية بالأندلس على يد عبد الرحمن الداخل وتوطد فيها الملك له وتعقبه من بعده استقبلت الأندلس عهدا جديد وبدأت الحركة العلمية فيه"[2]

وأما عن انتقال النحو العربي إلى الأندلس فكان بواسطة العلماء المرتحلين من الأندلس إلى المشرق وعودتهم بالنحو وبواسطة العلماء الوافدين من المشرق إلى الأندلس؛ والظاهر أن النحو الكوفي كان أسبق من النحو البصري إلى الأندلس.

يقول شوقي ضيف: "وأول نحاة الأندلس بالمعنى الدقيق لكلمة نحوي "جودي بن عثمان" المورووري الذي رحل إلى المشرق وتتلمذ للكسائي والفرّاء، وهو أول من أدخل إلى موطنه كتب الكوفيين، وأول من صنف به في النحو"[3].

وأما عن الوافدين بالنحو من المشرق إلى الأندلس نجد على رأسهم (القالي) صاحب كتاب "الأمالي" وفيه يقول الدكتور التواتي بن التواتي: "ازدهرت العلوم الإسلامية في المغرب الإسلامي، وكان أول ظهورها في الأندلس، وكان منطلق النشاط الثقافي في ميدان اللغة ناسبت.مجيء أبي علي القالي وهو من الوافدين من المشرق إلى الأندلس من ذرية عبد بن زمعة أخي سودة أم المؤمنين – رضي الله عنها–"[4].

وتأكيدًا لأسبقية النحو الكوفي إلى الأراضي الأندلسية يذكر الدكتور محمد المختار ولد أباه "جودي بن عثمان" الذي ارتحل إلى المشرق ثم عاد بالنحو الكوفي إلى الأندلس يقول: "بدا

---

(1) معجم البلدان، 13/2.

(2) نشأة النحو، طنطاوي، ص 25.

(3) المدارس النحوية، ص: 236.

(4) المدارس النحوية 56.

أن أول من اختص في النحو هو جودي بن عثمان الذي قيل عنه إنه أول من صنف في النحو في الأندلس بعدما تتلمذ للكسائي والفراء، وهكذا شق النحو الكوفي طريقه إلى الأندلس"[1]

ثم يذكر الدكتور المختار ولد أباه وصول النحو البصري إلى الأندلس على يد محمد بن يحيى المهلبي الرباحي تلميذ أبي القالي. يقول محمد المختار ولد أباه: "النحو البصري، وكان رائد هذه الحركة محمد بن يحيى المهلبي الرباحي تلميذ أبي جعفر النحاس .. لقد كان الرباحي من ألمع اللغويين في المشرق، ولما دخل الأندلس بث فيها معارفه الواسعة بالأدب والشعر واللغة، ولقد وجد الرباحي الدراسة النحوية قاصرة على المؤدبين"[2]

ومن مظاهر انتشار المذهب الكوفي بالأندلس إقبال الأندلسيين على كتاب سيبويه الذي نقله إليهم الرباحي بعد أن فقهه ودرسهُ وتخصص فيه على أيدي مجموعة من علماء المشرق.

تقول الدكتورة خديجة الحديثي: "رحل [تقصد محمد بن يحيى الرباحي] إلى المشرق فلقي أبا جعفر النحاس أكبر نحاة مصر في زمانه ومن المهتمين بكتاب سيبويه الذي كان محور الدرس النحو في مصر فحمل الرياحي عنه هذا الكتاب رواية ولازم (علاّن) وناظره وكان دقيق النظر جيد القياس حمل الرياحي الكتاب وعاد إلى قرطبة ولزم التأديب بنحو البصرة المتمثل بكتاب سيبويه في داره"[3]

من أشهر النحاة الأوائل في الأندلس والمغرب:

1) جودي:

وهو الذي ذكرنا عنه أنه أول من جلب النحو الكوفي إلى الأندلس واسمه: ابن عثمان النحوي المغربي. نشأ في (مورور)، مدينة بالقيروان، ارتحل إلى العراق وسمع عن الكسائي والفراء والرياشي وقرأ عن الكسائي كتاب سيبويه وحمله معه إلى المغرب، واستقر بقرطبة مدرسًا للنحو وتوفي سنة 198هـ[4]

2) حمدون:

---

(1) تاريخ النحو العربي، ص 420

(2) تاريخ النحو العربي، ص425.

(3) المدارس النحوية، ص 312.

(4)النحو العربي صلاح رواي ص683.

هو محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، المشهور بـ: حمدون النحوي، قال عنه جلال الدين السيوطي: "قال الزبيدي، كان مقدماً بعد المهري في اللغة والنحو، وكان يقال: إنه أعلم الناس بالنحو خاصة من المهري لأنه كان يحفظ كتاب سيبويه، وله كتب في النحو، وأوضاع في اللغة وكان في العربية والغريب والنحو الغاية التي لا بعدها، توفي بعد المائتين"[1]

3) الأفشنيق:

هو محمد بن موسى بن هشام بن يزيد المعروف بالأفشينق القرطبي مولى المنذر، جاء عنه في كتاب:(بغية الوعاة):"قال الزبيدي وابن القرضي كان متصرفًا في علم الأدب والخبر، رحل إلى المشرق ولقي بمصر أبا جعفر الدينوري وأخذ عنه كتاب سيبويه رواية، له كتب مؤلفة منها كتاب طبقات الكتاب وكتاب شواهد الحكم، مات في رجب سنة تسع وثلاثمائة، سمع بقيسارية من عمرو بن ثور مسند الغرياني"[2]

4) محمد بن يحيى الرباحي الأندلسي:

وجدنا اسمهفي نشأة النحو، ص182 (الرباحي) بالباء، وفي بغية الوعاة ص 226 (الرباحي) بالباء كذلك، وفي المدارس النحوية لخديجة الحديثي (الرياحي) بالياء، جاء في تاريخ النحو العربي: "محمد بن يحي المهلبي الرياحي تلميذ ابن جعفر النحاس اشتهر بحذق لعلم العربية، ودقة نظره فيها، ولطف مسلكه في معانيها. كما صحب علي بن الحسن المصري المعروف بعلان.. وهكذا أخذ الرباحي علم الرواية عن النحاس وأخذ علم الرواية عن علان، توفي سنة 353هـ"[3]

5) الزبيدي:

قال عنه الذهبي في العقد الثمين: "إمام النحو أبو بكر محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الشامي الحمصي ثم الأندلسي الإشبيلي، صاحب التصانيف، سمع سعيد بن فحلون وقاسم بن أصبغ، وأبا علي القالي، وأخذ العربية عن القالي، وعن أبي عبد الله الرياحي روى عنه ولده أبو الوليد محمد بن محمد وإبراهيم بن محمد الأفليلي، وولده الآخر أبو القاسم أحمد الأديب قاضي إشبيلية. طلب المستنصر صاحب الأندلس أبا بكر الزبيدي

---

(1)نشأة النحو العربي، أحمد عبد الراضي، 32/2.

(2)النحو العربي، رواي، ص712.

(3)النحو العربي، رواي، ص725.

من إشبيلية إلى قرطبة للاستفادة منه، فأدب جماعة، واختصر كتاب العين، وألف الواضح في العربية، وهو مؤدب المؤيد بالله هشام، توفي في جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين وثلاثمائة وله ثلاث وستون سنة"[1]

و للإشارة هو مؤلف كتاب التراجم: طبقات النحويين و اللغويين.

6) الأعلم الشنتمري:

أبو الحجاج يوسف بن سليمان لقب بالأعلم بسبب شق في شفته العليا، ولد بمدينة أندلسية تسمى (شنتمرية) اشتهر بحافظته القوية وحدة ذكائه فقد كان مقصدًا لطلاب العلم كان في مؤلفاته ذا ميولات أدبية، توفي بإشبيلية سنة 476هـ، من مؤلفاته: شرح الجمل للزجاجي شرح شواهد سيبويه، وشرح ديوان زهير، وشرح ديوان الحماسة[2].

7) ابن السيد البطليوسي:

مما قال عند الدكتور محمد ولد اباه: "من مشاهير علماء الأندلس أبو محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن السيد البطليوسي، لقد تنقل هذا العالم بين حواضر الجزيرة من بطليوس إلى طليطلة... ثم لجأ إلى بني هود في سرقسطة، ثم عاد إلى قرطبة في عهد ابن الحاج وأخيرًا استقر ببلنسية وعكف على التأليف والإقراء و أما كتبه في اللغة و النحو فمن أشهرها إصلاح الخلل الواقع في الجمل، والحلل في شرح أبيات الجمل، كما شرح فصيح ثعلب و مثلثات قطرب وأبيات المعاني، وشرح أدب الكاتب لابن قتيبة و ديوان المتنبي وسقط الزند للمعري... توفي سنة 521هـ"[3]

8) ابن الطراوة:

ترجم له الدكتور التواتي بن التواتي في كتابه المدارس النحوية ومما جاء في ذلك: "ابن الطراوة أبو الحسن سليمان بن محمد بن عبد الله السبتي المالقي، كان إمام النحاة في عصره شرقًا وغربًا شيوخه سمع كتاب سيبويه عن الأعلم يوسف بن سليمان، كما أخذ عن ابن مروان بن سراج، ومن تلاميذه أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الخثعمي المالقي المشهور السهيلي توفي بالقاهرة سنة 745هـ" [4].

---

(1)العقد الثمين، ص 102.

(2)نشأة النحو العربي، عبد الراضي، 40/2.

(3)نشأة النحو العربي، 44/2.

(4)نشأة النحو العربي 52/2.

9) ابن الباذش:

أبو الحسن علي بن أحمد، الغرناطي مولدًا ونشأة شبّ على حب العلم فنبغ في علوم الشريعة والعربية، وكان زاهدًا فاضلاً، نحويًا ملهمًا، من مؤلفاته: شرح كتاب سيبويه، شرح الأصول لابن السرّاج، شرح المقتضب للمبرد، توفي سنة 538هـ[1]

10) اللخمي:

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن هشام اللخمي، ولد ونشأ بمدينة سبتة، أقبل على علوم العربية والشريعة فنال منها الحظ، ومما ألف كتاب الفصول والجمل، توفي 570هـ[2]

11) ابن طاهر:

أبو بكر محمد بن أحمد بن طاهر ولد بإشبيلية وارتحل إلى مدينة (فاس) لتعلم النحو فنبغ فيه. توفي سنة 580هـ[3]

12) السهيلي:

أبو القاسم و أبوزيد عبد الرحمن بن الخطيب أبي محمد عبد الله بن الخطيب، ولد سنة 508هـ بمدينة مالقة بالأندلس، من شيوخه في القراءات أبو داود الصغير سليمان بن يحيى كان السهيلي واسع المعرفة غزير العلم نحويًا متقدمًا لغويًا، من مصنفاته أمالي السهيلي، الروض الأنف والمشرع الروي، تفسير سورة يوسف، نتائج الفكر، توفي بمراكش 581هـ[4]

13) ابن مضاء:

ترجم له الدكتور شوقي ضيف ومما جاء في ترجمته له: أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مضاء اللخمي القرطبي، نشأ في قرطبة وأخذ عن ابن الرماك كتاب سيبويه اشتهر بالفقه الظاهري والحديث النبوي، ولي القضاء للموحدين (بفاس) فأغرى الناس بالظاهرية ونقل هذا الفكر إلى النحوي العربي فرفض تعليلات النحاة و أقيستهم وهاجم العلل الثواني والثوالث، كما هاجم التمارين غير العملية التي تصدر عن افتراضات النحاة، توفي سنة 592هـ، من مؤلفاته: كتاب الرد على النحاة، المشرق في النحو[5]

---

(1)تاريخ النحو العربي، ولد اباه، ص 325.

(2)نشأة النحو العربي، 59/2.

(3)نشأة النحو العربي 62/2.

(4)النحو والنحاة، ص 360.

(5)النحو العربي، محمد إبراهيم عبادة، ص115.

14) الجزولي:

ترجم له الذهبي في كتابه العقد الثمين في تراجم النحويين ومما جاء في الترجمة: إمام النحو أبو موسى عيسى بن عبد العزيز بن يللبخت بن عيسى اليزدكني البربري المراكشي، حج ولازم ابن بري وأتقن عنه العربية، توفي في مراكش سنة 607هـ[1]

15) ابن خروف:

أبو الحسن علي بن محمد بن علي الحضرمي الإشبيلي، ولد بإشبيلية، من شيوخه ابن طاهر، ذاع صيته في المغرب واشتهر بالذكاء والتدقيق في مسائل النحو وكثرة التأليف، توفي بإشبيلية سنة 610هـ. من مؤلفاته شرح كتاب سيبويه[2]

16) الشلوبيني:

ترجم له الذهبي في العقد الثمين ومما جاء فيها: الشلوبيني الأستاذ العلامة إمام النحو أبو علي عمر بن محمد بن عمر الأزدي الإشبيلي الأندلسي الأبيض الأشقر، ولد سنة 506هـ بإشبيلية، من شيوخه أبو بكر بن الجد وأبو عبد الله بن زرقون، وأبو محمد بن بونه، وأبو زيد السهيلي، وعبد المنعم بن الفرس، من مصنفاته التوطئة والتعليق على كتاب سيبويه، توفي سنة 645هـ[3]

17) ابن هشام الخضراوي:

أبو محمد عبد الله بن يحيى الخزرجي، لقب بالخضراوي نسبة لبلدة الجزيرة الخضراء، من شيوخه ابن خروف، من مؤلفاته الإفصاح بفوائد الإيضاح، الاقتراح في تلخيص الإيضاح، توفي بتونس سنة 646هـ[4]

18) ابن الحاج:

أبو العباس أحمد بن محمد، سمع عن الشلوبيني، ونبغ في علوم اللغة العربية، توفي سنة 647.من مؤلفاته: مختصر الخصائص لابن جني، شرح الإيضاح[5]

*** *** *** *** ***

---

(1)نشأة النحو العربي 79/2.

(2) نشأة النحو العربي 84/2

(3) نشأة النحو العربي 88/2

(4) نشأة النحو العربي 92/2

(5) نشأة النحو العربي 95/2

المحاضرة الثالثة عشر:

المدرسة النحوية الأندلسية والمغربية 2

بسقوط بغداد سنة 656هـ على يد المغولي (هولاكو) تقوضت أركان الخلافة الإسلامية، فعاث المغول فسادًا في كنوز العلم والمعرفة حرقًا و إتلافًا إلى حد أنهم رموا بأمهات الكتب ونفائسها في نهري دجلة والفرات، فخبت جذوة العلم وتقهقرت مكانة النحو بتشريد علمائه قتلاً ونفيًا وهجرة إلى حيث الأمن والأمان، فإن العلم لا تنبت شجرته على الأراضي المضطربة التي تعبث بها سنابك الخيل وزلازل الفوضى... لكن هذا كله لا يعني انطفاء جذوة النحو في أنحاء غير بغداد وحواضرها، فلقد بقيت أثارة من العلوم في مصر والشام وكذلك الأندلس، حافظ ثلة من العلماء على هذا الإرث العظيم المتمثل في علم النحو.

يقول الدكتور صالح بلعيد: " كما أن هذا التذبذب مس بغداد فقط باعتبارها عاصمة الخلافة الإسلامية لكنه لم يمس حواضر أخرى في الدول الإسلامية التي كانت تزخر بشتى أنواع الصراع الثقافي حيث كانت الشام تعيش حركة نشطة في مناحي الحياة الثقافية، ناهيك عن الحلقات العلمية التي كانت تقام في شمال إفريقيا، وحلقات الأنس والمسامرة العلمية التي تجرى في الأندلس[1]

إذًا فهذه المحاضرة تتعلق ببعض من نحاة الأندلس في الفترة التي أعقبت سقوط بغداد سنة 656هـ كما أننا ننوه إلى أن معظم هؤلاء النحاة الأندلسيين في هذه الفترة قد ارتحلوا إلى المشرق العربي واستزادوا من النحو ونبغوا فيه، ومنهم من مكث هناك، ومنهم من عاد إلى موطنه الأصلي الأندلس، ونذكر من الفريقين:

1) ابن عصفور:

ترجم له السيوطي في بغية الوعاة ومما جاء فيها: علي بن مؤمن بن محمد بن علي أبو الحسن بن عصفور النحوي الحضرمي الإشبيلي، حامل لواء العربية في زمانة بالأندلس، جال بالأندلس وأقبل عليه الطلبة، وكان أصبر الناس على المطالعة، أخذ عن الدباج والشلوبين، لم يكن ذا ورع إذ كان سبب وفاته في مجلس شراب – كما تقول بعض الروايات – و ذلك سنة 663هـ وقيل 669هـ، من مؤلفاته الممتع في التصريف، شرح الجزولية، مختصر المحتسب[2]

---

(1)اللغة الجامعة، ص 74.

(2)نشأة النحو العربي 100/2

2) ابن معطي:

يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي المغربي النحوي الفقيه الحنفي الملقب بزين الدين والمكنى بأبي الحسن والمعروف بابن المعطي، ولد سنة 564هـ ببجاية في قبيلة "زواوة" ونشأ بمسقط رأسه، من شيوخه الجزولي، عاش بداية حياته في المغرب وكانت الحياة العلمية نشطة في عصر الموحدين، ثم ارتحل إلى المشرق واستقر بمصر وكان له تلاميذ بها، توفي بالقاهرة سنة 628هـ، من مؤلفاته: ألفيته في النحو والصرف وتسمى (الدرة الألفية في علم العربية)، المثلث في اللغة[1]

3) ابن مالك:

أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك، الطائي نسبًا والأندلسي إقليمًا والجياني ولادة ونشأة، والمالكي ثم الشافعي مذهبًا والدمشقي دارًا ووفاة. ولد بمدينة (جيان) بالأندلس سنة 600هـ، وبها نشأ وتعلم، من شيوخه الشلوبيني،و ابن يعيش الحلبي، ارتحل إلى المشرق و استقر مدة بمصر ثم ألقى عصا الترحال بالشام ومكث بدمشق مدرسا للغة والنحو، توفي بدمشق سنة 672هـ، من مؤلفاته: الألفية (الخلاصة)، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، عمدة الحافظ وعدة اللافظ، شرح الكافية الشافية [2]

4) ابن الضائع:

أبو الحسن علي بن محمد الكتامي، من شيوخه الشلوبيني، له نظرات خاصة تجاه كتاب سيبويه سبق علماء النحو إليها، توفي سنة 680هـ، من آثاره: شرح كتاب سيبويه، شرح الجمل، شرح السيرافي[3]

5) ابن أبي الربيع:

هو أبو عبد الله بن أحمد الأموي الإشبيلي مولدًا ونشأة، هاجر إلى مدينة (سبتة) وكان له تلاميذ هناك، قرأ عليهم النحو واللغة، من شيوخه الشلوبيني، توفي سنة 688هـ.من مؤلفاته: شرح على كتاب سيبويه، شرح على إيضاح أبي علي الفارسي[4]

6) ابن آجروم:

---

(1)نشأة النحو العربي 86/2

(2)نشأة النحو العربي 107/2.

(3)نشأة النحو العربي 117/2.

(4)نشأة النحو العربي 120/2

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن داوود الصنهاجي، ولد سنة 672هـ، اشتهر بكتاب الآجرّومية و(آجرّوم) بالبربرية (الفقير الصوفي)، ولد ونشأ بفاس، ذهب إلى الحج واستقر زمنا بالقاهرة، ومن شيوخه أبو حيان محمد بن يوسف الغرناطي، لما عاد مكث بفاس يعلم النحو والقرآن، توفي سنة 723هـ. من مؤلفاته: المقدمة الآجرومية في مبادئ علم العربية، شرح لمنظومة الشاطبي[1]

7) أبوحيان:

جاءت ترجمته مختصرة في مستهل كتابه: "ارتشاف الضرب من لسان العرب" بتحقيق الدكتور رجب عثمان محمد، ومما جاء فيه: "هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الإمام أثير الدين، أبو حيان الأندلسي الغرناطي لقب بالغرناطي نسبة إلى مدينة غرناطة التي نشأ بها وترعرع فيها، ولد سنة 654هـ، ولقد غادر موطنه و راح يهاجر في البلاد شرقًا وغربًا واستقر بالقاهرة، ومن شيوخه: ابن الضائع وابن النحاس، توفي بالقاهرة سنة 745هـ، من مؤلفاته: ارتشاف الضرب من لسان العرب، إعراب القرآن، الأثير في قراءة ابن كثير[2]

8) الشاطبي:

أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، الغرناطي، من شيوخه: أبو القاسم السبتي. وأبو عبد الله التلمساني، توفي بالأندلس سنة 790هـ، من آثاره: الموافقات في أصول الفقه شرح ألفية ابن مالك[3]

*** *** *** *** ***

المحاضرة الثالثة عشر:

الاختلاف النحوي بين مدارس النحو (2) المغرب

سننطلق بغية الوقوف على أهم مظاهر الاختلاف النحوي في المدرسة الأندلسية المغربية من خلال منهج مبني على ثلاثة محاور وهي:

- اختلاف شامل مع كل المدارس النحوية بما فيها المدرسة الأندلسية المغربية، ويمثل هذا الاتجاه ابن مضاء القرطبي.

---

(1)نشأة النحو العربي 126/2.

(2)نشأة النحو العربي 129/2.

(3)نشأة النحو العربي 136/2.

- اختلاف بينيّ واقع بين نحاة المدرسة الأندلسية المغربية من خلال مناظراتهم ومعارضتهم فيما بينهم، وسنقف عند آراء بعض النحاة: ابن الطراوة، السهيلي، الجزولي، ابن عصفور.

- اختلاف بين نحاة المدرسة الأندلسية المغربية وبين مدارس الشرق يتمثل في قضية استقلال نحاة الغرب الإسلامي وتميزهم عن غيرهم.

وعليه سنركز في محاضرتنا هذه انطلاقًا من هذه المحاور الثلاثة باستقصاء آراء كل من ابن مضاء القرطبي، وآراء ابن الطراوة، والسهيلي، الجزولي وابن عصفور، وآراء هؤلاء وغيرهم مقارنة بالمدارس الشرقية.

من آراء ابن مضاء القرطبي:

لعل أهم كتاب اشتهر به ابن مضاء القرطبي هو كتابه "الرد على النحاة"، والذي أحدث ثورة فكرية عارمة في أصول التفكير النحوي، ومازال صدى تلك الثورة يتردد في مجالات الدرس النحوي إلى زماننا هذا. و الدارسون كانوا حياله بين مناصر للفكرة ومعارض لها، وإذا أردنا أن نختصر وصف الكتاب فإنه يتكون من مقدمة.

وفصل عن إلغاء العوامل.

وفصل يدعو إلى تطبيق النحو من غير عامل ولا معمول.

وفصل يدعو إلى إلغاء العامل والمعمول في باب الاشتغال.

وفصل عن إسقاط العلل الثواني والثوالث.

وفصل عن إسقاط التمارين.

ما يجب أن يعرفه الدارس لفكرة أبي مضاء في الرد على النحاة أن هذه الفكرة مستنبطة بالأساس من المذهب الظاهري في الفقه ومرتبطة به ارتباطًا وثيقًا. تقول الدكتورة خديجة الحديثي: "...أما دعوة الموحدين هذه التي كان ابن مضاء يميل إليها فهي الدعوة إلى الأخذ بمذهب الظاهر في الفقه"[1]

والمذهب الظاهري على وجه التبسيط هو التقيد بالنصوص وعدم الحيد عنها إلى ما سواها وعلى هذا انبنت فكرة ابن مضاء على رفض التعليل والعوامل، فأرادا بذلك تقويض الأسس التي شيد عليها النحو العربي خاصة المذهب البصري.

---

(1)المدارس النحوية ص 180.

يقول ابن مضاء: "وإن رأيت النحويين – رحمة الله عليهم– قد وضعوا صناعة النحو لحفظ كلام العرب من اللحن وصيانته من التغيير فبلغوا من ذلك إلى الغاية التي أملوا وانتهوا إلى المطلوب الذي ابتغوا، إلا أنهم التزموا ما لا يلزمهم، وتجاوزوا القدر الكافي فيما أرادوه منها فتوعرت مسالكهم، ووهنتْ مبانيها، وانحطَّت عن رتبة الإقناعِ حجتها"[1]

وعن الفصل الذي خصصه لدعوته إلى إلغاء العوامل نراه لا يعترف بفكرة العامل التي ارتكز عليها النحاة القدماء، ولابأس أن نذكر تعريف العامل في المصطلح النحوي. يقول الدكتور سليمان عبد الله الأشقر: "العامل عند النحاة هو ما أوجب كون آخر الكلمة وجه مخصوص من الاعراب ... والعوامل إما لفظية كالفعل وحروف الجر ونحوها وإما معنوية كالابتداء الرافع للمبتدأ وكتجرد المضارع من النواصب والجوازم[2].

فابن مضاء يرفض رفضًا قاطعًا فكرة العامل بنوعيه المعنوي واللفظي، يقول: "وأما العوامل النحوية فلم يقل بعملها عاقل، لا ألفاظها ولا معانيها، لأنها لا تفعل بإرادة ولا بطبع"[3]

وأمّا عن الفصل الذي تضمن رأيه الدّاعي إلى تطبيق النحويين من غير عامل ولا معمول واختار له بابًا من أبواب النحو هو: باب التنازع. والتنازع في النحو هو أن يسلط عاملان على معمول واحد ويطلب هذان العاملان كلاهما هذا المعمول، جاء في المعجم الميسر: "التنازع هو تركيب نحوي يتقدم فيه عاملان على اسم يطلب كل واحد منهما أن يكون معمولا له، فيعمل الواحد منهما في لفظه الظاهر والآخر في ضمير لأنه لا يمكن تسليط عاملين على معمول واحد، نحو: وقف وخطب سمير. سمير: فاعل خطب وضميره فاعل وقف"[4]:

وفي باب التنازع خلاف بين البصريين والكوفيين في أي العاملين أولى بالعمل؟ الأول أو الثاني الكوفيون يرون العامل الثاني أولى بالعمل لقربه من المعمول، والبصريون يرون العامل الأول أولى لأوليته[5]

ورأي ابن مضاء في باب التنازع يتلخص في أنه يرفض مصطلح (العمل) ويقترح مصطلح (التعليق) الذي يستعمله النحاة في (حروف الجر) ويريد ابن مضاء أن يقحمه في باب

---

(1)الرد على النحاة، ص 50.

(2)منهج البحث اللغوي، ص120

(3)الرد على النحاة 62.

(4)المعجم الميسر ص 56.

(5)الإنصاف في مسائل الخلاف 20/2

التنازع، يقول: "فأما في هذا الباب لا أخالف النحويين إلا في أن أقول: "علّقت" ولا أقول "أعملت" والتعليق يستعمله النحاة في المجرورات وأنا أستعمله في المجرورات والفاعلين والمفعولين"[1]

وفي الفصل الثالث رأيه في إلغاء العامل والمعمول في باب الاشتغال "والاشتغال تركيب نحوي يشتغل فيه العامل عن نصب الاسم المتقدم عليه ينصب ما يليه من ضمير ذلك الاسم نحو: جميل فضّلته، أو من متعلقه، نحو: جميل فضّلت أخاه، وهكذا يكون جميل مبتدأ، وتكون الجملة بعده خبرًا"[2]

ورأى ابن مضاء في باب الاشتغال أنه يحسب ادخال العامل والمعمول فيه ضربًا من التعسير على الأفهام، يقول: "ومن الأبواب التي يظن أنه يعسر على من أراد تفهيمها أو تفهمها لأنها موضع عامل ومعمول والداعية إلى إنكار العامل والمعمول باب اشتغال الفعل عن المفعول بضميره، مثل قولنا: "زيدًا ضربته"[3]

وفي الفصل الرابع: إسقاط العلل الثواني والثوالث.ولابد لك قبل الحديث عن إسقاط العلل من معرفة العلل الأوّل والثواني والثوالث ولو بطريق الاختصار، فلقد قسم أبو القاسم الزجاجي في كتابه (الايضاح في علل النحو) العلل ثلاثة أقسام:

العلة التعليمية.

والعلة القياسية.

والعلة الجدلية.

يقول: "وعلل النحو بعد هذا على ثلاثة أضرب، علل تعليمية وعلل قياسية وعلل جدلية نظرية، فأما التعليمية فهي التي تتوصل بها إلى تعلم كلام العرب... وأما العلة القياسية فأن يقال لمن قال نصبت زيدًا بأن ... لأنها وأخواتها ضارعت الفعل المتعدي إلى مفعول... وأن العلة الجدلية النظرية فكل باب يعتل به في باب (إن) بعد هذا"[4]

---

(1)الرد على النحاة ص 57.

(2)الرد على النحاة ص 58.

(3)الرد على النحاة، ص 60.

(4)الرد على النحاة ص62.

ومن خلال كلام الزجاجي نستنتج العلل الأوّل هي العلل التعليمية والثواني هي العلل القياسية والثوالث وما بعدها هي العلل الجدلية النظرية، وتقوم فكرة ابن مضاء على قبول العلل الأوّل ورفض ما سواها.

يقول ابن مضاء: "ومما يجب أن يسقط في النحو، العلل الثواني والثوالث، وذلك مثل سؤال السائل عن زيد من قولنا: قام زيد لم رفع؟ فيقال: لأنه فاعل ... فيقول لم رفع الفاعل فالصواب أن يقال هكذا نطقت العرب"[1]

وفي الفصل الخامس الذي عنونه ابن مضاء بـ: (إسقاط التمارين) وتشرح لنا هذا العنوان الدكتورة خديجة الحديثي وتعيد عنونته بـ: (إلغاء الأمثلة غير العملية)[2]

وما يفهم في هذا الفصل أن ابن مضاء يرفض التمارين التي لا يراد من إجرائها خدمة اللغة العربية وخدمة النطق بها، خاصة وأن هذه التمارين – في رأي ابن مضاء– تكثر فيها اختلافات النحاة فيما بينهم، بينما لا يجني متعلم النحو من ذلك أدنى فائدة.

يقول ابن مضاء: "ومما ينبغي أن يسقط في النحو: ابنِ من كذا مثال كذا كقولهم: ابنِ من البيع مثال "الفعل" فيقول قائل: "بوع" أصله "بيع" ...فمما يجب أن يسقط في النحو الاختلاف فيما لا يفيد نطقًا..." [3]

من آراء ابن الطراوة:

مما خالف ابن الطراوة النحاة هو قبوله أن توصف المعرفة بالنكرة، ومن ذلك قول النابغة: (البسيط):

فبتت كأنى ساورتنى ضئيلة من الرقش في أنيابها السم ناقع[4]

ناقع عند ابن الطراوة صفة للسم.

وفي رأيه هذا مخالفة للنحاة الذين لا يجوزون وصف النكرة إلا بالنكرة، ولا وصف المعرفة إلا بالمعرفة[5]

---

(1)الرد على النحاة، ص65.

(2)المدارس النحوية، ص 211.

(3)الرد على النحاة ص 66.

(4)ديوان النباغة الابياني ص 75.

(5)الرد على النحاة ص 67.

ومن آراء ابن الطراوة المخالفة للبصريين رأيه في "رُبّ" فهي عند البصريين حرف تقليل، وعند الكوفيين اسم مبني و وافقهم ابن الطراوة في اعتبار "رُبّ" اسما[1]

من آراء السهيلي:

يُدقق السهيلي في حدّ التنوين الذي يلحق الأسماء المنكرة المتمكنة والذي يعرف بأنّه: نون ساكنة تلحق أواخر الأسماء المتمكنة.

و تتجلى دقة السهيلي في هذا التحديد فيقول: "وتصحيح هذه العبارة عندي أن يقال: التنوين: إلحاق الاسم نونًا ساكنة، لأن التنوين مصدر "نونت الحرف" أي ألحقته نونًا"[2]

إذًا فهو هنا يخالف النحاة في تمييزه المصدر عن الاسم، فعندما قال النحاة إن التنوين نون، رفض السهيلي ذلك، فالتنوين عنده إلحاق الاسم نونًا.

ومن آراء السهيلي التي يمتاز بها ويخالف النحاة فيها إغراقه في التعليل واعتداده به، ففي تفسيره للفتحة يرى أن الفتح دليل الاتساع والكثرة وفي تفسيره للضمة يعلل الضم بأنه التقليل والقرب.

يقول: "وإذا كان الفتح ينبئ عن السعة والكثرة، فالضم الذي هو ضده ينبئ على القلة والحقارة ولذلك تجد المقل للشيء يشير إليه بضم فم أو يد"[3]

من آراء الجزولي:

اشتهر الجزولي بمقدمته المعروفة بـ "مقدمة الجزولي" ولقد تقبلها النحاة ودرسوها واستنبطوا منها عبقرية الجزولي ودقته في التفكير النحوي، يقول عنها الدكتور محمد المختار ولد اباه: "والمقدمة من بديع المختصرات التي نشأت في هذا العصر [أي عصر الجزولي] وعرفت تطورًا كبيرًا فيما بعد، وإبداع الجزولي واضح في نظمه وشدة اختصاره"[4]

ومن مخالفته النحاة أنه يدقق في التعريف إذ أضاف عبارة (بالوضع) في تعريف الكلام.

يقول الدكتور محمد المختار ولد اباه: "وتتمثل الدقة في تعريفه للكلام بزيادة الإفادة "بالوضع" فقال إنه اللفظ المركب المفيد "بالوضع"[5]

---

(1)المدارس النحوية، شوقي ضيف، ص 133.

(2)المدارس النحوية ص 63.

(3)المدارس النحوية. ص63.

(4)تاريخ النحو العربي ص 368.

(5)تاريخ النحو العربي ص 369.

من آراء ابن عصفور:

الآراء التي عارض بها النحاة وصرح فيها بمخالفته للنحاة ومن ذلك:

- رفضه حسبان النحاة الميم زائدة في كلمات: هرماس، وضبارم وحلقوم، يقول ابن عصفور: "وزعم بعض النحويين أن الميم في هرماس، وضبارم وحلقوم زائدة وينبغي عندي أن تجعل الميم في هذا كله أصلية"[1]

- رفضه حسبان النون أصلية بعد ألف زائدة.

رفض ابن عصفور ما يراه السيرافي في كون النون إذا جاءت في الآخر بعد ألف زائدة أصلية.

ويقول: "وذهب السيرافي إلى أن النون إذا أتت في الآخر بعد ألف زائدة فإنه لا يخلو أن يكون جعلها أصلية يؤدي إلى بناء غير موجود أو إلى بناء موجود ... وهذا الذي ذهب إليه في أصالة النون فيما يؤدي جعل النون فيه أصلية إلى بناء موجود باطل"[2]

ونختم حديثنا عن الخلاف النحوي في المدرسة النحوية الأندلسية المغربية بما أورده الدكتور محمد المختار ولد اباه في تعليقه على كتاب "النكت" للأعلم الشنتمري الذي كان يجاهر بمعارضته للنحاة المشارقة أمثال المبرد والزجاج ويؤثر عليها آراء كل من سيبويه والخليل.

يقول محمد المختار ولد اباه: "...وفي المثال الأخير نرى الأعلم يعترض على المبرد والزجاج منتصرًا للخليل وسيبويه... والذي يستخلص الباحثون من الأمثلة الواردة في كتاب (النكت) وانتصاره الثابت لآراء سيبويه هو أن هذا العالم لم يقتصر على نقل مباحث كتاب سيبويه بل إنه اعتمدها مذهبًا عرف أصوله السمعية وقواعده القياسية"[3]

فهذا دليل على ارتباط نحاة المدرسة الأندلسية المغربية بالأعلام الأوائل والأصول الأولى للنحو العربي، كما ذكر المختار ولد اباه انتصار الأعلم الشنتمري لسيبويه والخليل.

*** *** *** *** *** *** ***

المحاضرة الرابعة عشر:

الاختلافات النحوية فيالمنظومات.

النظم في اللغة:

---

(1)نشأة النحو العربي 70/2.

(2) تاريخ النحو العربي ص 265.

(3)تاريخ النحو العربي ص266.

جاء في مختار الصحاح للرازي ما نصه: "نَظَمَ اللؤلُؤ جمعه في السّلك وبابه ضرب، ونظمه تنظيما مثله، ومنه نظم الشعر و نَظمه"[1]

وأمّا المنظومات في علم النحو، فمن بين تعاريفها ما ذكره الدكتور حسان عبد الله الغنيمان في كتابه "المنظومات النحوية وأثرها في تعليم النحو": "...المنظومات النحوية نوع من الشعر التعليمي، وهو النظم الذي يهدف به ناظمه إلى تعليم الناس.. فقد فطن مصنفو العلوم وخاصة النحو إلى أنه بالإمكان توظيف نظم الشعر وايقاعاته في صياغة منظومات نحوية تسهم في تسهيل تعلمه، وتيسر حفظ قواعده"[2]

ما يستنتج من التعريفين اللغوي والاصطلاحي أن المنظومات النحوية هي متون نحوية، يؤلفها بعض علماء النحو شعرًا، والغرض من ذلك هو تسهيل حفظ قواعد النحو وأبوابه على الطلاب، وطريقة من طرائق تسييره وتسمى أيضًا: الشعر التعليمي.

ظهرت المنظومات النحوية في عصور متأخرة عن عصور نشأة النحو لمّا تضاءل عدد النحاة وشاع اللحن بكثرة بين الناس وضعفت همة الطلاب على استيعاب أبواب النحو وقواعده فهبت مجموعة من النحاة إلى نظم هذه الأبواب والقواعد في قالب شعري يسهل للطلاب تعلم النحو لأن الشعر أسهل للحفظ من النثر.

وفي هذه المحاضرة نتناول ظاهرة المتون والشروح والحواشي والأسباب التي أدت إلى بروزها، وقد بدأ الدرس بلمحة موجزة عن عصري المماليك والعثمانيين [3]، لأنهما أبرز عصرين اشتهرا بهذه الظاهرة التأليفية [4]. ثم تناول البحث تعريفاً بمفردات العنوان (المتن، والشرح، والحاشيه، والتقرير) بعد ذلك تطرق البحث إلى تاريخ المتون، متى ظهرت؟ وما أنواع المتن؟ ثم أشهر المتن المنظومة وأشهر علمائها، وبعد ذلك عرض لأشهر المتون النحوية المنثورة وأبرز علمائها.

---

(1)مختار الصحاح (نظم)

(2)النحو والنحاة في العهد المملوكي، حسن أبو علي ص 313.

(3)العلم والبحث العلمي في العهد العثماني، علي أبو لغدة، ص 388.

(4)تطور التأليف في الثقافة العربية، أحمد البشبيشي، ص 232.

ثم جاء العنصر الأهم بالموضوع وهو ذكر الأسباب التي أدت إلى هذه الظاهرة في الدرس النحوي والدوافع التي دفعت العلماء إلى الاختصار فيما يسمى بالمتون مما اضطرهم بدوره إلى الشروح التي استدعت ظهور الحواشي.

وقد ناقش هذا الدرس بدقة العيوب التي أخذت على هذه الظاهرة مناقشة موضوعية بعيدة عن الحماس. ودافع الباحث عن هذه الظاهرة وبين أنها تشكل جزءاً كبيراً من تراثنا الخالد الذي لا يستغني عنه الدارس مهما علا كعبه في العلوم والمعارف.

كانت كتب النحويين المتقدمين تؤلف لتتضمن ما اهتدوا إليه من حقائق نحويه، وحرص أصحابها على استيفاء البحث في كل مسألة بذكر جميع ما يتصل بها، ولو كان ذلك على سبيل الاستطراد أو لأدنى ملابسه، حتى اكتمل وضع علم النحو، ونضجت أبحاثه وتمت مسائلة[1]. وحينما جاء من يريد أن يضيف جديداً لم يجد زيادة لمستزيد، اللهم إلا شرح كتب من سبقوه، وتوضيح ما عسى أن يكون فيها مما يصعب فهمه، وإضافة ما ظهر من خلاف طارىء بين النحاة، وما عرضوه من علل وتأويلات وشواهد، فازدادت التآليف اتساعاً، وتشعبت الأبواب النحويةِ، وكثرت المسائل الخلافيةِ، وتنوعت العلل والتأويلات العقلية[2].

وقد دفع هذا كله إلى ظهور فريق ثالث سعى إلى اختصار الأبواب وتقريب المسائل من أذهاب المتعلمين[3]، فألف المتون المنظومة التي برزت في القرن السابع الهجري، حتى باتت تشكل ظاهرة متميزة في منظومة التأليف النحوي أدت إلى ظهور شروح لها أكثر اتساعاً [4]، ثم بروز حواشٍ, وتقريرات على هذه الشروح أوجبتها ظروف التوضيح والتبيين.

والواجب هو أن نـدرس هذه الظاهرة باحثـين عن بدايتها التاريخية وأسباب ظهورها، مبين ين أشهر علمائها وقيمتها العلمية مبتدئاً بعرض مفصل عن عنصري المماليك والعثمانيين، لبروز هذه الظاهرة التأليفية المزدهرة فيهما مستعرضاً المآخذ عليها، ثم مناقشاً ما قيل عن هذا النمط التأليفي سلباً وإيجاباً.

---

(1)مناهج التأليف النحوي، بديعة بركات، ص65.

(2)مناهج التأليف النحوي، بديعة بركات، ص 231.

(3)طرائق التيسير في النحو العربي، أحمد حمودة، ص65.

(4)مناهج التأليف، ص 233.

- نبذة تاريخية موجزة عن عنصري المماليك والعثمانيين:

لعل من المناسب أن أتحدث ابتداءً عن عصر المماليك وعصر العثمانيين أو عصورهم من الوجهة التاريخية قبل أن نخوض في الحديث عن ظاهرة المتون والشروح والحواشي والتقريرات في النحو والصرف خاصة، وفي سائر العلوم على وجه العموم.

فبعد احتلال بغداد أصبحت المكتبات العربية فيها خاوية بسبب مصيبة (هولاكو)، وبعد النكسات التي سببها زوال سلطان العرب عن الأندلس، أصبح القطران مصر والشام الملجأ الوحيد للعلماء من جميع الأقطار الإسلامية، وترسخت قيمة هذا الملجأ بعد انتصار قطز وبيبرس في عين جالوت وبعد دحر المغول[1].

وكانت (شجرة الدر) قد وضعت قبيل هذا أساس سلطنة المماليك، وهي من جواري الملك الصالح نجم الدين أيوب، اشتراها أيام أبيه، وحين ولدت له ابنا أعتقها وتزوجها، وكانت قوية الشخصية، تدير الملك عند غيابه، ولما مات مقتولا سنة (647هـ) أخفت أمر موته، لأن المعارك مع الإفرنج كانت ناشبة، وقد حكمت ثمانين يوما، ثم تنازلت بعدها لوزيرها وزوجها الثاني عز الدين أيبك، وبذلك بدأ الحكم المملوكي في سنة (648هـ)[2].

وينقسم المماليك إلى قسمين: مماليك بحرية حكموا من سنة (648هـ) إلى سنة (784هـ)، وأصل هؤلاء من الحرس الذين اشتراهم الصالح الأيوبي وأسكنهم في ثكنات بجزيرة الروضة في النيل، وكان أكثرهم من الترك والمغول.

أما القسم الثاني فهم المماليك البرجية، وهؤلاء جيء بهم إلى مصر بعد المماليك البحرية، وكانوا في أول أمرهم حرسا خاصا للسلطان قلاوون، وكان معظمهم أرقاء شراكسة، وسموا بالبرجية لأنهم كانوا يقيمون في أبراج القلعة بالقاهرة. وقد حكم هؤلاء مصر في سنة (784هـ) إلى سنة (923هـ).

وقد أفلح المماليك عامة في تطهير مصر وبلاد الشام من بقايا الغزو الأوربي، وصدوا جيش المغول التي قادها هولاكو وتيمور لنك، وبذلك مهدت دولتهم للبلاد سبيل التنعم بثقافة متصلة

---

(1)الثقافة الإسلامية والصراع السياسي، علي الرافعي، ص 533.

(2)تاريخ الدول الإسلامية، حسين أبو المعالي، ص 455.

وأنظمة سياسية مستقرة مستمرة، وقد سيطروا نحو (270سنة) إلى أن جاء السلطان سليم العثماني سنة (932هـ) فغلبهم على أمرهم[1].

وبذلك سقطت آخر الدويلات المحلية التي نشأت على أنقاض الخلافة العربية الإسلامية، وتمهد السبيل لقيام خلافة إسلامية جديدة غير عربية، هي خلافة الأتراك العثمانيين الذين احتلوا بلاد الشام ومصر، والتي بدأت بعد موت السلطان المملوكي قانصوه الغوري في حلب بعد أن دخلها العثمانيون الذين تابعوا مسيرهم حتى مصر، وهناك التقى الجيشان العثماني والمملوكي خارج القاهرة سنة (923هـ) وكان النصر حليف العثمانيين، وألقى القبض على آخر ملك مملوكي، وهو طومان باي وشنق، وتحطمت دولة المماليك وظهرت الدولة العثمانية التي كبرت واتسعت، ثم ضعفت وانحسرت حتى انفرط عقدها في سنة (1341هـ) وبعد عصر المماليك عصر الازدهار الكامل للدراسات النحوية خاصة واللغوية عامة في مصر والشام فقد امتلأت البلدان بالنحاة القادمين من بغداد بعد احتلالها على يد التتار سنة (656هـ)، ومن الأندلس بعد احتلال الفرنجة آخر حواضرها غرناطة سنة (897هـ)، مما جعل المصنفات النحوية على عصرهم تبلغ الذروة كما وكيفا، فظهرت الموسوعات كما ظهرت المتون والشروح والحواشي، وكان الملوك السلاطين من المماليك خير أعوان للعلماء الذين لجئوا إلى مصر وهم يحملون ما بقي من الثروة العلمية العربية ويحفظون البقية الباقية من تراث الإسلام في العراق والأندلس. وبهذا أصبحت القاهرة في عهد المماليك (موئل الحضارة الإسلامية وبغية القاصدين وموطن الدرس والبحث، وصارت مدارسها تزخر بالطلاب والعلماء والمعلمين، ونشط التأليف فيها في اللغة والأدب والتاريخ والدين وعلوم القرآن. أما عهد الأتراك العثمانيين، فقد كاد مصباح الثقافة ينطفىء فيه، وشمل الأقطار التي كانت تحت حكمهم ومنها مصر والشام فتور عقلي وهبوط علمي، إلا بصيص من أمل وشعاع من علم كان مايزال ينير قلوب طائفة من العلماء وعقولهم، وبقية من هذا التراث العربي الواسع، ومن ذلك المجد العظيم، ومن هذه البقية الباقية كانت البذور التي نبتت منها النهضة الحديثة في مصر والشام وسائر الأقطار)[2].

---

(1) تاريخ الدول الإسلامية، ص 456.

(2) نفسه، ص 555.

على أنه من الحق أن نقول إن الدراسات النحوية في عصر العثمانيين قد طرأ عليها عهد جديد تميز النشاط فيه بالحواشي والتقريرات، والمختصرات التي يشكل جلها فائدة طيبة، وإن كان بعضها يظهر فيه التأثر بالبيئات الأعجمية، ويخلو من الإضافة والتجديد، ويقتصر على الجمع والعادة والترديد.

وسنحاول في الصفحات الآتية الكشف عن الدوافع والأسباب والظروف التي أدت إلى تميز عصر المماليك بالظاهرة التأليفية المعتمدة على سلسلة المتون والشروح والحواشي والتقريرات، فضلا عن عرض شامل لأهم مؤلفات هذه السلسلة ولأشهر مؤلفيها[1].

المقصود بالمتن والشرح والحاشية والتقرير:

المتن: مصطلح يطلق عند أهل العلم على مبادئ فن من فنون جمعت في رسائل صغيرة خالية من الاستطراد والتفصيل والشواهد والأمثلة إلا في حدود الضرورة[2].

والشرح: عمل يتوخى فيه توضيح ما غمض من المتون وتفصيل ما أجمل منها، وهو يتراوح بين الطول والقصر والسهولة والعسر، وفيه الوجيز والوسيط والبسيط.

والحاشية: إيضاحات مطولة دعت إليها ظاهرة انتشار المتون والشروح، وقد قصد منها حل ما يستغل من الشرح، وتيسير ما يصعب فيه، واستدراك ما يفوته، والتنبيه على الخطأ والإضافة النافعة، وزيادة الأمثلة والشواهد.

أما التقرير فهو بمثابة هوامش كان يسجلها العلماء والمصنفون على أطراف نسخهم مما يعن لهم من الخواطر والأفكار على نقطة معينة أو نقاط متعددة، وذلك أثناء قيامهم بالتدريس من الشروح والحواشي[3].

ظهور المتون والشروح والحواشي والتقريرات:

---

(1) نفسه ص 556.

(2) المتون والمختصرات في التراث اللغوي العربي، سليمان بركات، ص 11.

(3) السابق، ص 15.

لعله من البدهي القول بأن المتون سابقة للشروح والحواشي والتقريرات، فهذه كلها آثار للمتون وعمل عليها، وإذا أردنا أن نضع تاريخاً لبداية المتون، لابد أن ننبه على أنها نوعان: متن منظوم، ومتن منثور. وكل واحد منهما يشترك في طبيعته مع الآخر في الميل إلى الاختصار، والخلو من كل ما يؤدي إلى الاستطراد والتفصيل، وقلة ذكر المذاهب والخلافات، كما يندر فيهما وجود الشواهد والأمثلة التي لا تذكر عادة إلا في حدود الضرورة كما سبق أن ذكرنا.

(أ) المتن المنظوم:

ظهر المتن المنظوم عند العرب في القرن الثاني الهجري، ولكن العرب لم يكونوا أول من اخترعه، بل كانت له أصول عند اليونان، نرى ذلك عند (هوميروس) في ملحمته التاريخية (الإلياذة).

وقد بدأ ظهوره عند العرب حين اتسعت معارفهم، وتنوعت لديهم الثقافات، وزاد إقبالهم على التعلم وقد أحسوا حينذاك بحاجتهم إلى نوع خاص من التصنيف يعينهم على حفظ المعلومات ونقلها، فاستعانوا على ذلك بالشعر الذي امتلكوا ناصيته، لأنه يشكل وسيلة مشوقة، ويسهل على المتعلمين حفظه. يقول أحد الباحثين: (لعل آخر الاتجاهات الجديدة التي نتناولها بالدراسة، والتي لاحظنا نشأتها في شعر القرن الثاني، هو الفن التعليمي الذي يصطنعه الشعراء عادة لنظم أنواع شتى من العلوم والمعارف تسهيلاً لحفظها. ومما لاشك فيه أن نشأة هذا الفن إنما تقترن باتساع أنواع المعارف والعلوم، وازدياد الإقبال على التعليم والتعلم في القرن الثاني، وما كان ممكنا أن ينشأ في الشعر العربي فن تعليمي قبل هذا القرن لهذا السبب نفسه)[1].

ويؤكد باحث آخر أن الأرجوزة الأموية تعد أول شعر تعليمي ظهر في اللغوية العربية وأن أراجيز العجاج وابنه رؤية تعد شعراً تعليميا، لأنها متون لغوية منظومة في اللغة نفسها من

(1) طرائق التأليف في النحو العربي، ص 212.

حيث هي لغة، نظماها لتمد الرواة بالألفاظ الغريبة والأساليب الشاذة والنادرة، وتزودهم بالشواهد والأمثال المأثورة والألفاظ المستعملة والمهملة[1].

ثم تتابعت المنظومات العلمية عبر العصور حتى جاء عصر المماليك الذي كثر فيه هذا اللون من النظم واتسعت موضوعاته، فشمل كل العلوم ومنها النحو، وأقبل الناظمون على النظم لييسروا على الطلاب سبل الإلمام بالمعارف وحفظها وسرعة استحضارها وقت الحاجة، فجاءت على سبيل المثال منظومتا ابن مالك الطويلتان (الكافية الشافية) و (الخلاصة الألفية)، ومنظومة الشاطبي الجامعة في القراءات. وهنا يعن لنا تساؤل في ضوء ما هو معروف من أن عصر المماليك يعد العصر الذهبي في نظم العلوم المتعددة، وفي كثرة هذا النظم وتنوعه، وهو: متى ظهر أول متن منظوم في النحو؟[2]

وللإجابة على هذا التساؤل نقول: تعزى أقدم منظومة في النحو للخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى سنة (170هـ)، قال خلف الأحمر المتوفى سنة (180هـ): وحروف النسق خمسة وتسمى حروف العطف.وقد ذكرها الخليل بن أحمد في قصيدته في النحو:

فانسق وصل بالواو قولك كله *** وبلا وثم وأو فليست تصعب

الفاء ناسقة كذلك عندنا *** وسبيلها رحب المذاهب مشعب

ومهما يكن من شك في نسبة هذه القصيدة للخليل وهو ما تطرق له المحقق وبصرف النظر عن سمعة خلف بن الأحمر وأمانته العلمية، وبغض النظر عن كل ذلك فإن هذه المنظومة مازالت تعد أول منظومة في النحو في ذلك الوقت المبكر.

ثم تتابعت بعدها المتون المنظومة، فنظم أحمد بن منصور اليشكري المتوفي سنة (370هـ) أرجوزة في النحو، عدد أبياتها ثلاثة آلاف إلا تسعين، تناول فيها فيما تناول الخلاف في وزن "١ غزاة ١" و "١ رماة ١" و "١ قضاة ١" ونحوها، وهل هي على "١ فُعَلة ١" أو "١ فَعَلة ١" أو "١ فُعَّل ١"؟، وقد قال في مطلعها:

---

(1) نفسه، ص214.

(2) نفسه، ص 215.

والوزن في الغزاة والرماة *** في الأصل عند جملة الرواة

فُـعلَة ليس لهـا نظيـر *** في سـالم من شأنه الظهور

وآخرون فيه قالوا فَعَلَة *** كما تقول في الصحيح جملة

ثم صنف الحريري المتوفى سنة (516هـ) أرجوزته النحوية \" ملحة الإعراب وسنحة الآداب \" في ثلاثمائة وخمسة وسبعين بيتاً، منها:

أقول من بعد افتتاح القول *** بحمد ذي الطول شديد الحول

يا سائلي عن الكلام المنتظم *** حدّاً ونوعاً وإلى كم ينقسم

اسمع هديت الرشد ما أقول *** وافهمه فهم من له معقول

حد الكلام ما أفاد المستمع *** نحو: سعى زيد وعمرو متّبع

ومع أن ملحة الإعراب لم تنل حظّاً كبيراً عند الدارسين المعاصرين مثل ألفية ابن مالك، فإن لها شروحاً كثيرة، منها: شرح الحريري نفسه، وشرح لابن مالك المتوفي سنة (672هـ)، وشرح محمد المقدسي الحنبلي المتوفى سنة (759هـ)، وشرح الهواري الأندلسي الضرير المتوفى سنة (780هـ)، وشرح الشهاب الرملي المتوفى سنة (842هـ)، وشرح السيوطي المتوفى سنة (911هـ)، وشروح أخرى لغيرهم.

وبعد الحريري نظم الحسين بن أحمد بن خيران البغدادي المتوفى سنة (600هـ) متناً في النحو. ثم تتابعت المتون النحوية المنظومة حتى وصلت ذروتها في القرن السابع الهجري أثناء عصر المماليك، واتسعت رقعتها وكثر الناظمون لها، وكان من أبرزهم ابن معطٍ, وابن الحاجب وابن مالك. ومن هذه المنظومات منظومة لنجم الدين الخضراوي المتوفى سنة (663هـ) نظم فيها مفصل الزمخشري –. وأرجوزة لشهاب الدين أبي شامة المصري المتوفى سنة (665هـ) نظم فيها أيضاً مفصل الزمخشري –. ومنظومة لشهاب الدين الخوالي المتوفى سنة (693هـ) نظم فيها توضيح ابن هشام الأنصاري. وأرجوزة لأبي حيان الأندلسي المتوفى سنة (745هـ)، لم يتمها وسمّاها \" نهاية الإغراب في علمي التصريف والإعراب \" ومنظومة

في تسعمائة بيت لعلاء الدين طيبرس المتوفى سنة (749هـ) وقد جمع فيها بين ألفية ابن مالك ومنظومة ابن الحاجب وسمّاها \" الطرفة \". ومنظومة ابن الوردي المتوفى سنة (749هـ) في مائة وخمسين بيتاً واسمها \" التحفة الوردية \". وأرجوزة في حكم \" لو \" لتقي الدين السبكي المتوفى سنة (756هـ). وأرجوزة المقصور والممدود لشمس الدين الهواري المتوفى سنة (780هـ). ومنظومة لتقي الدين عبد الرحمن بن أحمد الواسطي البغدادي المتوفى سنة (781هـ) لمتن \" غاية الإحسان في علم اللسان \" لأبي حيان الأندلسي. ومنظومة \" الحلاوة السكرية \" لشعبان بن محمد المصري الآثاري المتوفى سنة (828هـ). وألفية له أيضاً سماها \" كفاية الغلام في إعراب الكلام \". وأرجوزة لشهاب الدين بن عربشاه الدمشقي المتوفى سنة (854هـ). وألفية في النحو لعبد العزيز اللمطيالمكناسي المتوفى سنة (880هـ). وألفية في النحو والتصريف والخط لجلال الدين السيوطي المتوفى سنة (911هـ)[1]

إن هذا الثبت الذي تضمن أهم المنظومات في عصر المماليك يدل على نجاح هذه المنظومات ورواجها، وأنها أصبحت مناط الاهتمام تصنيفاً وتعليماً آنذاك، وقد تصاعد هذاالنجاح في عصر العثمانيين من حيث الكم، ولكن المنظومات العثمانية لم تلق الرواج الذي لاقته المنظومات في عصر المماليك، ومع ذلك فقد كان فيها الجيد المفيد والطريف المبتكر، مما كان وما زال محل اهتمام الدارسين آنذاك وحتى اليوم. ومن أشهر المتون النحوية المنظومة في عصر العثمانيين:

1- أرجوزة لعصام الدين بن عربشاه الإسفراييني المتوفى سنة (951هـ) باسم \"الألغاز النحوية \".

2- منظومة لشرف الدين العمريطي، فرغ منها سنة (976هـ)، وسماها \" الدرة البهية في نظم الأجرومية \".

3- منظومة إبراهيم الكرمياني المشهور بشريفي المتوفى سنة (1016هـ) سماها \" الفرائد الجميلة \" وهي نظم لشافية ابن الحاجب.

---

(1) ينظر مفصلا في: طرائق التأليف، ص 311.

4- أرجوزة لعمر الفارسكوري المتوفى سنة (1018هـ) سماها \" جوامع الإعراب وهوامع الأدب \" وهي نظم لجمع الجوامع وشرحه همع الهوامع لجلال الدين السيوطي.

5- ألفية في النحو لعلي بن محمد الأجهوري المالكي المتوفى سنة (1066هـ).

6- منظومة نحوية لحسن العطار المتوفى سنة (1250هـ).

7- منظومة في الإخبار بالظرف لمحمد الخضري الدمياطي المتوفى سنة (1287هـ).

8- منظومتان لناصف اليازجي المتوفى سنة (1288هـ)، الأولى أسمها \" الخزانة \" في علم الصرف، والثانية سماها \" جوف الفرا \" في علم النحو.

قال ابن خلدون: "... وجاء المتأخرون بمذاهبهم في الاختصار فاختصروا كثيرًا من ذلك الطول مع استيعابهم لجميع من نقل كما نقله ابن مالك في كتاب التسهيل... ولربما نظموا ذلك نظمًا مثل ابن مالك في الأرجوزتين الكبرى والصغرى"[1]

والمعروف لدى دارسي هذه المنظومات أنها كثيرة لا يمكن حصرها في عدد معين، كما أنه من الصعب تحديد أولى المنظومات لأن الآراء حول ذلك متشعبة ومتضاربة غير أننا سنحاول الوقوف عند أشهر هذه المنظومات على وجه الترتيب الزمني الخاضع لوفيات أصحابها، من خلال التعريف المختصر بهم والإشارة إلى منهجهم وأبواب هذه المنظومات ثم الوقوف عند أهم الاختلافات النحوية:

ملحة الإعراب وسنخة الآداب للحريري:

ناظمها: هو القاسم بن علي بن محمد بن عثمان، أبو محمد الحريري البصري، ولد سنة 446هـ بالبصرة، ولقب بالحريري لاشتغاله بعمل الحرير وبيعه، توفي سنة 516هـ، من مؤلفاته: المقامات، ديوان شعر، وملحة الإعراب في علم النحو[2]

والمشهور عند الدراسين أن هذه المنظومة هي من أوّل ما ألف في هذا النوع من الشعر التعليمي، يقول محققها عن الحريري: "وهو من أوائل من طرق هذا الفن، فلقد سبق ابن معطي وابن مالك في صياغة النحو في منظومة شعرية"[1].

---

(1)المقدمة، 515.

(2)المدارس النحوية، ص 123.

أبواب هذه المنظومة:

بدأ الحريري مقدمة حمد فيها الله تعالى وسلم على النبي وآله بقوله:

أقول من بعد افتتاح القول بحمد ذي الطول شديد الحول

وبعـده فأفضــل السَّـــــلام على النبي ســـيد الأنـــــام

ونذكر مما تطرقت إليه هذه الأبواب: باب حد الكلام، باب الاسم، باب الفعل، باب الحرف، باب المعرفة والنكرة، باب قسمة الأفعال، باب فعل الامر، باب الفعل المضارع، باب الإعراب، ثم ختم المنظومة باب الشرط وباب المبنيات.

وأمّا الخاتمة فكانت أبياتا تحتوي على النصح والإرشاد أكد فيها أن علوم العربية كلها وتلاوة القرآن الكريم وفهمه مناطه علم النحو يقول:

إن شئتَ نـــيلَ العلمِ والآدابِ وبـــراعةً في فهم كل كتابِ

وتـــــلاوةَ القـــرءان حــقَّ تلاوةٍ لفظًا وتفسيرًا وفصْلَ خِطابِ

وقـــــراءةِ السنن المنـــــيرة تابعًا آثارهــا متــوخيًا لصـــــوابِ

وبلوغِ غايـــات الــبلاغةِ عــارفًا بمـــواقع الإيجازِ والإطناب

فابدأ بعلم النحو فهو أساسها لا يمتري في ذا أولو الألباب[2]

منهج ناظمها:

نظمها على الرجز الذي تفعيلاته:

مستفعلنمستفعلن مستفعلن مستفعلنمستفعلن مستفعلن

وهو سهل على النظم والأبيات على هذا النحو تسمى أرجوزة والجمع أراجيز، ولقد احتوت المنظومة ثلاثمائة وثمانية وسبعين بيتا (378)يضاف إليها أبيات الخاتمة وعددها ثلاثة عشر بيتًا فيصبح عدد أبياتها الإجمالي أربعمائة بيتٍ وبيتًا واحدًا (401 بيتا

يتجلى لنا أن الناظم يتمذهب بمذهب البصريين فهو يختار مصطلحاتهم وتصنيفاتهم ومن ذلك: استعمال مصطلح (فعل الأمر) ومصطلح (المضارع) وهذان الاصطلاحان للبصريين والكوفيون يسمون الأمر (المنقطع) والمضارع (المستقبل).

يقول الحريري: "وإن أردتَ قِسمة الأفعالِ ..... لِينجَلي عنكَ صَدَا الإشكَالِ

فَهْيَ ثَلاثٌ مَا لهُنَّ رابعُ ..... ماضٍ وفِعلُ الأمرِ والمُضارِعُ"[1]

---

(1)نشأة النحو العربي، ص236.

(2)نشأة النحو العربي، ص 233.

للحريري بعض المصطلحات الخاصة ومنها: المفرد عنده (الفريد) يقول:

ونَوِّن الاسمَ الفريدَ المُنْصرفْ..... إذا دَرجْتَ قائلاً ولم تَقِفْ[2]

ومن تجليات تمذهب الحريري في ملحمته بمذهب البصريين رأيه في أن المصدر أصل والفعل فرع عنه وهذا مذهب البصريين وأمّا الكوفيون فيرون العكس الفعل أصلاً والمصدر فرعًا.

يقول الحريري:

والمصدرُ الأصلُ وأيُّ أصلِ ..... ومنهُ يا صاحِ اشتقاقُ الفعلِ.

أسقط الحريري من ملحمته كثيرًا من أبواب النحو ومنها: باب المبتدأ والخبر وما يتبعهما من أبواب كمسوغات الابتداء بالنكرة والتقديم والتأخير، كما أسقط باب التنازع.

الدرّة الألفية (ألفية ابن معطي):

ناظمها: هو يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي المغربي، ولد سنة 564هـ، وتوفي سنة 628هـ[3]

ذكرنا من قبل أن ملحة الإعراب هي من المنظومات الأول، وأمّا ألفية ابن معطي فقد قيل عنها إنها من أوّل المنظومات في نوعها وذلك لأنها نظمت على ألف بيت.

جاء في تحقيق هذه الألفية: "تعد الدرة الألفية في علم العربية من أشهر مؤلفات ابن معطي لأنها أوّل منظومة نحوية في ألف بيت"[4]

أبواب المنظومة:

بدأ ابن معطٍ بحمد الله ثم الصلاة والسلام على رسول الله – صلى الله عليه وسلم– وعلى آله وصحبه–

يقول: يقول راجي ربه الغفور يحيى بن معطي بن عبد النور

الحمد لله الذى هدانا بأحمـــد دينـــا له ارتضانا

إلى ان يقول: صلى عليه الله ثم سلمَا وَآلـــه وصحـــبه وكـرّمَـا

---

(1)نشأة النحو العربي 70/2

(2)النحو العربي، رواي ص 560.

(3)النحو العربي رواي، ص562.

(4)نشأة النحو العربي ص 450.

ثم يبدأ بباب الكلام والكلم، ثم علامات الاسم والفعل والحرف وختم ببابي الابدال والادغام، وباب الضرورات الشعرية[1]

منهج ناظمها:

ما تمتاز به ألفية ابن معط أنه نظمها على بحرين هما الرجز

مستفعلنمستفعلن مستفعلن مستفعلنمستفعلن مستفعلن

وعلى بحر السريع وتفعيلاته:

مستفعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن مستفعلن فاعلن[2]

بلغ عدد أبيات هذه المنظومة ألفًا وواحدًا وعشرين بيتًا 1021.

ويمكن أن نختصر منهج ابن معط في هذه المنظومة في أربعة محاور:

1- آراؤه الخاصة به.

2- موافقة البصريين.

3- موافقة الكوفيين.

4- موافقة البغداديين.

وسنقدم مثالاً توضيحيًا على كل محور.

1- آراءه الخاصة به:

من ذلك رفضه تقديم خبر "ما دام" على اسمها دون غيرها.

يقول: ولا يجـــوز أن تقدم الخبر على اسم ما دام و جاز في الأُخر

2- موافقة البصريين:

ومن ذلك تأييده لرأي البصريين في أن الاسم مشتق من السمو وهو العلو، والكوفيون يرون أنه مشتق من الاسم وهو العلامة.

يقول: واشتق الاسم من سما البصريونْ واشتقه من وَسَمَ الكوفيونْ

والمــذهب المقـــــدم الجلــي دليـله الأسمـــاء و السميّ

3- موافقة الكوفيين:

رأيه في أن "سكران" ممنوعة من الصرف لعلتين هما الوصف وزيادة الألف والنون وهذا رأي الكوفيين ولكن البصريين يرون منع "سكران" من الصرف لما نسميه ألف التأنيث.

---

(1)المدارس النحوية، ص56.

(2)تاريخ النحو العربي، ص 322.

4- موافقة البغداديين:

وقع خلاف بين النحاة حول تقديم خبر ليس عليها واحتج المانعون بأن "ليس" فعل جامد، لا يتقدمه الخبر كما يتقدم على الأفعال المتصرفة، ويرى أبو علي الفارسي أن تقديم خبر "ليس" جائز وهو من البغداديين، وقد توافق رأي ابن معط مع رأي ابن علي الفارسي.

يقول ابن معط: وجملة الأفعال كان أضحى أصبح ظل بات صـــار أمسى

والسبعة الأولى تقدم الخـبر فيها عليها وعلى اسمها اشتهر

ومن المانعين لتقديم خبر ليس عليها الكوفيون والمبرد وابن السراج[1]

ألفية محمد بن مالك:

ناظمها: هو محمد بن مالك الجياني الأندلسي، ولد سنة 600هـ، وتوفي سنة 672هـ[2]

ألفيته:

ماهي الألفية: جاء في المنجد في اللغة والأعلام ما نصه: "الألفية نسبة إلى الألف، وهو اسم منظومات شعرية جمعت فيها قواعد علم من العلوم العربية"[3]

فالألفية هنا منظومة على بحر الزجر في علم النحو العربي وهذه الالفية نظمها ابن مالك لطلاب النحو، وسماها (الخلاصة)، وكان قد نظم قبلها منظومة (الكافية الشافية) في أكثر من ألفي بيت.

يقول الدكتور محمد المختار ولد اباه: "...كان أول ما كتب منها الكافية الشافية وهي موسوعة شاملة للمعلومات التي جمعها من دراسته الواسعة، وقد نظمها في ألفين وسبعمائة وخمسين بيتًا ونيف"[4]

غير أن الشهرة والقبول والانتشار كتبها الله تعالى للخلاصة، إذ أقبل عليها طلاب النحو في مختلف العصور وشرحها كثير من النحاة.

أبوابها:

---

(1)المدارس النحوية، ص 311

(2)نشأة النحو العربي، ص 266

(3)المدارس النحوية، ص 22.

(4)تاريخ النحو العربي ص 56.

استهل ابن مالك "الألفية" بحمد الله تعالى والصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم والسلام –على آله، ذاكرًا أن ألفيته تفوق ألفية ابن معط في الاختصار والوضوح لكنه اعترف له بالسبق إلى النظم.

يقول ابن مالك:

قالَ مُحمَّــدٌ هو ابْنُ مالكِ أحمدُ ربِّيْ اللهَ خــيرَ مالكِ
مُصلِّياً على النَّبيِّ المصطفى وآلِهِ المُسْتكمــلينَ الشَّرَفا
وأستعــــينُ اللهَ فــي ألفيَّة مقاصـدُ النَّحْوِ بهــا مَحْوِيَّة
تُقرِّبُ الأقصى بلفْظٍ مُوْجَزِ وتَبسطُ البَذْلَ بوعدٍ مُنْجَزِ
وتقتضي رضىً بغيرِ سُخْطِ فائقــةً ألْفِيَّةَ ابْـــنِ مُعْطِ
وَهوَ بِسَبقٍ حــائِزٌ تفضيلاً مستوجِبٌ ثنــائِيَ الجميلا
واللهُ يقضـــي بهِبَاتٍ وافِرهْ لي ولهُ في درجاتِ الآخِرَهْ[1]

وبعد هذا الاستهلال شرع في نظم أبواب النحو، بدأ بباب الكلام وما يتألف منه، ثم باب المعرب والمبني، فباب النكرة والمعرفة ثم مضى في باقي الأبواب وختم بباب الحذف وباب الادغام.

شراحها:

بسبب شهرتها وإقبال الدارسين عليها تعرض لها كثير من النحاة بالشرح ومن أشرح شروحها:

- أوضح المسالك إلى الفية ابن مالك لابن هشام (مطبوع).
- شرح الألفية لبدر الدين بن محمد بن مالك ويعرف هذا الشرح بـ(شرح ابن الناظم) مطبوع.
- شرح ألفية ابن مالك لعبد الرحمن المكودي (مطبوع).

ومن الشروح الحديثة:

دروس في شرح الالفية للدكتور عبده الراجحي (مطبوع).

منهجها وبعض من آراء ناظمها:

نظمها كلها على بحر الرجز بعبارات واضحة دقيقة تسهيلاً للحفظ، يقول الدكتور "إميل بديع يعقوب" في تعليقه على شرح الأشموني: "وأبيات الالفية كلها من كامل الرجز وتمتاز عباراتها بالرقة والدقة والإيجاز في صياغة الأحكام ولذلك يسهل حفظها"[1]

---

(1)ألفية ابن مالك ص 7

والمعروف عن ابن مالك في ألفيته أنه ابتعد عن التعصب المذهبي، بل ويراه محمد المختار ولد اباه قد حرر النحو العربي من كل ما علق به من غموض وافتراضات وفلسفة ونظريات عبر العصور.

يقول: "... منهجه العام في التحرر من القيود المذهبية ...فكان عملا وسطًا قريب المأخذ سهل التناول تجنب غموض أبنية سيبويه، وافتراضات المبرّد، وتفريعات أبي علي الفارسي، وفلسفة الرماني، وتنظيرات ابن جني وتحاليل السهيلي وتقنين أبي موسى الجزولي"[2]

ومن مظاهر عدم تعصب ابن مالك لرأيه ذكره لرأي سيبويه في مسألة المفعول به الثاني في "أفعال القلوب" إذا كان ضميرًا فهو يختار أن يكون ضميرًا متصلاً لا منفصلاً، وامّا سيبويه فيختار الضمير المنفصل

يقول ابن مالك:

كـــذاكَ خِلْتَنِيهِ واتصالاً أختارُ غيرِي اخْتارَ الانفصالا[3]

ويقصد بـ(غيري) سيبويه.

بعض الاختلافات النحوية في المنظومات:

ونجمل بعضًا من الاختلافات النحوية التي ذكرناها عن هذه المنظومات الثلاث:

- منظومة: ملحة الإعراب وسنخة الآداب للحريري.
- منظومة الدرّة الألفية لابن معط.
- منظومة الألفية (الخلاصة) لابن مالك.
- من أوائل المنظومات النحوية منظومة الحريري.
- كان يعتمد فيها على آراء البصريين ومصطلحاتهم وكانت له مصطلحات نحوية خاصة به.
- إسقاط الحريري بعضًا من أبواب النحو مثل: الابتداء وباب التنازع في العمل.
- أول منظومة على ألف بيت كانت لابن معط واستعمل فيها بحرين هما الرجز والسريع.

---

(1)ابن مالك وألفيته، حسن عابدين، ص 56.

(2)نفسه، ص 70

(3)ألفية ابن مالك ص 66.

- تميزت منظومته باعتماد آراء خاصة بصاحبها وموافقة آراء البصريين أحيانًا والكوفيين أخرى والبغاددة مراتٍ.
- أشهر هذه المنظومات ألفية ابن مالك المعروفة بـ(الخلاصة) نظمها على بحر الرجز.
- كان يذكر آراءه وآراء غيره.
- كانت في النحو والصرف.

ولا نغادر هذه المحاضرة دون الإشارة إلى منظومات نحوية أخرى مع أصحابها، ومن ذلك:

- منظومة فيما ورد من الأفعال بالواو والياء لابن مالك.
- لامية الأفعال لابن مالك، توفي سنة 672هـ.
- منظومة مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام، نظمها على الحروف الهجائية، توفي سنة 761هـ.
- منظومة (لامية في النحو) زين الدين الآثاري، توفي سنة 828هـ.
- نظم الآجرومية لشرف الدي يحيى العمريطي، توفي سنة 989هـ.

ملخص المحاضرة:

أهم الاختلافات النحوية في المنظومات:

من أوائل المنظومات النحوية منظومة الحريري كان يعتمد فيها على آراء البصريين ومصطلحاتهم وكانت له مصطلحات نحوية خاصة به.

إسقاط الحريري بعضًا من أبواب النحو مثل: الابتداء وباب التنازع في العمل.

أول منظومة على ألف بيت كانت لابن معط واستعمل فيها بحرين هما الرجز والسريع.

من مميزات منظومته أن له آراء خاصة به كما وافق آراء البصريين أحيانًا والكوفيين أخرى والبغاددة مراتٍ.

أشهر هذه المنظومات ألفية ابن مالك المعروفة بـ(الخلاصة) نظمها على بحر الرجز.

كان يذكر آراءه وآراء غيره.

كانت في النحو والصرف.

*** *** *** *** *** *** ***

- مراجع المحاضرات:

1. أصول التفكير النحوي، على أبو المكارم.
2. الإنصاف في مسائل الخلاف، ابن الأنباري، تح/ محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، لبنان، 1424هـ/2004م،ط1،ج1.
3. الإيضاح في علل النحو، الزجاجي، تح: فارس المبارك، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1432هـ/2011م، ط7.
4. بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة، السيوطي..
5. تحفة الأحباب وطرفة الأصحاب في شرح ملحمة الإعراب للحريري، أبو المحاسن الحضرمي، تح: علي سليمان شبارة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1425هـ/2009م، ط1.
6. التوجيه اللغوي للقراءات القرآنية عند الفراء في معاني القرآن، طه صالح أمين آغا، دار المعرفة، بيروت، 1428هـ/ 2007م، ط1.
7. حاشية العلامة ابن الحاج، على شرح متن الآجرومية، دار الفكر، بيروت، 1421هـ/2000م، د ط.
8. الخصائص، ابن جني، تح/ محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، 1431هـ/2010م، ط2.
9. الدرة الألفية، ألفية ابن معطي، تح: سليمان إبراهيم البلكيمي، دار الفضيلة، القاهرة، 2010، ط1.
10. ديوان النابغة الذبياني، تح: كرم البستاني، دار صادر، بيروت، د ت، د ط.
11. الرد على النحاة، ابن مضاء، تح: محمد إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، دت، دط.
12. شرح الأشموني، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998، ط1، ج1.
13. شرح التسهيل، ابن مالك، تح: أحمد أحمد علي، المكتبة التوفيقية، مصر، د ت، د ط، ج1.
14. العقد الثمين في تراجم النحويين، الذهبي، دار الحديث.
15. الفصول الخمسون، لابن معطي، تح: محمود محمد الطناحي، مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه، د ت، د ط.

16. المدارس النحوية أسطورة وواقع، إبراهيم السامرائي.
17. المدارس النحوية، التواتي بن التواتي، دار الوعي، الجزائر.
18. المدارس النحوية، خديجة الحديثي، دار الأمل،، إربد، الأردن، ط 3، 1422هـ/ 2001م.
19. المدارس النحوية، شوقي ضيف.
20. مدرسة الكوفة، مهدي المخزومي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده، مصر،1377هـ/1958م،
21. المذكر والمؤنث، المبرد، تح/ رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1417هـ/1996م، ط2.
22. مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي.
23. نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، محمد الطنطاوي، مكتبة إحياء التراث الإسلامي، المملكة العربية السعودية، ط1.